

مجمع المصنفين
للكنيسة القبطية
بأورشليم

مقدمات في طقوس الكنيسة

٢/٤

الكنائس لسرقية وأوطانها

الجزء الرابع

الكنائس البيزنطية



مقدمات في طقوس الكنيسة

٢/٤

الكنائس الشرقية وأوطانها الكنائس البيزنطية

الجزء الرابع

الكتاب: الكنائس الشرقية وأوطانها

الجزء الرابع: الكنائس البيزنطية

The Eastern Churches and its Countries, t. IV

الكاتب: أناسيوس (راهب من الكنيسة القبطية)

المطبعة: دار نوبار، ٦ شارع مدرسة المعلمين - شبرا

الطبعة: الأولى، يناير ٢٠٠٥ م

الترقيم الدولي: 6 - 207 - 240 - 977

رقم الإيداع بدار الكتب: ١٠٦٩٥ / ٢٠٠٤

كافة حقوق الطبع محفوظة للمؤلف



بابا الإسكندرية و بطريرك الكرازة المرقسية
قداسة البابا شنودة الثالث

المحتويات

مقدمة عامة ١٣

الباب الأول: الإمبراطورية البيزنطية

- ١٩ الفصل الأول: موجز تاريخ الإمبراطورية البيزنطية
- ٢٠ أولاً : ثبت بأسماء الأباطرة الرومان
- ٢٢ ثانياً: نشأة الإمبراطورية البيزنطية
- ٢٥ مدينة القسطنطينية
- ٢٨ ثالثاً: ثبت بأسماء أباطرة الإمبراطورية البيزنطية
- ٣٤ القبائل البربرية التي أفلقت الإمبراطورية البيزنطية
- ٣٧ عصر جوستينيان
- ٤١ عصر الإمبراطور هرقل
- ٤٥ العصر الإيسوري
- ٤٨ الأسرة العمورية
- ٥٢ الأسرة المقدونية
- ٥٦ الفترة من سنة ١٠٥٦م إلى سنة ١٢٠٤م
- ٥٩ الأسرة الإنجيلية
- ٦٠ الفترة من سنة ١٢٠٤م إلى سنة ١٢٦١م
- ٦١ رابعاً: سقوط الإمبراطورية البيزنطية
- ٦٧ الفصل الثاني: إطلالة على أهم خصائص المجتمع البيزنطي
- ٦٨ أولاً : بعض سمات المجتمع البيزنطي
- ٦٨ شخصية الإمبراطور ونفوذه اللامتناهي

٧١ الحياة الدينية في المجتمع البيزنطي

٧٣ شخصية الإنسان البيزنطي

٧٥ ثانيًا: الحضارة البيزنطية

٧٨ ثالثًا: الطقس البيزنطي

٨٤ فكرة موجزة عن حرب الأيقونات

٩١ رابعًا: الليتورجيات البيزنطية

٩٤ خامسًا: نماذج من الأدب العربي المسيحي الملكي

٩٩ سادسًا: الرهينة ودورها في الإمبراطورية البيزنطية

١٠٠ لمحة عن جبل آثوس المقدس وأديرته

١٠٥ الفصل الثالث: الإمبراطورية العثمانية

١٠٧ إحصائية عامة

١٠٨ أصل الأتراك العثمانيين

١٠٨ في التاريخ

١١٠ جمهورية تركيا الحديثة

الباب الثاني: التطويرات البيزنطية الأربعة القديمة

١١٥ الفصل الأول: بطريركية القسطنطينية

١١٧ كاتدرائية آجيا صوفيا

١٣٧ الفصل الثاني: بطريركيّة الإسكندرية للروم الأرثوذكس

١٣٨ نشأة كنيسة الروم الأرثوذكس في مصر

١٤٣ بطريركيّة الروم الأرثوذكس في مصر اليوم

١٤٥ كنيسة الروم الكاثوليك في مصر

١٤٧ الفصل الثالث: بطريركيّة أنطاكية للروم الأرثوذكس

١٥٥ دخول العرب سوريا

١٥٧ ذوبان الطّقس الملكي الأنطاكي في الطّقس البيزنطي

١٥٨ كنيسة أنطاكية الملكيّة في عصر العثمانيين

١٥٩ اتخاذ بطريركية الروم الأرثوذكس الأنطاكيين طابعاً عربياً

١٦٢ منح الإدارة الذاتيّة لكنيسة الروم الأنطاكيين بالمهجر

١٦٣ نشأة كنيسة الروم الكاثوليك

١٧١ الفصل الرابع: بطريركيّة أورشليم

١٧٢ إحصائيّة عامة

١٧٣ أولاً: التاريخ الموجز لمدينة أورشليم القدس

١٧٣ نشأة المدينة وتسميتها

١٧٤ سور المدينة وأبوابها

١٧٥ فلسطين تخضع لمصر

١٧٦ أورشليم في زمن الملكين داود وسليمان

١٧٧ أورشليم في زمن مملكتيّ إسرائيل ويهوذا

١٧٨ أورشليم تحت حكم الفرس واليونان

١٧٩ أورشليم تحت الحكم الروماني

١٨١ عصيان باركوكبا

١٨٣ القُدس في عهد الإمبراطور قسطنطين

١٨٣ عودة القدس للحكم الفارسي

١٨٤ الفتح العربي للقُدس

١٨٥	القدس تحت حكم الصليبيين
١٨٧	القدس في عهد الأيوبيين
١٨٨	القدس أيام المماليك
١٨٩	القدس تحت حكم الأتراك العثمانيين
١٩١	القدس تحت حكم محمد علي باشا
١٩٢	عودة القدس للحكم التركي
١٩٣	القدس تحت الحكم البريطاني
١٩٩	ثانياً: الطوائف المسيحية في القدس
١٩٩	١- الأقباط الأرثوذكس
٢٠٠	٢- الروم الأرثوذكس
٢٠٢	٣- الأحباش الأرثوذكس
٢٠٢	٤- السريان الأرثوذكس
٢٠٣	٥- الأرمن الأرثوذكس
٢٠٣	٦- الروم الكاثوليك
٢٠٣	٧- اللاتين
٢٠٤	٨- الموارنة

الباب الثالث: التطويرات البيزنطية الخمس الحديثة

٢٠٧ الفصل الأول: بطريركية روسيا

٢٠٨ احصائية عامة

٢٤٣ الكنيسة الأرثوذكسيّة خارج روسيا
٢٤٤ الأب صفروني
٢٤٧ الفصل الثاني: بطريركيّة صربيا
٢٤٨ في التاريخ
٢٥٠ الجمهوريات التي تكوّن دولة يوغوسلافيا
٢٥٧ كنيسة صربيا
٢٦٣ الفصل الثالث: بطريركيّة رومانيا
٢٦٤ إحصائيّة عامة
٢٦٥ رومانيا منذ القدم
٢٦٥ رومانيا حديثاً
٢٧٠ كنيسة رومانيا
٢٧٥ الرهبنة في رومانيا في العصر الحاضر
٢٧٦ من أعلام الكنيسة الرومانيّة في العصر الحديث
٢٧٩ الفصل الرابع: بطريركيّة بلغاريا
٢٨٠ إحصائيّة عامة
٢٨١ أصل البلغارين
٢٨٢ كنيسة بلغاريا
٢٨٥ • كنيسة بلغاريا أثناء الحكم التركي للبلاد
٢٨٦ • كنيسة بلغاريا أثناء الحكم الشيوعي للبلاد
٢٨٧ • كنيسة بلغاريا اليوم
٢٨٨ الأدب البلغاري
٢٨٩ الفصل الخامس: بطريركيّة جورجيا
٢٩٠ إحصائيّة عامة

٢٩١ كنيسة جورجيا

٢٩٤ • كنيسة جورجيا تحت حكم الأتراك

٢٩٤ • كنيسة جورجيا تخضع لروسيا القيصرية

٢٩٤ • كنيسة جورجيا تحت الحكم الشيوعي السوفيتي

٢٩٥ • كنيسة جورجيا اليوم

الباب الرابع: الكنائس البيزنطية الست المستقلة

٣٠٠ أولاً: كنيسة قبرص

٣٠٠ إحصائية عامة

٣٠٠ جزيرة قبرص ذات الحضارة القديمة

٣٠١ دخول المسيحية إلى الجزيرة

٣٠٢ • كنيسة قبرص تحت حكم الأتراك

٣٠٢ • كنيسة قبرص في ظل الإدارة البريطانية

٣٠٣ تقسيم الجزيرة بين اليونان والأتراك

٣٠٤ لحة عن الأقباط في قبرص

٣٠٥ ثانياً: كنيسة اليونان

٣٠٥ إحصائية عامة

٣٠٦ بلاد اليونان قديماً

- ٣١٩ ثالثاً: كنيسة تشيكوسلوفاكيا
- ٣١٩ إحصائية عامة
- ٣٢٠ في التاريخ
- ٣٢٣ نشأة المسيحية في تشيكوسلوفاكيا
- ٣٢٧ رابعاً: كنيسة بولندا
- ٣٢٧ إحصائية عامة
- ٣٢٨ بداية التاريخ المسيحي لبولندا
- ٣٢٩ اضمحلال بولندا
- ٣٣٠ إعلان قيام الجمهورية البولندية
- ٣٣٠ كنيسة أرثوذكسية في بولندا
- ٣٣١ الإرهاصات الأولى ضد الشيوعية
- ٣٣١ الكنيسة تساند الشعب في كفاحه من أجل الاستقلال
- ٣٤٠ خامساً: كنيسة ألبانيا
- ٣٤٠ إحصائية عامة
- ٣٤١ في التاريخ
- ٣٤٣ الكنيسة الأرثوذكسية في ألبانيا
- ٣٤٨ سادساً: كنيسة جبل سيناء
- ٣٤٨ انحسار الرهينة القبطية في سيناء
- ٣٥٢ دير سانت كاترين

الباب الخامس: الكنائس البيزنطية التي لها الحق الذاتي في إدارة شؤونها

- أولاً: كنيسة فنلندا
- ٣٥٧
٣٥٧ إحصائية عامة
٣٥٨ تاريخ دير فالامو هو تاريخ الأرثوذكسية في فنلندا
- ثانياً: كنيسة اليابان
- ٣٦٤
٣٦٤ مقدمة
٣٦٤ جزر اليابان
٣٦٥ إحصائية عامة
٣٦٥ دخول المسيحية إلى اليابان
٣٦٩ الكنيسة الأرثوذكسية في اليابان
- ثالثاً: كنيسة الصين
- ٣٧١
٣٧١ إحصائية عامة
٣٧٢ دخول المسيحية إلى الصين
٣٧٢ • التبشير بالكاثوليكية والبروتستنتية
٣٧٤ • التبشير بالأرثوذكسية
- ٣٨١ المراجع

مقدمة عامة

هذا هو الجزء الرابع والأخير من مجموعة كتب "الكنائس الشرقية وأوطانها"، وهو عن الكنائس البيزنطية. وقد سبق لنا أن عرضنا لموجز عن هذه الكنائس في الجزء الأول من هذه المجموعة، وذكرنا أن الكنائس الأرثوذكسية البيزنطية - التي تمارس الطقس البيزنطي، والتي أصبحت تُعرف باسم "الكنائس الأرثوذكسية الشرقية - Eastern Orthodox Churches" أو باسمها التقليدي القديم "الكنائس الأرثوذكسية الخلقيدونية" - تضم الآن ١٩ كنيسة أرثوذكسية.

ويمكن تقسيم هذه الكنائس إلى المجموعات الآتية:

- ١- الأربع بطريركيّات القديمة^(١) وهي: القسطنطينية - الإسكندرية - أنطاكية - وأورشليم.
- ٢- الخمس بطريركيّات الحديثة وهي: روسيا - صربيا - رومانيا - بلغاريا - وجورجيا.
- ٣- الست كنائس المستقلة - Autocephalous Churches^(٢)

١- نشأت هذه البطريركيّات بعد أن عزل الإمبراطور البيزنطي بطاركة الكنائس الشرقية التي لم تعترف بمجمع خلقيدونية، وعيّن آخرين بدلا منهم سُموا "البطاركة الملكيين" نسبة إلى الملك أي الإمبراطور. ومنذ ذلك التاريخ صار لكل من كنيسة الإسكندرية وكنيسة أنطاكية بطريركان، واحد هو البطريرك الأصلي، أو السوطي، والآخر هو البطريرك الملكي، والذي يتبع كرسي القسطنطينية. فظهرت مشكلة ازدواج الرئاسة الكنسية إلى يومنا هذا.

٢- الكلمة في أصلها يونانية $\alphaὐτοκέφαλος$ وتعني حرفياً: "هو نفسه الرأس - himself the head"، وهو اصطلاح كنسي استخدم في الكنيسة منذ زمن مبكر ليصف الأساقفة الذين لم يكونوا خاضعين لسلطة أعلى، فهم والأمر كذلك مستقلون عن سلطة البطريرك أو المطران. ومن هؤلاء أسقف قبرص، وأساقفة أرمينيا، وإيبيريا

وهي: قبرص - اليونان - تشيكوسلوفاكيا (سابقاً) -

بولندا - وألبانيا - وجبل سيناء.
 ٤- الأربع كنائس التي لها الحق الذاتي في إدارة شؤونها -
 Autonomos Churches^(٣) وهي: فنلندا - اليابان -
 أمريكا - والصين.

أما من جهة الثقافة واللغة، فإن كنائس اليونان، وقبرص، وجبل
 سيناء، هي كنائس يونانية. في حين أن كنائس روسيا، وصربيا،
 وبلغاريا، وتشيكوسلوفاكيا، وبولندا، هي كنائس سلافونية. بينما تنتمي
 كنيسة رومانيا للثقافة اللاتينية.

وهذه البنود الأربعة السابقة هي الأبواب الأربعة الرئيسية التي

Iberia، حتى زمن فوتيوس Photius بطريرك القسطنطينية (٨١٠ - ٨٩٥م).
 أما المعنى الآخر لهذه الكلمة، فقد استُخدم ليشير إلى أساقفة الشرق الذين كانوا
 يتبعون البطريرك مباشرة دون الرجوع إلى المطران أي المتروبوليت. ومثل الكهنة أيضا
 الذين يخدمون في إيبارشية البطريرك.

أما استخدامهما الحالي والحديث، فهو يختص بالكنائس الوطنية الحديثة، والتي تُولف
 معاً الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية، والتي على الرغم من أنها في شركة مع
 القسطنطينية، إلا أنها تحكم ذاتها بنفسها، بواسطة مجمعها الكنسي الخاص بها. وفي
 العصور الحديثة، أُعطي لقب "بطريرك" لرؤساء هذه الكنائس، مثل كنيسة روسيا،

يحويها الكتاب الذي بين يديك، وكل باب منها يشمل فصلاً، ويتحدث كل فصل منها عن واحدة من هذه الكنائس التسع عشرة.

أما الباب الأول من هذا الكتاب، والذي يسبق هذه الأبواب الأربعة السابق ذكرها فهو يختص بالحديث عن الإمبراطورية البيزنطية نفسها، التي استهلّت عهدها في الحادي عشر من مايو سنة ٣٣٠م، ودامت ألفاً ومائتين وثلاثة وعشرين عاماً، وثمانية عشر يوماً. وكان الإمبراطور في تلك الإمبراطورية هو المحور الذي يدور حوله كل شيء، لذا كان من الطبيعي والمناسب أن يُقسم تاريخها حسب الأسر المالكة التي تعاقبت على العرش. وقد كانت تلك الأسر قصيرة الأجل في البداية، حيث لم تكن تبلغ حسب العادة الرومانية سوى الجليل الثالث فقط. على أن القرون الثمانية الأخيرة شملت تقريباً حكم خمس أسر عظيمة، هي الأسر الهرقلية، والإيسورية، والمقدونية، وآل كومنين، وآل باليولوجي.

لقد ظلت الكنيسة البيزنطية كنيسة دولة جديدة بالإعجاب. وكان غناها بالطقوس يزيد من عظمة الإمبراطورية، بينما قدّسوها وأيقوناتها تنزل بها إلى مستوى الشعب. ومن ناحية أخرى تمتّع لاهوتها بقدر كاف من الحرية، كان له أثراً طيباً على نمو النشاط الفكري في الكنيسة، بل وأصبح موضع فخرها. ولما كانت القسطنطينية عاصمة مسيحية حرة، فإن كنيستها صارت واحدة من أكثر الكنائس ثراءً فكرياً وروحياً في ذلك الحين.

إن مبشري القسطنطينية ورجال الساسة فيها كان لهم الفضل العميم في الحضارة التي عمّت أوروبا الشرقية كلها تقريباً. وظلت أوروبا الغربية أيضاً تدين بأصل نهضتها للحضارة البيزنطية التي أرسّت بفلسفتها الأفلاطونية الحديثة دعائم النهضة الغربية الحديثة.

والكتاب الذي بين يديك هو إطلالة سريعة على موضوعات

عديدة، وكنائس كثيرة، من العسير علينا أن نوفيها حقها الواجب في كتاب بهذا الحجم اليسير. ولعل ما يضمه الكتاب بين دفتيه هو نُزْهة قصيرة، أو قُلْ لمحة سريعة عن الكنائس البيزنطية وحضارتها. وهو مع ذلك يكفي القارئ غير المتخصص، بينما يحفز من يرغب في مزيد من البحث للرجوع إلى دراسات متخصصة. آملاً أن يجد القارئ القبطي فيه مادة لم يعدها من قبل في مكتبته القبطية.

وفي الختام أستودعُ هذا الجزء الرابع والأخير من مجموعة كتب "الكنائس الشرقية وأوطانها" بين يدي الرب ليجعل منه للقارئ الحبيب فائدة أصبو إليها، ونافذة يطل منها على بستان كنائسي فسيح، تعددت أزهيره وتوَعَّت ألوانه، وتناغمت أصوات موسيقاه، فبعثت في النفس تمجيداً لرب الكنيسة، وكاهنها، وذبيحتها، وملكها، وعريسها، يسوع المسيح.

ملتمساً شفاعته وبركة العذراء كل حين والدة الإله القديسة
الظاهرة مريم، وكل مصاف السمائيين. وبركة صلوات الآباء، والأنبياء،
والشهداء، والأبرار، والصدّيقين. وبركة صلوات أبي الطوباوي المكرّم
قداسة البابا شنودة الثالث بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية،
وسائر آبائي المطارنة والأساقفة والقمامصة والقسوس، وإخوتي
الشمامسة، وكا طغمة العالمين.

الباب الأول

الإمبراطورية البيزنطية

الفصل الأول

موجز تاريخ الإمبراطورية البيزنطية

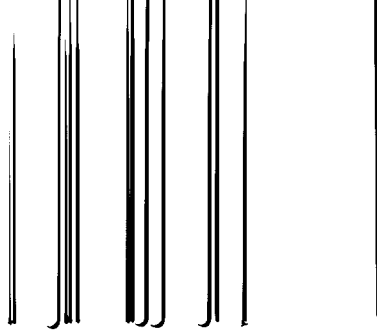
ينتهي تاريخ مصر الفرعونية بغزو الإسكندر الأكبر المقدوني لمصر سنة ٣٣٢ ق.م لتبدأ مصر حقبة جديدة بحكم البطالمة لها. وتعتبر كليوباترا السابعة آخر ملوك البطالمة. وتُختتم هذه الحقبة بانتصار الإمبراطورية الرومانية وانتحار ماركوس أنطونيوس ثم كليوباترا سنة ٣٠ ق.م ليبدأ فصل جديد من تاريخ مصر وهو عصر الإمبراطورية الرومانية (٣٠ ق.م - ٣٢٣ م)، حيث صارت مصر ولاية رومانية تابعة لهذه الإمبراطورية المترامية الأطراف التي جعلت من البحر المتوسط على اتساعه بحيرة رومانية. وفيما يلي ثبت بأسماء أباطرة الرومان، وتاريخ حكمهم.

أولاً: ثبت بأسماء الأباطرة الرومان

- الإمبراطور أغسطس (٣٠ ق.م - ١٤ م).
- الإمبراطور طيباريوس (١٤ - ٣٧ م).
- الإمبراطور كاليغولا (٣٧ - ٤١ م).
- الإمبراطور كلوديوس (٤١ - ٥٤ م).
- الإمبراطور نيرون (٥٤ - ٦٨ م).
- الأباطرة جاليا - أتونو - فيتاسويس.
- الإمبراطور فسبسيان (٦٩ - ٧٩ م).

- الإمبراطور تراجان (٩٨ - ١١٧ م).
- الإمبراطور هادريان (١١٧ - ١٣٨ م).
- الإمبراطور أنطونيوس (١٣٨ - ١٦١ م).
- الإمبراطور ماركوس أوريليوس (١٦١ - ١٨٠ م).
- الإمبراطور كومودوس (١٧٦ - ١٩٢ م).
- الإمبراطور برتيناكس (١٩٣ م) لعدة أشهر.
- الإمبراطور سبتيמוس (١٩٣ - ٢١١ م).
- الإمبراطور كاراكالا (٢١١ - ٢١٧ م).
- الإمبراطور ماركينوس (٢١٧ - ٢٢٢ م).
- الإمبراطور سيفيروس اسكندر (٢٢٢ - ٢٣٥ م).
- الإمبراطور ماكسيمين (٢٣٥ - ٢٣٨ م).
- الإمبراطور جورديان الثالث (٢٣٨ - ٢٤٤ م).
- الإمبراطور فيليب الأول (٢٤٤ - ٢٤٩ م).
- الإمبراطور دريفيوس (٢٤٩ - ٢٥١ م).
- الإمبراطور جاليانوس (٢٥١ - ٢٥٣ م).
- الإمبراطور أوريليان (٢٧٠ - ٢٧٥ م).
- الإمبراطور كاروس (٢٨٢ - ٢٨٤ م).
- الإمبراطور دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥ م).
- الإمبراطور مكسيميان (٣٠٥ - ٣١٣ م).
- الإمبراطور ليكينوس (٣١٣ - ٣٢٣ م).

ثانياً: نشأة الإمبراطورية البيزنطية^(١)



عندما انتقلت عاصمة الإمبراطورية الرومانية إلى الجزء الشرقي منها، دُعيت باسم الإمبراطورية البيزنطية نسبة إلى مدينة بيزنطة القديمة التي أُسست سنة ٦٥٧ ق.م، والتي قامت على أنقاضها مدينة القسطنطينية^(٢)، العاصمة الجديدة التي شيدها الإمبراطور قسطنطين الكبير مؤسس الدولة الجديدة، واتخذها عاصمة لإمبراطوريته الشرقية سنة ٣٢٤م.

وكانت بيزنطة من أمهات المدن اليونانية، وقد قام بتخطيطها أحد قادتها البحريين ويُدعى "بيزاس - Byzas"، والذي يرجع إليه الفضل الأول في اختيار الموقع، ولذا سُميت المدينة على اسمه.

وبقيت بيزنطة المطلة على البوسفور مدينة ذات مركز تجاري هام وموقع استراتيجي حصين، وحياة مزدهرة، إلى أن دمرتها الجيوش الرومانية في أواخر القرن الثاني الميلادي، لقيامها بثورة ضد الرومان. وبعد قليل سنورد ثبناً بأباطرة هذه الإمبراطورية الجديدة، مع موجز لأهم أعمال كل واحد منهم.

١ - المراجع الرئيسية لهذا الفصل والذي يليه:

- الدكتور عبد القادر أحمد يوسف، الإمبراطورية البيزنطية، بيروت، ١٩٨٤م.

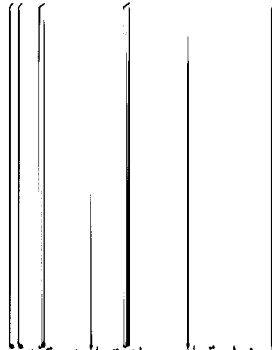
الدكتور محمد حيدر، المذنبات التاريخية، بيروت، ١٩٨٤م.

لم يتفق المؤرخون على تاريخ محدد لنشأة الإمبراطورية البيزنطية. فالمؤرخ جيبون Gibbon في الجزء الثالث من مؤلفه: "أفول وانهييار الإمبراطورية الرومانية - The Decline and Fall of the Roman Empire" يعتبر أن انفصال جزئي الإمبراطورية الرومانية الشرقي عن الغربي، والذي حدث في سنة ٣٩٥م أي منذ وفاة الإمبراطور ثيودوسيوس الأول وتقسيم الإمبراطورية الرومانية بين ولديه أركاديوس في الشرق (٣٩٥ - ٤٠٨م) وأونوريوس في الغرب (٣٩٥ - ٤٢٢م)، هو بداية ظهور الإمبراطورية البيزنطية.

بينما يعتقد مؤرخون آخرون مثل هنري بيرين H. Pirenne في مؤلفه: "تاريخ أوروبا" (ص ٣٧)، أن بداية الإمبراطورية البيزنطية كان وقت اعتلاء جستنيان الأول (٥٢٧ - ٥٦٥م) عرش البلاد. ويرى المؤرخ توينبي Toynbee في مؤلفه: "دراسة التاريخ" (ص ٣٢٠ - ٤٠٨م) أن الدهر كان قد عفا على الإمبراطورية الرومانية في الغرب في نهاية القرن السادس، وأن الإمبراطورية البيزنطية ما هي إلا إمبراطورية جديدة تكونت نتيجة لتحدّي الإسلام للمسيحية في تلك الجهات في القرن السابع الميلادي.

وينسج قسم آخر من المؤرخين على منوال توينبي تقريباً، إذ يعتبرون أن الفتوحات العربية الإسلامية هي إحدى العوامل التي أسرع في عملية تحويل الإمبراطورية الرومانية الشرقية إلى إمبراطورية بيزنطية. فالتوسّع الإسلامي جرّد الإمبراطورية الشرقية من ممتلكاتها في سوريا وفلسطين ومصر وبقية الشمال الأفريقي، وبذلك تحرّرت الإمبراطورية الرومانية الشرقية من المشكلات العويصة في تلك الأرجاء، وخاصة الدينية منها، وأصبحت الإمبراطورية مهتمة بشؤون مجتمع متجانس إلى حد ما مذهبياً ولغوياً يمكن أن يُطلق عليه اسم المجتمع البيزنطي.

على أن كثيراً من المؤرخين أمثال بايتر Baynes في مؤلفه: "مقدمة



في الحضارة الرومانية الشرقية (ص ١٦)، والمؤرخ هسي Hussey في مؤلفه: "العالم البيزنطي" (ص ١١ - ١٤) وغيرهما، يرون أن الإمبراطورية البيزنطية قد بدأت بالفعل عندما أمر الإمبراطور قسطنطين بتشيد مدينة القسطنطينية، عاصمته الجديدة سنة ٣٢٤م على أنقاض مدينة بيزنطة الأثرية القديمة. واعتبر المؤرخ رنسيمان Runciman أن السنة التي دُشنت فيها القسطنطينية هي خير بداية للتاريخ البيزنطي.

لقد فكر الأباطرة الرومان منذ عهد يوليوس قيصر في الانتقال بعاصمتهم إلى الشرق، وكانت الإسكندرية ثم طروادة هي المدن التي وقع عليها الاختيار، حتى كان عصر دقلديانوس الذي جعل من نيقوميديا في آسيا الصغرى عاصمة له. أما قسطنطين فبعد أن فكر في عدة أماكن، وقع اختياره على بيزنطة القديمة ليبنى على أنقاضها عاصمته الجديدة بعد أن انفرد بالحكم على الإمبراطورية الرومانية شرقاً وغرباً إثر انتصاره على جيوش ماكسينتوس في موقعة جسر ملفيان Milfan Bridge بالقرب من روما سنة ٣١٢م^(٣) فخضع له الغرب، ثم بانتصاره على ليكييوس انتصاراً عسكرياً ساحقاً سنة ٣٢٤م خضع له الشرق^(٤).

وعقب انتصار قسطنطين الكبير على ماكسينتوس سنة ٣١٢م أصدر مباشرة "منشور ميلان" وهو منشور التسامح الديني Edict of Toleration وأعلن فيه حق الديانة المسيحية القانوني في الوجود، وحرية عقد الاجتماعات الدينية شريطة عدم الإخلال بالنظام، حيث جاء في ذلك المرسوم: "... وعليه فيموجب التسامح الذي أوليناهم إياه يمكنهم عبادة ربهم من أجلنا، ومن أجل الإمبراطورية، ومن أجل أنفسهم"، وهذا المنشور لم يجعل قسطنطين المسيحية ديانة رسمية في الدولة، وإنما عاملها على قدم المساواة مع الديانات الأخرى.

وبانتصاره الثاني على ليكنيوس سنة ٣٢٤م بدأ في تشييد العاصمة الجديدة القسطنطينية.

مدينة القسطنطينية

تقع مدينة القسطنطينية على خط عرض (٤١) وتسيطر تلالها السبع على شواطئ قارتي آسيا وأوروبا. وقد أقيمت على منطقة تحيط بها المياه من جهاتها الثلاث بشكل شبه جزيرة. فمن الشرق مضيق البوسفور، ومن الجنوب بحر مرمره، ومن الشمال القرن الذهبي الذي يتفرع عن البوسفور. وتتصل بالبر من الجهة الغربية فقط، حيث بُنيت لها الأسوار المنيعة في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني (الصغير) في القرن الخامس الميلادي. فكان جمال الموقع واستراتيجيته وصحته، وراثته، من العوامل الكافية لاختياره عاصمة للبلاد.

الغربي. وعند وفاة جالوريوس سنة ٣١٠م، ترك أربعة يتنازعون المنصب الإمبراطوري. وفي الصراع الذي تلا ذلك تحالف قسطنطين وليكنيوس ضد مكسينتوس ومكسين وهزمهما سنة ٣١٢م، وحكما مشتركين (قسطنطين في الغرب، وليكنيوس في الشرق)، ثم تنازعا سنة ٣٢٤م، فسقط ليكنيوس في الصراع تاركا قسطنطين يحكم بمفرده.

ومن الأمور الطريفة أن الإمبراطور قاد بنفسه مسيرة تخطيط المدينة

حيث مشى حافي القدمين، شاهرا رمحاً ومؤشراً به على الأرض ليرسم حدود المدينة، الأمر الذي رأى فيه المختصون تجاوزاً من الإمبراطور للحد المعقول في تخطيط المدينة، ولما أرادوا إيقافه لم يفعلوا.

وقد شغل القصر الإمبراطوري بحداثته الجانب الشرقي وأول السلال السبعة للمدينة كأفخم مباني العاصمة والذي كان بمثابة مدينة من داخل مدينة. وكان من أبرز معالمها أيضاً كنيسة آجيا صوفيا^(٥)، وقصر مجلس الشيوخ، وساحة اللعب وسباق الخيل.

ويذكر المؤرخ جيون أن قسطنطين الكبير قد سلب مدن الشرق والغرب نفائسها لاستخدامها في تزيين المدينة. وتم افتتاح المدينة في ١١ مارس سنة ٣٣٠م. وسماها الإمبراطور "روما الجديدة"، إلا أن الناس قد فضلوا أن تُسمى المدينة باسم مؤسسها، فسميت "القسطنطينية"، كما كانت تلقب باسم "المدينة المحروسة من الله"، ولقد دعاها البعض "باريس العصور الوسطى"^(٦). ولكن ظل الاسم "روما الجديدة" اسمها الأصلي إلى النهاية.

٥- آجيا صوفيا، أي القديسة صوفيا، وقد ولدت في مدينة منف بمصر، وعمدها

وظل أهالي القسطنطينية يفخرون دوماً أنهم رومانيو الجنسية، حتى بعد أن بطل استخدام اللاتينية على ضفاف البوسفور بزم طويل^(٧)، واندثر كل أثر للدم الإيطالي. وكان من دواعي الفخر لدى الطبقة الأرستقراطية في القرن الثاني عشر أن أسلافهم قد وفدوا على المدينة مع قسطنطين، وظل سكان القسطنطينية حتى القرن الخامس عشر يتناقشون في طبيعة حضارتهم.

ولقد أضاف الأباطرة الذين توالوا على المدينة رونقاً وفخامة على فخامتها حتى أصبحت القسطنطينية مدينة فريدة في العالم، مما دعا بنيامين دي توديلان أن يقول عنها عندما زارها إنه "ليس من مدينة في العالم تماثلها باستثناء بغداد". ويشطر مضيق البوسفور المدينة إلى قسمين: قسم أوروبي وآخر آسيوي، يربط بينهما جسر حديث معلق غاية في الجمال.

كانت القسطنطينية أكبر مدينة بأوروبا في العصور الوسطى، وقلعة منيعة، إذ أقيم حولها ثلاثة خطوط من الحصون، وأقيمت المدينة نفسها على سبعة تلال على البوسفور. بلغ مجموع سكانها نحو مليون نسمة في أزهى عصورها وهو القرن العاشر الميلادي^(٨). وكان بها من الثروات ما لا يكاد يتصوره العقل من الكنوز الفنية والأدبية، وذلك قبل أن تحرب سنة ١٢٠٤م، بسبب الحملة الصليبية الرابعة. ولقد سقطت المدينة في يد الأتراك سنة ١٤٥٣م. وعُرفت باسم "إسطنبول"^(٩) بعد أن اتخذها القائد

٧- جاء القرن الثامن ولم يعد أحد بالقسطنطينية ينطق اللاتينية، وفي القرن التاسع لم يكن البطريرك فوتيوس نفسه وهو العالم الضليع يعرف اللاتينية.

٨- يبلغ عدد سكان المدينة في أوائل القرن الحادي والعشرين طبقاً لبيان شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) ثمانية ملايين نسمة.

٩- من الطريف أن نابليون بونابرت علق يوماً قائلاً: إنه لو كان العالم كله دولة واحدة، لكانت إسطنبول أنسب عاصمة له.

العثماني محمد الثاني عاصمة للإمبراطورية العثمانية. وفي سنة ١٩٢٣م

حلت أنقرة محلها كعاصمة لتركيا بعد أن حولها كمال أتاتورك (أبو الأتراك) جمهورية في سنة ١٩٢٢م منهيًا بذلك عهد الإمبراطورية العثمانية التي دامت حوالي خمسة قرون. وتحولت كنيسة آجيا صوفيا إلى متحف هام فيها.

ثالثاً: ثبت بأسماء أباطرة الإمبراطورية البيزنطية

كان الإمبراطور البيزنطي صاحب السلطة التشريعية والتنفيذية والعسكرية، وهو القائد الأعلى للجيش، والقاضي الأعلى، ووظيفته الإمبراطورية كانت تفصل في جميع القضايا. أما مجلس الشيوخ فكان بمثابة مجلس استشاري، وأعماله إدارية وليست تشريعية، حيث كان يتألف من كبار الأثرياء والموظفين الإداريين والقادة العسكريين. واستطاع ليو السادس (٨٨٦-٩١٢م) أن يلغي كافة صلاحيات المجلس عدا اشتراكه في حفل تتويج الإمبراطور.

لقد اغتصب الإمبراطور البيزنطي السلطة الدينية، فأعطى لنفسه الحق في حكم الكنيسة برجالها وعقائدها، وكان مصدر جمع هذه

وكان البطريك يعتبر كلاً من البلاط والإمبراطور مقدساً، إلا أن الحقيقة لم تكن كذلك، فقد كانت الحياة في البلاد مملأى بالمكائد والشُرور.

الإمبراطور قسطنطين الكبير (٣٢٣ - ٣٣٧م)

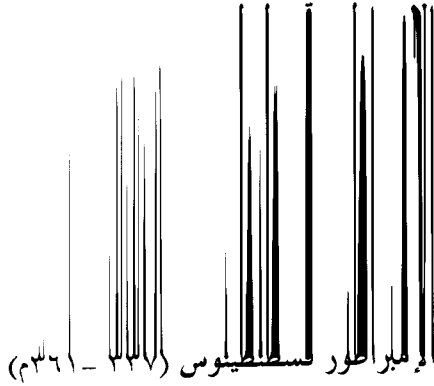
يعتقد بعض المؤرخين مثل ديوري Duruy أن سلوكه تجاه المسيحية كان مدفوعاً بدوافع سياسية. ففي حين أنه هو الذي دعا إلى عقد مجمع نيقية المسكوني الأول سنة ٣٢٥م، لمحكمة أريوس المبتدع، إلا أنه عاد فتقرب في أواخر حكمه من الأريوسيين، فأغدق عليهم الامتيازات، وأمر باضطهاد خصومهم من المتمسكين بمجمع نيقية. بينما يرى ستيفن رنسيمان أن قسطنطين كان يقصد أن تكون الكنيسة المسيحية كنيسة للدولة ويكون الإمبراطور رئيسها أي رئيس الكنيسة، ولم تعترض الكنيسة على ذلك اعترافاً منها بفضلها، ولكن مع ذلك كان دم منافسيه وابنه وحتى دم زوجته يلطخ يديه.

وانقسم أولاد قسطنطين الكبير الثلاثة وهم قسطنطين^(١٠) (٣٣٧ - ٣٤٠م) وقسطنس^(١١) (٣٣٧ - ٣٥٠م)، وقسطنطينوس^(١٢) (٣٣٧ - ٣٦١م) بين الأرثوذكسية النيقية والأريوسية، فاتبع الأول والثاني قرارات مجمع نيقية، وحكما الجزء الغربي من الإمبراطورية، بينما تأرجح الثالث بين الاتجاهين وحكم الجزء الشرقي من الإمبراطورية.

١٠- يُسمى أيضاً: قسطنطين الثاني.

١١- يُسمى أيضاً: قسطنس.

١٢- يُسمى أيضاً: قسطنطينوس، وقسطنديوس.



الإمبراطور قسطنطينوس (٣٢٧ - ٣٣٦ م)
 كانت سياسة قسطنطين كابوساً ثقيلاً على النيقين والوثنيين على حد سواء. وقضى بالموت على أكثر أقاربه، ولم يفلت من يده سوى يوليانوس الذي خلفه. ولما مات قال القديس جيروم (٣٤٢ - ٤٢٠ م) في تلك المناسبة: [مات الوحش وعاد الهدوء].

الإمبراطور يوليانوس الجاحد (٣٦١ - ٣٦٣ م)
 حاول إعادة مجد الوثنية، فمثل خطراً على المسيحية الناشئة.

الإمبراطور جوفيان (٣٦٣ - ٣٦٤ م)
 أعاد مركز الكنيسة إلى سابق عهده.

الإمبراطور فالنس (٣٦٤ - ٣٧٨ م)
 تمسك بالمذهب الأريوسي، واضطهد أتباع مجمع نيقية.

الإمبراطور ثيودوسيوس الأول (٣٧٩ - ٣٩٥ م)

الإمبراطور أركاديوس (٣٩٥ - ٤٠٨م)

ب وفاة ثيودوسيوس الأول سنة ٣٩٥م آلت الإمبراطورية الرومانية إلى ابنه أركاديوس وأونوريوس، وقد تربيا على يد القديس أرسانيوس الذي لُقّب لذلك باسم "معلم أولاد الملوك". فحكم الأول النصف الشرقي للإمبراطورية، والثاني حكم نصفها الغربي. وأدّت المنافسة بين هذين القسمين إلى فصم عرى الإمبراطورية وانقسامها نهائياً إلى دولتين.

الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني (٤٠٨ - ٤٥٠م)

وسّع أسوار القسطنطينية سنة ٤١٣م لتشمل كافة الأحياء التي نشأت خارج الأسوار الأولى. وأيد نسطور بطريرك القسطنطينية في بدعته الذي جدّف فيها على اتحاد الطبيعتين في المسيح، ثم عاد فنفاه إلى مصر على إثر قرارات مجمع أفسس سنة ٤٣١م. واعتنق في آخر أيام حكمه عقيدة الطبيعة الواحدة في شخص السيد المسيح. وهو الإمبراطور الذي أرسل إلى شيوخ برية القديس مقاريوس يطلب إليهم أن يسألوا الله لأجله لكي يعطيه ولدا يرث العرش من بعده، فكتب إليه القديس إيسيدوروس الإسقيطي كتاباً يعرفه فيه أن الله لم يرد أن يخرج منه نسل يشترك مع أرباب البدع من بعده، فشكر الملك الله على ذلك. وكان لاعتناقه عقيدة الطبيعة الواحدة في المسيح؛ أن ثارت عليه روما.

الإمبراطور ماركيان (٤٥٠ - ٤٥٧م)

عُقد مجمع خلقيدونية في أول عهده في سنة ٤٥١م، وصدّق على قراراته ليسترضي روما، وأذاق الكنائس الشرقية القديمة أهوال الاضطهاد وكانت زوجته بولشاريا من وراء تصرفاته لضعف شخصيته، وقد نفى البابا ديسقوروس الـ ٢٥ من بطاركة الكنيسة القبطية، وهو أول

إمبراطور يعين بطريكاً خلقيدونياً على كرسي الإسكندريّة فانشق

الكرسي الإسكندري منذ ذلك التاريخ إلى شطرين، حيث نسج باقي الأباطرة الذين أتوا من بعده على منواله.

الإمبراطور ليو (لاون) الأول (٤٥٧ - ٤٧٤م)

نفى البابا تيموثاوس الإسكندري الـ ٢٦. كسر شوكة الجرمانين في الجيش الروماني، ولكنه فشل في حملته البحريّة ضد الوندال سنة ٤٦٨م.

الإمبراطور ليو الثاني (٤٧٤م)

الإمبراطور زينون (٤٧٤ - ٤٩١م)

في بداية عهده اضطلع أصحاب الطبيعة الواحدة بتحريض من بطريك القسطنطينيّة أكايوس، فنفى بولس الأفسسي، وبطرس بطريك أنطاكية، وأرسل يتهدّد البابا تيموثاوس الإسكندري. ورفض توّسّل الأقباط أن يكون لهم بطريكاً قبطياً واحداً، ورسم لهم بطريكاً خلقيدونياً على غير رغبتهم. وإذ تيقن أنه لا جدوى من العنف مع أصحاب الطبيعة الواحدة، حاول استرضائهم فأصدر مرسوم الاتحاد وهو المسمى "هنوتيكون" (١٣) - Henotikon. ولكنه فيما بعد تحوّل إلى مناصرتهم.

القسطنطينية وترهبت في برية القديس مقاريوس بمصر تحت إرشاد الأنبا بموا أحد قديسي برية شيهيت في ذلك الوقت، وعُرفت باسم الراهب إيلاري، حيث أقامت في مغارة منفردة طيلة خمس عشرة سنة. ولما أراد الرب إشهار سيرة قداستها، مرضت أختها بمرض عضال فأرسلها أبوها إلى رهبان برية شيهيت ليصلوا من أجل شفائها، وإذ برأت بصلاة أختها المتخفية في شكل راهب، عادت لتخبر أبويها بهذا الراهب القديس الذي برأت بصلاته، مما دفع أبائها لأن يستدعي الراهب إيلاري إلى قصره بالقسطنطينية. وما أن عرف أنه هو (أو أنها هي) "ابنته إيلارية" حتى سألت الدموع مدراراً من مآقيها من هول المفاجأة، وعلا صوت أبويها بجهشان بالبكاء لفرط فرحهما. ومكثت القديسة هناك شهراً، ثم عادت كرجبتها إلى بيتها، إلى البرية المقدسة. فأصدر الإمبراطور أمراً لأمير مصر بأن يُرسل إلى البرية كل عام كل ما يحتاجه الرهبان لمعيشتهم، كما بنى قصرًا بديعاً رحباً في دير القديس مقاريوس لا يزال قائماً حتى اليوم، وهو الذي يُسمى بـ "الحصن"، كما بنى أيضاً كل "الحصون" التي في أديرة برية القديس مقاريوس. وتعد الكنيسة القبطية نياحة القديسة إيلارية في نفس يوم عيد نياحة السيدة العذراء مريم في ٢١ طوبة من كل سنة^(١٤)، بركة صلاتها المقدسة تكون معنا آمين.

الإمبراطور أناستاسيوس (٤٩١ - ٥١٨م)

اعتنق عقيدة الطبيعة الواحدة، ولم يقم بين الأباطرة من كان مثله في

١٤- يحتفل دير القديس أنبا مقار بعيد نياحة السيدة العذراء مريم بإقامة القداس الإلهي في كنيستها المسماة باسمها بالدور الثاني بالحصن، ومن البديع أنه نفس اليوم الذي تحتفل فيه الكنيسة أيضاً بعيد نياحة القديسة إيلارية، وفي نفس الحصن الذي بناه أبوها الإمبراطور زينون، ويُظن أن جسد القديسة إيلارية مدفون في مكان غير معروف بأرضية هذا الحصن.

مساندة مصر، وإرجاع السلام إليها، إذ كان منفيّاً بها من وجه سلفه

الإمبراطور زينون. ولكن في أيامه هجم الفرس على مصر، وتعرّضت البلاد لمجاعة شديدة. وكانت تصرفاته وسياسته إزاء مصر قد أثارت كنيسة روما. فنشبت في عهده ثورة في القسطنطينيّة تمكن من إخمادها بتضحيات كبيرة. وأكمل بناء سور العاصمة، وأمر بإلغاء الضريبة الدوريّة، وأصلح العملة، ونظم علاقات الفلاحين بالأرض، حيث سنّ قانوناً يمنح من يزاول فلاحه الأرض مدة ثلاثين سنة متواصلة امتلاك أرضه، فانتعش الاقتصاد في أيامه.

القبائل البربريّة التي أقلقّت الإمبراطوريّة البيزنطيّة

يلزمنا بالضرورة أن نتعرّف على أسماء هذه القبائل البربريّة، ومن أين أتت؟ وهو الأمر الذي يقابله أي دارس لتاريخ الكنيسة البيزنطيّة، أو للحضارة البيزنطيّة، وهذا ما يعيننا في هذا المقام.

لقد اشتدّت قسوة هجمات القبائل البربريّة على الإمبراطوريّة الرومانيّة بقسميها الشرقي والغربي بدءاً من الثلث الأخير من القرن الرابع الميلادي محاولة تفويض أسس هذه الإمبراطوريّة.

وكانت قبائل الغوط من أوائل القبائل الجرمنيّة في هذا المضمّار.

واعتنقت هذه القبائل الديانة المسيحية، ولكن طبقاً للهرطقة الأريوسية، حيث انتشر بينهم المبشرون الأريوسيون منذ أوائل القرن الرابع الميلادي. وكان لهم أسقف أريوسي سنة ٣٤١م يُسمى يولفيلاس Ulfilas وقد ترجم معظم أجزاء الكتاب المقدس إلى اللغة الغوطية بعد أن حذف منه أسفار صموئيل والملوك لاحتوائهما - على حد قوله - على أخبار قتال كثيرة^(١٥). وقد أوجد لهم كتابة خطية من الإشارات الغوطية القديمة والحروف اللاتينية أصبحت فيما بعد أساساً لدراسة اللغات الجرمانية القديمة.

وقد تعرّضت قبائل الغوط الشرقيين لضغوط متزايدة من قبائل جرمانية أخرى في آسيا كانت تسكن إلى جوارها، مثل قبائل آلان Alans وسويفي Seui. كما تمكّنت جموع "الهون" من استعادة قسم كبير من قبائل الغوط الشرقيين وتشيتت القسم الآخر. فألح زعماء الغوط الغربيين على الإمبراطور فالنس (٣٦٤ - ٣٧٨م) أن يحتما داخل الإمبراطورية، فاستجاب لهم لاستخدامهم في الدفاع عن الإمبراطورية ضد قبائل الهون. ودعماً لسياسته الأريوسية ولتشغيلهم في الزراعة. وسرعان ما خاب ظن الإمبراطور هؤلاء إذ أصبحوا وبالأعلى الإمبراطورية في قسميها الشرقي والغربي، حيث لم تستطع هذه الجموع القبليّة أن تترك ما تعودت عليه من حياة تعتمد على التنقل والسلب، فضلاً عن استفزازات الجنود الرومان لهم، فتمردوا واصطدموا بالجيش الروماني تحت قيادة فالنس في معركة أدريانوبل سنة ٣٧٨م، والتي أسفرت على اندحار الجيش الروماني ومقتل الإمبراطور.

١٥- سنعرف بعد قليل أنها قبائل أثارت الحروب بلا هوادة، بل قد أصبحت عقوبة الإعدام هي العقوبة التي توقع على كل من لا يدين بالأريوسية التي اتخذوها مذهباً لهم.

فتجرات قبائل جرمانية أخرى على إيجاد طريقها بالقوة إلى جهات

الإمبراطورية المختلفة. وفي سنة ٣٨٢م اتفق الإمبراطور ثيودوسيوس الأول معهم سلمياً، ووافق على استيطانهم في تراقيا وآسيا الصغرى، ومنحهم أشبه ما يُعرف اليوم بالاستقلال الذاتي. ولكن عادت مشكلة القبائل الغوطية الغربية Visigoths تمثل خطراً على قسمي الإمبراطورية الشرقي والغربي بعد وفاة ثيودوسيوس سنة ٣٩٥م الذي قسّم الإمبراطورية بين ولديه أركاديوس وأنوريوس. إذ تزايد نفوذ الغوطيين وأصبح لهم جنرالات، وتسلط الجنرال الغوطي روفينوس رداً من الزمن على حكم أركاديوس، وأصبح لهم في القسطنطينية حزب يُسمى الحزب الغوطي من بين ثلاثة أحزاب، كان الحزب الروماني الخالص واحداً منها.

وتواطأ الجنرالات الغوطيين فيما بينهم حتى استطاعوا إجبار الإمبراطور على إعدام رئيس وزرائه يوتروبيوس Eutropius فرضخ لمطلبهم لتهدئة ثورتهم. ثم عادوا فطالبوا بالكنيسة الكبرى في القسطنطينية لتكون مركزاً للأريوسية، فثارت ثورة في القسطنطينية هلك فيها معظم الغوط هناك. ولم تعد المشكلة الغوطية تشكل خطراً على القسم الشرقي من الإمبراطورية والذي يعيننا الآن. ولكنهم في مقابل ذلك وبعد أحداث لن نخوض فيها استطاعوا احتلال روما نفسها سنة ٤١٠م مما أحدث أصداء مدوية في الإمبراطورية، واستطاعوا تخصيص مناطق الغال (فرنسا)

واتبع الوندال سياسة البطش بكل من لا يدين بالأريوسية، وأحبروا الليبيين على اعتناق الأريوسية، وتطبيق عقوبة الإعدام على المعارضين حتى استطاع الإمبراطور جوستنيان القضاء على الدولة الوندالية.

ثم جاءت قبائل الهون، فاضطر الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني إلى دفع الإتاوات لهم تجنباً لأخطارهم، وإبعادهم عن القسطنطينية. ولقد شملت غارات الهون وسط أوروبا وبلاد الغال، ولكن بمساعدة قبائل الغوط الغربيين استطاع الرومان سنة ٤٥٥م تدمير قوة الهون.

لقد كان القسم الشرقي من الإمبراطورية أسعد حالاً من قسمها الغربي، فقد وقعت إيطاليا تحت حكم الغوط الشرقيين Ostrogoths واستقر الغوط الغربيين في أسبانيا، إلا أن السياسة الدبلوماسية التي اتبعتها القسم الشرقي، والمهارة العسكرية كذلك، أبعدت عنه خطر غزوات البرابرة. ثم جاء عصر جوستنيان.

عصر جوستنيان

وهو يمتد من سنة ٥١٨ إلى سنة ٥٦١م، وحكم فيه ستة أباطرة.

الإمبراطور جوستين الأول (٥١٨ - ٥٢٧م)

هو عم الإمبراطور جوستنيان الكبير، وكان قائداً لإحدى الفرق العسكرية الإمبراطورية. طارد القديس ساويرس الأنطاكي (٤٦٥ - ٥٣٨م) وأمر بقطع رأسه، فهرب القديس إلى مصر، وتخفى بين أهلها.

الإمبراطور جوستنيان الكبير (٥٢٧ - ٥٦٥م)

سعى إلى إعادة الوحدة الرومانية وعظمتها شرقاً وغرباً، ففضى على

مقاومة قبائل الوندال في شمال أفريقيا. وقضى على دولة الغوط الشرقيين

في إيطاليا، وقضى أيضاً على الغوط الغربيين في بعض مناطق أسبانيا، ولكن برغم ذلك بقيت إيطاليا التي هاجمها اللمبارديون سنة ٥٦٨م، وأسبانيا التي استعادها الغوط الغربيون سنة ٦٢٢م، والجزر البريطانية وبلاد الغال، خارج سيطرة الإمبراطورية البيزنطية.

وكذلك اهتم بالقضاء على ما تبقى من آثار حية للوثنية في أطراف الإمبراطورية، وأغلق معابد إيزيس الوثنية في مصر في جزيرة فيلة، ومعابد آمون في واحة سيوة، وأحل محلها كنائس مسيحية.

وأقام لمصر بطريركاً خلقيدونياً، وحوّله سلطات عسكرية وسياسية بجانب سلطاته الدينية، وكانت سابقة خطيرة للملوك الذين أتوا من بعده.

أما زوجته ثيودورا فكانت قوتها تفوق قوة زوجها وسلطانها. لقد كانت شجاعة صافية الذهن، بل إن معونتها لزوجها لم تكن تقدر بثمن. ولم يختلف الزوجان إلا في شيء واحد فقط، إذ كانت الإمبراطورة تناصر أصحاب الطبيعة الواحدة سرّاً، وكان لها دورٌ فعّال في الوقوف إلى جانبهم ومساعدتهم.

أما القوانين التي جمعها هذا الإمبراطور وصنّفها، فهي تعد من أكبر

وأنشأ تسعاً وتسعين كنيسة، واثنى عشر ديراً. فكان عصره هو العصر الذهبي للإمبراطورية البيزنطية من جهة النهضة الفنية والمشاريع المعمارية.

وُنيت في عهده كنيسة آجيا صوفيا سنة ٥٣٧م، حيث استغرق بناؤها خمس سنوات، وهي آية في الفن البيزنطي، قال عنها جستنيان نفسه عند الانتهاء من بنائها: "لقد قهرتك يا سليمان"، مشيراً بذلك إلى تفوقها على هيكل سليمان في أورشليم^(١٦). ولقد نهضت الحركة الفكرية في عصره وازدهر الشعر.

وجدير بالذكر هنا أنه حتى عصر جوستنيان ظلت مدينة الإسكندرية هي مركز القيادة الفكرية في الشرق كله، ولم تُظهر القسطنطينية تفوقاً في هذا المجال إلاّ بدءاً من عصر جوستنيان. ولكن يعود خمود الفكر البيزنطي مرةً أخرى في الفترة الممتدة من منتصف القرن السابع حتى بداية القرن التاسع بسبب مشاكل الإمبراطورية مع الفرس ثم مع العرب المسلمين، ونتيجة أيضاً لحرب الأيقونات التي شهدها العالم البيزنطي.

ولقد بنى الإمبراطور جوستنيان دير سانت كاترين في صحراء سيناء

١٦ - لقد رافقت هذه المياهي الفسيفساء الجميلة والزخارف الدقيقة. وكان مذبح قسطنطين بالكنيسة مصنوعاً من الذهب والفضة والأخشاب الثمينة، ومزينا باللائي والأحجار الكريمة، وكان مرفوعاً على درجات ومقاماً على قمة أعمدة ذهبية ترتكز على قواعد من الذهب. وكانت هناك قبة فوق المذبح الرئيسي ترتفع فوق أربعة أعمدة مطلية بالفضة يمتد بينها عقود. والجزء الأسفل من هذه القبة مثن الأضلاع، ويبرز منه الجزء العلوي ليحتمع على شكل مخروط. وقد وضع فوق المخروط نجم ذهبي فوقه صليب من الذهب مرصع بالجواهر. وقد انتشرت بين الأعمدة ستائر عالية، أما الستارة التي أمام المذبح فقد رسم عليها منظر مطرز بخيوط الذهب للسيد المسيح في المجد وهو يعطي البركة ويمسك بكتاب البشائر في يده اليسرى. وجدير بالذكر أن هذا الوصف الطقوس القديم للكنيسة اليونانية، أما الآن فإن هذه الستائر لم تعد تستخدم في الكنيسة اليونانية كما هو الحال أيضاً في الكنيسة القبطية اليوم.

عند سفح جبل موسى. وسيناء هي الجبل الواقع في الصحراء التي تفصل

بين مصر وفلسطين حيث أعطى الناموس لموسى (خروج ١:١٩ - ٤١)، وهو يُسمى أيضاً جبل حوريب. والبرية المحيطة به تسمت أيضاً باسمه. ومنذ عصور قديمة جداً اعتُبر هذا الجبل جبل يهوه المقدس (تثنية ٢:٣٣، قضاة ٥:٥) وقد أصبح مركزاً مبكراً للرهينة المسيحية.

وبصورة عامة لم يُكتب النجاح لسياسة جوستينيان، إذ أن مشاريعه تطلبت زيادة الضرائب التي أثقلت كاهل الشعوب في الإمبراطورية، حيث بلغت حداً يفوق الاحتمال. وكانت فتوحاته في إيطاليا وأسبانيا وقتية. أما المشاكل الأساسية التي حاولت الإمبراطورية التغلب عليها، مع الأربعة أباطرة التاليين من بعده، فكانت تتلخص في الدفاع عن الإمبراطورية في جبهتين الشرقية ضد الفرس، والغربية ضد القبائل اللمباردية وغيرها.

الإمبراطور جستين الثاني (٥٦٥ - ٥٧٨م)

وهو ابن أخي الإمبراطور جوستينيان، وكان متزوجاً من صوفياً ابنة أخت ثيودورا. وفي عهدهما تردت الإمبراطورية في حالة من الفوضى.

الإمبراطور طياريوس (٥٧٨ - ٥٨٢م)

الإمبراطور موريس (٥٨٣ - ٦٠٢م)

هو زوج ابنة الإمبراطور طيباريوس. أعاد كسرى الثاني إلى عرش فارس سنة ٥٩١م. وفي عهده انصلحت الأحوال المادية للإمبراطورية إلى حد ما، ولكن نزعته الواقعية الصارمة أرهقت رعاياه إرهاباً عظيماً. وفي النهاية شق الجيش عليه عصا الطاعة وقتل على يد زعيم الجنود فوكاس.

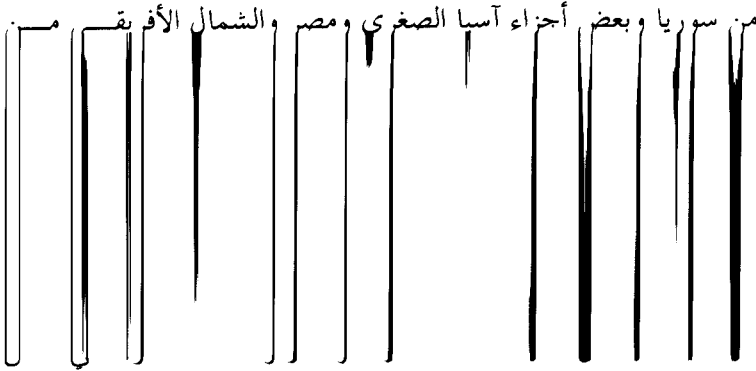
الإمبراطور فوكاس (٦٠٢ - ٦١٠م)

هو أول إمبراطور بيزنطي يتم تنويجه في كنيسة آجيا صوفيا في العاصمة القسطنطينية. وكان حكمه كابوساً رهيباً من الفوضى الهدامة والظلم الممزق للدولة، والغزوات الخارجية والفتن الداخلية. حتى أقلع هرقل ابن حاكم ولاية أفريقية إلى القسطنطينية لينقذ البلاد، وأنشأ أسرة مالكة دامت خمسة أجيال.

عصر الإمبراطور هرقل

جاء عصر الإمبراطور هرقل، وشملت هذه الفترة عدة أباطرة، كان أولهم هرقل، وآخرهم ثيودوسيوس الثالث. وإن أباطرة أسرة هرقل وإن كانوا جميعاً رجالاً ذوي مواهب، إلا أن أحداً منهم لم يكن كفواً لتحمل أعباء الحكم الفادحة في تلك الأيام.

وعلى العموم فإن الجزء الشرقي من الإمبراطورية الرومانية أخذ في التحول السريع إلى إمبراطورية بيزنطية خالصة منذ بداية العصر الهرقلي، وذلك نظراً لوقوع القسم الغربي بأكمله تقريباً تحت التسلط الجرمان، ولم يبق منه سوى بضعة مناطق في إيطاليا مثل رافينا، كما خرجت كل



السيطرة البيزنطية، وأصبحت خاضعة للحكم الإسلامي. ولقد ساعدت الخلافات الدينية بين كنيسة روما والقسطنطينية على ابتعاد بعضهما عن بعض، وعلى ابتعاد الكنائس العربية عن كنيسة القسطنطينية وروما من جهة أخرى، مضافاً إلى ذلك اختفاء اللغة اللاتينية أمام اللغة اليونانية، وسيادة الآراء الأهلستية والشرقية في المجادلات الرسمية والثقافية.

إن الاختلافات الثقافية بين القسمين الشرقي والغربي للإمبراطورية أخذت تبرز بشكل واضح في العصر الهرقلي، حيث بدأت الفوارق اللغوية تظهر بوضوح، وأصبح من الصعب التفاهم باللغة اليونانية في الغرب، أو اللاتينية في الشرق، حتى أن فوتيوس العالم اللاهوتي الشرقي كان جاهلاً بنطق اللاتينية.

الإمبراطور هرقل (٦١٠ - ٦٤٠م)

حاول التوفيق بين أصحاب الطبيعة الواحدة والبيزنطيين فأصدر مرسوم المونوثيلية، أي الإرادة الواحدة للسيد المسيح، فلم يلق قبولاً إلا من أصحاب الطبيعة الواحدة، ولا من أصحاب الطبيعتين. وكان يبغى الإمبراطور من ذلك استمالة أصحاب الطبيعة الواحدة للاستفادة منهم في مقاومة الساجس، وانتهم من السنة الإمبراطور حينئذ في عهد هرقل

لسقوط الإمبراطورية البيزنطية تحت السيطرة العربية الإسلامية، واستيلاء العرب على ولايات الرومان الشرقية. فبدأ المسلمون أول غاراتهم على المناطق البيزنطية سنة ٦٢٩م. وفي سنة ٦٣٦م انهزم هرقل في معركة اليرموك الحاسمة، فاضطر أن يسلم بالأمر الواقع، وانسحب من سوريا. ثم فتح المسلمون القدس على يد الخليفة عمر بن الخطاب، ودانت لهم مصر سنة ٦٤٢م على يد عمرو بن العاص. فتمكّن العرب في منتصف القرن السابع من السيطرة على سوريا والعراق وجنوب شرق آسيا ومصر. وفي نهاية القرن السابع تم فتح شمال أفريقيا بأكمله، واستولوا على جزيرة قبرص، وأنزلوا هزيمة بالأسطول البيزنطي الذي كان يقوده الإمبراطور قنسطان الثاني.

أما خلفاء الإمبراطور هرقل فهم:

الإمبراطور هرقل الثاني (٦٤١م)

وهو ابن هرقل وتوفي بعد بضعة أشهر من تبوأه عرش الإمبراطورية.

الإمبراطور هرقلليون (٦٤١م)

أُجبر على التنازل عن العرش لابن عمه قنسطان الثاني.

الإمبراطور قنسطان^(١٧) الثاني (٦٤١ - ٦٦٨م)

قضى معظم أيام حكمه في الحرب مع العرب. هزمه المسلمون في موقعة بحرية واستولوا على قبرص، وكان لاستيلاء المسلمين على سوريا ومصر أن انفصلت الكنائس العربية عن الإمبراطورية، فأصدر الإمبراطور مرسوماً سنة ٦٤٨م منع فيه كافة المجادلات الدينية حول طبيعة السيد

المسيح، محاولة منه للحفاظ على البقية الباقية من إمبراطوريته. فمقع في

خلاف مع روما أدى إلى نفيه لبابا روما إلى شبه جزيرة القرم حيث توفي فيها، فنفر منه الرأي العام في إيطاليا وشمال أفريقيا. وقُتل فحلفه ابنه.

الإمبراطور قنسطنطين الرابع^(١٨) (٦٦٨ - ٦٨٥م)

حاول تسوية الخلاف مع روما، وعقد المجمع المسكوني السادس في القسطنطينية سنة ٦٨٠م والذي بموجبه عادت العلاقات مع روما مرة ثانية، وهو المجمع الذي اعترف فيه بأقدمية كنيسة روما، وعلى انتهاج الإمبراطورية سياسة صريحة ضد أصحاب عقيدة الطبيعة الواحدة، فعارضت كنائس الإسكندرية وأنطاكية والقدس هذا المجمع وقراراته.

وفي زمن هذا الإمبراطور بلغ الخطر الإسلامي على العاصمة البيزنطية أقصاه، حيث فرض المسلمون الحصار على القسطنطينية لمدة خمس سنوات كاملة من سنة ٦٧٢م إلى سنة ٦٧٧م، ولم يتمكنوا من فتحها لمناعتها، حيث أمكن للبيزنطيين مقاومة هجمات المسلمين البحرية بواسطة النار الإغريقية. فعقد معاوية بن أبي سفيان هدنة معه، إلا أن البلغار كانوا قد هزموه سنة ٦٧٦م. وواصل العرب فتوحاتهم فاستولوا على قرطاجة ثم زحفوا على أسبانيا سنة ٧١١م فقوض طارق بن زياد

والغريية، فطلب من كنيسة روما الإقلاع عن صوم يوم السبت، والسماح للقساوسة بالزواج، فلم يوفق في مسعاه، واضطر إلى استرضاء كنيسة روما.

الإمبراطور فيليبيوس (٧١١ - ٧١٣م)

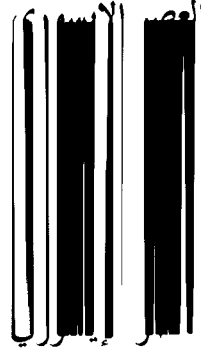
هو قائد نجح في إنزال جوستينيان الثاني عن العرش، وأعدم أفراد أسرته. كان متراحياً بطبعه في كل شيء، ما عدا الهرطقة التي كان يؤمن بها وهي وحدة الإرادة في المسيح. وبعد سنتين أسقطته إحدى مؤامرات القصر وحلّفه في الملك موظف مدني اسمه أرتيميوس اتخذ لقب أنسطاسيوس الثاني.

الإمبراطور أناستاسيوس الثاني (٧١٣ - ٧١٦م)

في عهده وقعت الإمبراطورية في براثن الفوضى، وكان العرب متسلطين على آسيا الصغرى، وكانت محاولته إرجاع القوة إلى الجيش أن أفقدته محبة الناس له. وثارت إحدى فرق الجيش ثورة، ووضعت التاج على رأس مغمور من جباة الضرائب غير راغب في الملك، هو ثيودوسيوس الثالث.

الإمبراطور ثيودوسيوس الثالث (٧١٦ - ٧١٧م)

تميّزت هذه الفترة وحتى سنة ٧١٧م بالفتن والاضطرابات، وتمثلت في سرعة اختيار الأباطرة وخلعهم. ولم يقو ثيودوسيوس الثالث على مواجهة الموقف بعد أن استأنف العرب هجومهم، فتمكن أعظم قائد بالإمبراطورية والمسّمى لاون (ليو) من الاستيلاء على السلطة، فوضع بذلك أسس الحكم لأسرته المسماة بالأسرة الإيسورية أو السورية.



يمتد حكم الأسرة الإيسورية من سنة ٧١٧م إلى سنة ٨٠٢م، وهم خمسة أباطرة. وقد اهتمت الأسرة الإيسورية بأمرين: الأول هو التشريعات القانونية في محاولة لجعل الشريعة الرومانية منسجمة مع التعاليم المسيحية في النواحي الخلقية والعائلية والإنسانية. وامتازت على قوانين جوستينيان، وبقيت سائدة إلى زمن الأسرة المقدونية.

والثاني هو محاربة الصور والتماثيل في الكنائس وهو ما عُرف في التاريخ البيزنطي باسم حرب الأيقونات.

ليو (لاون) الثالث (٧١٧ - ٧٤١م)

وهو يُسمى لاون الإيسوري، وفي عهده حاصر الأسطول العربي الإسلامي المكون من ١٨٠٠ سفينة شواطئ مدينة القسطنطينية، وحاصرها المسلمون براً أيضاً، إلا أن البيزنطيين استطاعوا إحراق كثير من قطع الأسطول العربي، ففشل الحصار وانتصر البيزنطيون، واعتبرت سنة ٧١٨م في التاريخ البيزنطي تاريخاً عالمياً إذ أشار إليه كثير من المؤرخين بأنه يمثل التاريخ الذي تخلّصت فيه الإمبراطورية البيزنطية وشرق أوروبا كله من المد الإسلامي، ولعباد المسلمين، لذلك الكثرة على القسطنطينية.

في هذه الفترة ظهر القديس يوحنا الدمشقي (٦٧٥ - ٧٤٩م) كأشهر المدافعين عن الأيقونات في هذه الفترة الأولى من حرب الأيقونات. ومما سهّل له حرية الدفاع عن الأيقونات أنه كان مقيماً داخل نطاق أراضي خاضعة للحكم الإسلامي في مأمن من أذية الحكومة البيزنطية.

قنسطنطين الخامس (٧٤١ - ٧٧٥م)

هو إداري قدير ناصر بشدة حركة تحطيم الصور والتماثيل. وكانت فترة الاضطرابات الناجمة عن سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية ونقل العاصمة من الشام إلى بغداد فترة مواتية تقدّم فيها البيزنطيون في مناطق من آسيا الصغرى على حساب المناطق الإسلامية. واستطاع الإمبراطور قنسطنطين الخامس التوغل في المناطق السورية.

ليو الرابع (٧٧٥ - ٧٨٠م)

في عهده عُقد مجمع نيقية المسكوني السابع سنة ٧٧٨م، لبحث مشكلة الأيقونات التي أفلقت الكنيسة البيزنطية قرابة قرن من الزمان. وهذا الإمبراطور هو الذي صد هجوم العرب سنة ٧٧٨م، ولما أشرف حكمه على الانتهاء استأنف سياسة أبيه اللاأيقونية، وإثر وفاته أصبحت زوجته الإمبراطورة إيريني وصية على ابنها الصغير قنسطنطين السادس.

قنسطنطين السادس (٧٨٠ - ٧٩٧م)

لم يستأنف العرب هجومهم إلا في عهد الخليفة المهدي، حيث اضطر قنسطنطين السادس إلى عقد هدنة معهم، وتعهد بدفع جزية سنوية قدرها سبعون ألف دينار، على أن تستمر الهدنة لمدة ثلاث سنوات. وفي

سنة ٧٩٢م، شاركته أمه الحكم، وفي سنة ٧٩٧م انتهزت فرصة عدم

حب الناس له، فخلعته عن العرش وسملت عينيه!.

الإمبراطورة إيريني (٧٩٧ - ٨٠٢م)

وهي أول إمبراطورة تتولى عرش القسطنطينية بانتهاج سياسة لا أخلاقية. وفي عهدها تمكّن المسلمون في زمن هارون الرشيد من إجبار إيريني على احترام الهدنة السابقة، على إثر اندحار جيوشها ثانية سنة ٧٩٨م. وكان تسلمها للعرش فرصة مناسبة لعدم اعتراف الباباوات في روما بزعامة أباطرة البيزنطيين الدنيوية للعالم المسيحي، والعمل على إحياء الإمبراطورية الرومانية في الغرب بتتويج شارلمان إمبراطوراً سنة ٨٠٠م، لعدم جواز تزعم امرأة للعالم المسيحي. وفي الحقيقة لا يوجد نص قانوني يمنع المرأة من أن تتولى رئاسة المؤسسة الإمبراطورية، غير أن المرأة لا يمكنها أن تكون المرجع الديني الأعلى، ولا يمكنها من ناحية واقعية أن تقود الجيش. ويحق لزوج الإمبراطور تعيين ولي عهد في حالة غياب زوجها أو عدم بلوغ ابنها سن الرشد. وإن حالة الإمبراطورة إيريني هي من الحوادث الشاذة، ومع ذلك فقد خلعت بالقوة.

القسم الأول: من سنة ٨٠٢ - سنة ٨٢٠م، وحكم فيها أباطرة من أصول مختلفة.

القسم الثاني: من سنة ٨٢٠ - ٨٦٧م، وحكمت فيها الأسرة العمورية.

أمّا القسم الأول فقد حكم فيه أربعة أباطرة، وهم:

الإمبراطور نيقيفوروس Nicephorus الأول (٨٠٢ - ٨١١م)

كان مالياً ممتازاً. لكنه كان جندياً هاوياً هزبل الكفاءة. لم يحاول إثارة موضوع الأيقونات ولكنه حاول إلغاء الاتفاقيّة التي عقدها إيريني مع الخليفة العباسي المهدي، واسترجاع الإتاوات التي دفعتها، فاستشاط هارون الرشيد غضباً، وأجاب برسالة مقتضبة شهيرة جاء فيها:

”بسم الله الرحمن الرحيم. من هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم. حقاً يا ابن الكافرة قرأت رسالتك. أما الجواب فلعينيك أن تراه لا لأذذك أن تسمعه“.

وشن هارون الرشيد عدة حملات سنة ٨٠٦م انتهت بمعاهدة صلح فرضت فيها الجزية على الإمبراطور نفسه، وعلى أفراد عائلته، بالإضافة إلى الاستمرار في دفع الإتاوات السابقة، ولقد تمكن الملك كرم Krum ملك بلغاريا من الانتصار على الجيوش البيزنطية وقتل الإمبراطور نيقيفور سنة ٨١١م.

الإمبراطور استوراكيوس (٨١١م)

هو ابن الإمبراطور نيقيفوروس، ووريثه، وكان قد جرح جرحاً بليغاً مميتاً في حرب والده مع ملك بلغاريا، قضى عليه بعد بضعة أشهر، وأعقبه على العرش زوج أخته ميخائيل الأول.

الإمبراطور ميخائيل الأول (٨١١ - ٨١٣ م)

هو ثري من المدنيين، لم يحاول إثارة موضوع الأيقونات، وعزل من منصبه بسبب نجاح البلغار في مهاجمة العاصمة، إثر فتنة عسكرية دبرها له قائده الخائن لاوون، وهو من الأرمن، وتولى الإمبراطورية من بعده.

الإمبراطور ليو الخامس (٨١٣ - ٨٢٠ م)

يُعتبر المسئول عن تجديد الصراع حول الأيقونات، ومحاربتها. وقد نجح في سنة ٨١٣ م في صد البلغار عن القسطنطينية، وعقد معهم هدنة لمدة ثلاثين سنة، واعتيل وهو يصلي في الكنيسة.

أما القسم الثاني فقد حكم فيه ثلاثة أباطرة:

الإمبراطور ميخائيل الثاني (٨٢٠ - ٨٢٩ م)

كان ضد الأيقونات، ولكنه لم يثر حرباً عليها. واتخذ إحدى الراهبات زوجة ثانية له، وهي افروسينا Euphrosyne فضاعف من سخط الكنيسة عليه. وفي عهده عاود العباسيون هجماتهم على الإمبراطورية البيزنطية بعد انتصار المأمون على أخيه الأمين، وبمعاونة المأمون الذي مدَّ يد المساعدة إلى الثائر توماس الذي نصَّب نفسه إمبراطوراً على القسطنطينية بتأييد المأمون في أنطاكية، مما أدى إلى حرب أهلية شعواء

الإمبراطور ثاوفيلس (٨٢٩ - ٨٤٢م)

مال إلى سياسة العنف تجاه مؤيدي الأيقونات، وشهد حكمه نهضة في العلوم الدنيوية ورقياً في النواحي الفنية، لأنه كان قد تأثر بحضوره العباسيين في بغداد.

ولقد أحرز المأمون انتصارات على جيوشه سنة ٨٣١م، واضطر إلى إرسال وفد إلى بغداد من أجل الصلح سنة ٨٣٣م، ولكن توفي المأمون في تلك السنة، فانتهاز ثاوفيلس الفرصة وتوسع على حساب المناطق الإسلامية في الأناضول مما اضطر الخليفة المعتصم أن يجرّد حملة سنة ٨٣٨م استرد فيها المناطق الإسلامية واستولى على مدينة عمورية. وكان ينوي الزحف على القسطنطينية، لكنه عاد إلى العراق لارتباك الأوضاع هناك، وتوقفت الهجمات الإسلامية ضد الإمبراطورية البيزنطية منذ ذلك التاريخ، وحتى نهاية حكم الأسرة العمورية.

الإمبراطور ميخائيل الثالث (٨٤٢ - ٨٦٧م)

كان تحت وصاية أمه ثيودورا، وكانت هذه الإمبراطورة تؤيد الأيقونات، فنفت رئيس الأساقفة جون النحوي، وأسندت مهام البطريركية إلى ميثوديوس Methodius نصير الأيقونات. وعقدت مؤتمراً سنة ٨٤٣م أسفرت قراراته عن إعادة الأيقونات إلى الكنائس في ١١ آذار (مارس) وأصبح ذلك اليوم يُسمى في الكنائس البيزنطية "عيد الأرثوذكسية".

مما لا شك فيه أن حرب الأيقونات قد أضعفت الحكم البيزنطي إذ كان الأكثرية من قادة الجيش وهم من أصل أرمني لا أيقونيين، بينما كان قادة الحكم الإداري على العكس من ذلك، فارتبكت الأوضاع في الإمبراطورية وضعف الولاء للإمبراطور، بجانب أنها كانت أيضاً من

العوامل التي كدّرت صفو العلاقات بين الكنيستين الشرقية والغربية.

فضلا عن إتلاف كثير من الكنوز الفنية الدينية. كما أعطت - على الأقل - لكنيسة روما فرصة التفوق الروحي على الكنيسة البيزنطية.

الأسرة المقدونية

يمتد تاريخها من سنة ٨٦٧ - ١٠٥٦م، ويُعتقد أن مؤسسها هو باسيل الأول (٨٦٧ - ٨٨٦م)، وهو من سلالة أرمينية استوطن مقدونيا. وقد أشركه ميخائيل الثالث في حكم الإمبراطورية وأعلن نفسه إمبراطوراً إثر اغتيال ميخائيل الثالث.

ولقد بلغت الإمبراطورية ذروة عظمتها في فترة حكم هذه الأسرة، فقد وصلت الحياة الفكرية إلى أوجها في شتى المجالات الفنية والأدبية والفلسفية، ويُشار إلى الرقي الفني في تلك الفترة بالعصر الذهبي الثاني تمييزاً له عن العصر الذهبي الأول في عهد جوستنيان، حيث اهتمت السلطة البيزنطية في منتصف القرن الحادي عشر بالدراسات العليا، وخصّصت الحكومة البيزنطية رواتب للأساتذة في جامعة القسطنطينية، وألبسة رسمية للتدريس ومساكن خاصة، وجعلت الدراسة مجانية ومتيسرة لكل الطبقات. وإن إعادة تنظيم الدراسات العليا في جامعة القسطنطينية سنة ١٠٥٤م تعد من الظواهر العلمية الكريمة، في عصر الأسرة المقدونية.

الدولة العباسية نتيجة استقلال الطولونيين في مصر، وتسلب الأتراك على الخلفاء، فوسّع حدوده في جهات آسيا الصغرى.

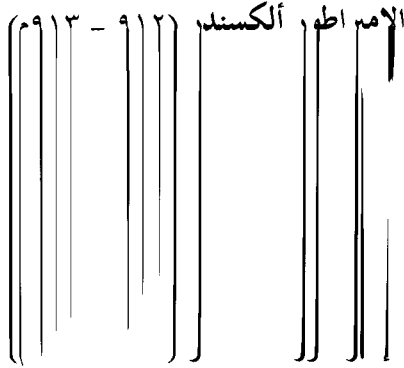
الإمبراطور ليو السادس (٨٨٦ - ٩١٢م)

هو ابن الإمبراطور باسيل الأول، ويُلقب بالإمبراطور الحكيم، وتبني رعاية العلماء والأدباء، وأكمل ما بدأه والده في مجال التشريع، ووضع ٦٠ كتاباً تحوي التشريع الروماني، متناولاً التنظيم الإداري للإمبراطورية، وقسمها إلى ٢٥ منطقة، وحدد رواتب ثابتة لحكامها.

وكان الإمبراطور باسيل الأول ومن بعده ابنه ليو السادس قد قاما بتجميع جديد للقوانين حيث أصدرنا مجموعة قوانين تُعرف باسم "باسيليكا - Basilica" وظل معمولاً بها حتى نهاية الإمبراطورية البيزنطية.

ولكن بسبب محاولة الإمبراطور ليو السادس حصر وراثته العرش في نسله، نجحت أمامه مشاكل مع الكنيسة في القسطنطينية، فقد تزوج أربع مرّات من أجل إنجاب وريث ذكر للعرش، ومعروف أنه من الوجهة القانونية الكنسية لا يجوز تعدد الزوجات، لاسيما لرابع مرّة، فاضطر الإمبراطور لعزل البطريرك نيقولا بابا روما لمعارضته في ذلك، ثم احتكم إلى ليو السادس بابا روما في موضوع زواجه، فجاءت النتيجة لصالحه!

وفي عهده استولى المسلمون على جزيرة مالطة، وتوغلوا في صقلية، وشبه الجزيرة الإيطالية، وهددوا الممتلكات البيزنطية هناك، واشتبك الإمبراطور ليو السادس في حروب معهم لم تسفر عن نتائج للبيزنطيين.



هو أخو ليو السادس، والذي ظل يتولى منصب الإمبراطور الشريك Co - Emperor منذ مطلع شبابه، إذ كان يحكم بالاشتراك مع الإمبراطور قسطنطين السابع ابن لاون.

الإمبراطور قسطنطين السابع (٩١٣ - ١٠٩٣م)

هو ابن لاون (ليو) السادس، كان أديباً وفناناً، وأرّخ لسيرة جده باسيل الأول، وألّف كتاباً في إدارة الإمبراطورية البيزنطية بحث فيه العلاقات الدبلوماسية للدولة البيزنطية مع الأمم الأخرى، واحتوى الكتاب على معلومات جغرافية واجتماعية قيّمة.

الإمبراطور رومانوس الأول (٩١٣ - ١٠٩٣م)

تفشى في عهده الإقطاعيون أصحاب الأراضي، وزادت نسبة الفقراء، فأصدر مرسوماً سنة ١٠٣٤م أمر فيه الإقطاعيين بإرجاع ما اغتصبوه من أراض، وهزمه الملك البلغاري سيمون الكبير (٨٩٣ - ٩٢٧م) الذي لُقّب باسم إمبراطور البلغار والإغريق، حيث أصبحت العاصمة البلغارية في عهده تضاهي العاصمة البيزنطية أبهة وعظمة. متصلاً بالباغانين والبيزنطيين إلى هُنا في عهد الملك البلغار

على كيليكيا، ووسعوا حدودهم في جهات الفرات إلى ما وراء الرها.

الإمبراطور نيقيفوروس الثاني (٩٦٣ - ٩٦٩م)

ألغى كافة القوانين الموجهة ضد الإقطاعيين بعد أن أصبحت هذه الطبقة تهدد كيان الإمبراطور نفسه.

الإمبراطور يوحنا الأول (٩٦٩ - ٩٧٦م)

حاول انتزاع القدس من المسلمين على حد قول بعض المؤرخين.

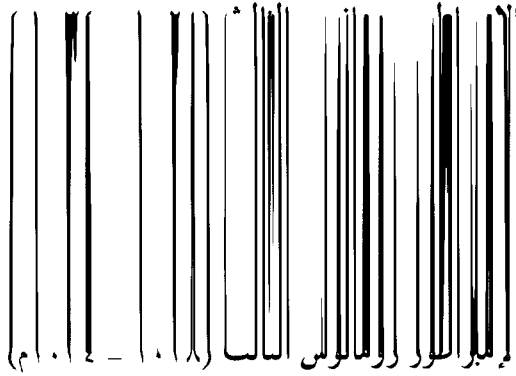
الإمبراطور باسيل الثاني (٩٧٦ - ١٠٢٥م)

أصدر عدّة مراسيم ناشد فيها الإقطاعيين إرجاع الأراضي التي استولوا عليها، وأن تبقى لهم الأراضي التي وقعت بأيديهم قبل هذا التاريخ إن لم ينازعه أحد على ملكيتها.

وقد تمكّن من القضاء على استقلال بلغاريا سنة ١٠١٨م، ولم تستعد بلغاريا استقلالها إلاّ في أواخر القرن الحادي عشر. وقد أدى تدمير الدولة البلغارية إلى مواجهة الإمبراطورية البيزنطية لخطر قبائل البشناق بصورة مباشرة. وبوفاة باسيل الثاني أخذت الأوضاع السياسية في التدهور في الإمبراطورية البيزنطية، وخلفه أخوه قسطنطين الثامن.

الإمبراطور قسطنطين الثامن (١٠٢٥ - ١٠٢٨م)

حكم لمدة ثلاث سنين حكماً لا جدوى منه، وتوفي تاركاً ثلاث بنات مكتهلات.



كان شخصيةً محترمة، ولكنه كان مبذراً، ومغروراً. وفق بين مصالحه ومصالح الإقطاعيين، وعقد معاهدة مع الفاطميين تضمّنت حرية العبادة للمسيحيين وترميم الكنائس. بعد موته في ظروف غامضة سارعت زوجته إلى الزواج من شاب بافلاغوني جميل الصورة حكم سبع سنوات.

الإمبراطور ميخائيل الرابع (١٠٣٤ - ١٠٤٢ م)

كان ذا كفاءة وقوة شكيمة، فأخذ بنجاح ثورة بلغارية خطيرة، ولكنه كان مصاباً بالصرع، وعند وفاته اقتنعت زوجته بتبني ابن أخيه ميخائيل وتبويجه. وهو الإمبراطور ميخائيل الخامس فثار العامة عليه وخلعوه عن العرش.

الإمبراطور قسطنطين التاسع (١٠٤٢ - ١٠٥٥ م)

كان كسولاً فاسداً، في عهده حدث الانشقاق العظيم بين الكنيستين الشرقية والغربية سنة ١٠٥٤ م نتيجة لفوارق سياسية وثقافية بين القسمين انعكست على مواقف الكنيستين تجاه بعضهما البعض،

سنة ١٠٥٦م قُضي على الأسرة المقدونية.

الفترة من سنة ١٠٥٦م إلى سنة ١٢٠٤م

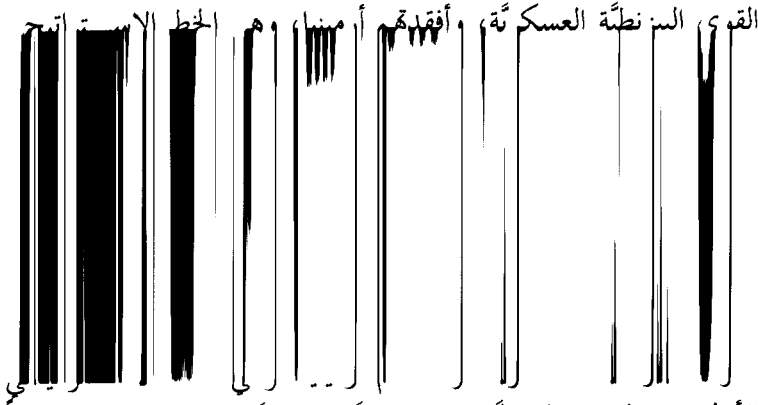
لم يصبح بمقدور السلطة البيزنطية الاستمرار في الكفاح ضد الإقطاعيين والحيولة دون استحواذهم على أراضي صغار الملاك، فاهارت نظم الجباية، وأصبحت السلطة الإمبراطورية بيد الإقطاعيين العسكريين أو الإداريين، وأصبح الإقطاع من صفات الحكم البيزنطي حتى سقوط الإمبراطورية سنة ١٤٥٣م.

ومن جهة أخرى بدأ التنافس على العرش يأخذ أشكالا حادة. وظهر السلاحقة^(١٩) على حدود الإمبراطورية في أواخر النصف الأول من القرن الحادي عشر، واعتنقوا الإسلام، واحتلوا فارس، وبسطوا نفوذهم على العراق، وأصبحت الخلافة العباسية خاضعة لنفوذهم سياسيا وعسكريا.

وبدأوا غاراتهم على البيزنطيين سنة ١٠٤٩م، واصطدموا معهم سنة ١٠٧١م، في عهد الإمبراطور رومانوس الرابع فاهزمت الجيوش البيزنطية في موقعة "مانزكرت"، ووقع رومانوس أسيراً بيد السلاحقة، فأطلقوا سراحه مقابل إتاوة سنوية، ولكنه حال رجوعه إلى القسطنطينية صدر عليه حكم الإعدام، وانتخبت العاصمة إمبراطورا جديدا هو ميخائيل السابع.

وتعتبر موقعة "مانزكرت" من المعارك الحاسمة في التاريخ، لأنها أدت إلى نتائج خطيرة انعكست على الإمبراطورية البيزنطية. فقد شلت

١٩- نسبة إلى جدهم "سلجوق" والذي كان تابعا لإمبراطورية تركستان.



الأول من الجهات الشرقية للإمبراطورية البيزنطية. وتعتبر الموقعة أيضاً نقطة تحوّل خطيرة في تاريخ الحروب بين الإسلام والمسيحية.

لقد دفع خطر السلاجقة أباطرة بيزنطة إلى الاستنجاد بالبابا الروماني واعددين بإزالة الخلاف بين الكنيستين. وعلى كل فقد استفاد السلاجقة من حالة الفوضى التي سادت الإمبراطورية البيزنطية إثر موقعة مانزكرت، وأخذت فرق الجيش المتنافسة على العرش تتسابق في طلب مساعدة السلاجقة ضد بعضها البعض. وظلت هذه القبائل تشكل خطراً مستمراً على الإمبراطورية حتى اضمحلت دولة السلاجقة في نهاية القرن الثالث عشر على يد المغول.

ثم ظهر النورمنديون الذين انتهزوا ارتباك الأوضاع في الإمبراطورية البيزنطية حيث استطاعوا أن يزيلوا النفوذ البيزنطي من جهات البحر المتوسط، وقد لاقى البيزنطيون من هؤلاء النورمنديين الأمرين في جهات البحر المتوسط وآسيا الصغرى، وهاجموا الإمبراطورية من جهات الأدرياتيك مستهدفين الاستيلاء على القسطنطينية.

كانت قبائل البشناق والسلاجقة والنورمنديين وكذا قبائل الكومان

الإمبراطورية البيزنطية، لم يكن هدف البيزنطيين تحرير الأراضي المقدسة، والتدخل في شؤون البطريركيات الأخرى خارج حدود بلاده. ولكن الإمبراطور ألكسيوس هياً للحملة وسائل العبور من القسطنطينية إلى الجانب الآسيوي بعد أن تعهد قادها بإرجاع ما يستولون عليه من مناطق كانت تابعة للإمبراطورية البيزنطية منذ سنة ١٠٧١م، وسقطت أنطاكية سنة ١٠٩٨م بأيدي الصليبيين، ورفض القائد النورمندي بوهيند إرجاع أنطاكية إلى البيزنطيين، فاشتبك إثر عودته مع ألكسيوس في معركة عسكرية انتصر فيها ألكسيوس وأجبره فيها على توقيع معاهدة ديفول سنة ١١٠٨م.

ومنذ القرن الحادي عشر والثاني عشر اضمحلت التجارة التي كانت مزدهرة ازدهاراً بالغاً في الإمبراطورية البيزنطية، بسبب امتيازات مُنحت للبيدقية بعد أن وعدت بالمساعدة، إذ كان أسطول البيدقية أقوى من أسطول بيزنطة، أما دهاء البنادق فهو الذي حمل الصليبيين على مهاجمة القسطنطينية مما أدى إلى أن تفقد الإمبراطورية مكانتها.

الأسرة الإنجيلية (١١٨٥ - ١٢٠٤م)

إعتلى اسحق الإنجيلي (١١٨٥ - ١١٩٥م) عرش الإمبراطورية ولكنه لاقى معاملة قاسية من أخيه ألكسيوس الثالث، إذ دبر هذا الأخير انقلاباً سياسياً أودع فيه اسحق الإنجيلي السجن بعد أن سمل عينيه، واعتلى عرش الإمبراطورية (١١٩٥ - ١٢٠٣م). وقد تسبب ذلك الحدث في نتائج خطيرة بالنسبة لمصير الإمبراطورية، إذ أثار هذا العمل هنري السادس إمبراطور ألمانيا، وكان على صلة نسب بإسحاق الإنجيلي، ففكر جدياً في الاستيلاء على الإمبراطورية البيزنطية، وظل يمثل خطراً داهماً

عليها حتى سنة ١١٩٧م، إلا أن الضربة الماحقة التي عصفت

بالإمبراطورية كانت هي الحملة الصليبية الرابعة والتي دعا إليها البابا
 إينوسنت الثالث بابا روما، مدفوعاً بدافع التعمق على الإمبراطورية
 البيزنطية ومتخذاً من الدين غطاءً يستر به دوافعه.

توجهت الحملة إلى القسطنطينية^(٢٠)، وقرّر الصليبيون احتلال
 القسطنطينية واقتسام الممتلكات البيزنطية. وسقطت القسطنطينية بيد
 الصليبيين. ومع أن الإمبراطورية البيزنطية عادت للوجود مرة ثانية سنة
 ١٢٦١م إلا أنها بقيت شبحاً هزيباً، ولم تستطع فيما بعد الاعتماد على
 نفسها في الدفاع عن أرضها. فتباعدت الكنيستين الشرقية والغربية
 بشكل لم يسبق له مثيل. وهدم الصليبيون باسم الصليب الحصن الأوروبي
 المنيع في الجهات الشرقية من أوروبا، وهو الذي طالما وقف حائلاً دون
 التقدم العربي الإسلامي من الشرق، والبرابرة من الشمال.

الفترة من سنة ١٢٠٤م إلى سنة ١٢٦١م

لقد شعرت الشعوب اللاتينية بضعف الدولة البيزنطية، وكانت
 مطلعة على مقدار ثروة القسطنطينية، فاجتهدت الحملة الصليبية الرابعة إلى
 العاصمة القسطنطينية، ونجحت بمساعدة البنادقة (أهل البندقية) وبرضى

الصلبيون، فكانت ثلاثة أيام رهية قال عنها نيسيتاس كونياتس محتجاً: "حتى البربر رحيمون طيبون إذا ما قورنوا بهؤلاء الرجال الحاملين صليب المسيح على أكتافهم".

لقد انتهكت المقدسات علي نطاق كامل ومنحل، فقد هدم الصليبيون المذابح المقدسة، وحطموا الإيقونستاس، وأجلسوا العاهرات على العرش البطريركي، وعادوا إلى بلادهم برفات القديسين والذخائر التي سلبوها.

وظلت الكنيسة البيزنطية ترزح تحت عسف وجور الصليبيين لأكثر من نصف قرن حتى قام أحد حكام نيقية واسمه ميشيل الثامن باليلولوغ وانتزع السلطة منهم بعد أن شعر بضعف الدولة اللاتينية، وأعاد الحكم البيزنطي إلى القسطنطينية.

لقد كان احتلال اللاتين للقسطنطينية واستنفاذهم قواها وثرواتها ضربة قاسية تعد من الأسباب الرئيسية لسقوط الإمبراطورية البيزنطية^(٢١).

رابعاً: سقوط الإمبراطورية البيزنطية

حكم آل باليولوغ مدة قرنين من الزمان (١٢٦١ - ١٤٥٣م) ولكن دولتهم لم تكن لتزداد إلا ضعفاً وانحطاطاً، حيث تفاقمت المنازعات الاجتماعية بين الطبقات، وانحط الشعور الوطني، وفرغت الخزينة، وأصبح الجيش قليل العدد، ضعيف الاستعداد. ولكن بالرغم من كل ذلك فقد كان من حيوية الحضارة البيزنطية أنه حتى عندما كانت الدولة

٢١- اعتذر البابا يوحنا بولس الثاني مرتين للأرثوذكس عن الأخطاء التي ارتكبتها الكاثوليك ضدهم. وكانت المرة الثانية أثناء زيارته لأوكرانيا.

تحتضر سياسياً واقتصادياً في زمن هذه الأسرة،، حصل بعث أدبي وفني،

وكانت المدارس كثيرة ومزدهرة. فقد شهد هذا العصر جماعة من المؤرخين والشعراء والخطباء واللاهوتيين والعلماء، وفي ذلك قال شارل ديل:

”إن بيزنطة كأنها استجمعت كل قواها الفكرية قبل سقوطها النهائي، لكي تسطع بنور أخير“.

وكان الاهتمام الفني في ذلك العصر محصوراً في زخرفة الأيقونات، ونجد أهم نماذج هذا الفن في هذه الفترة في كل من الصرب واليونان.

في هذه الفترة عارض الشعب البيزنطي الأباطرة أن يتفاهموا مع الباباوية للحصول على مساعدة الدول الغربية ضد الأتراك، فقد حاول الإمبراطور ميخائيل الثامن وهو الذي استعاد القسطنطينية من اللاتين إعادة الوحدة بين الشرق والغرب، وكان في أشد الحاجة للحصول على مساعدة الغرب ضد الأتراك، فعُقد في سنة ١٢٧٤م مجمع يُدعى ”مجمع ليون“ وافق فيه الأرثوذكسيون الحاضرون على الاعتراف بسلطة البابا وبالعقيدة الرومانية المتعلقة بانثاق الروح القدس، لكن ظل الاتفاق حبراً على ورق إذ رفض الشعب بشدة من إكليروسه وعلمانيه ليس في الكنيسة البيزنطية فحسب، بل أيضاً في بلغاريا وباقي البلاد

١٤٤٨م) وهو الذي سعى للاتحاد مع روما، ومعه بطريرك القسطنطينية، إلى جانب عدد كبير من ممثلي الكنيسة البيزنطية وبعض الكنائس الأرثوذكسية الأخرى، وحدث أن وقع الأرثوذكس الحاضرون على القضايا المتنازع عليها أي: انبثاق الروح القدس (أي قبول زيادة كلمة "والابن" على دستور الإيمان)، والمطهر، والخبز والفطير، وزعامة بابا روما، ما عدا مرقس رئيس أساقفة أفسس الذي تم إعلان قداسه فيما بعد في الكنيسة الأرثوذكسية.

ولقد تراجع العديد من الأساقفة الموقعين على قرارات مجمع فلورنسا فور عودتهم بعد أن واجهت أخبار توقيع الوثيقة معارضة شعبية، ولم يبق سوى قلة ضئيلة من الشعب والإكليروس البيزنطيين ممن قبلوا بقرارات المجمع. كما واجهت الاتفاقية معارضة شديدة في البلاد الأرثوذكسية الأخرى خاصة روسيا، ففي سنة ١٤٤٨م عقد الأساقفة الروس مجمعاً أعلنوا فيه رفضهم لاتفاقية فلورنسا، واعتبروا أن بطريركية القسطنطينية قد تخلت عن الإيمان الأرثوذكسي.

لقد قبل الأرثوذكس المجتمعون في مجمع فلورنسا كل معتقدات الكنيسة الكاثوليكية بغية مساعدة الغرب لهم لتحميم من الأتراك! وعلى الرغم من أن مجمع فلورنسا قد قوبل بالترحاب في أوروبا الغربية، فلم يكن حظها من التطبيق في الشرق أقوى من حظ مجمع ليون، ولم يجسر أحد على إعلان هذا الاتحاد في القسطنطينية قبل سنة ١٤٥٢م، لأن الإمبراطور قسطنطين الحادي عشر (١٤٤٩ - ١٤٥٣م) آخر إمبراطور بيزنطي أراد التفاهم مع روما، والقبول بشروطها، فقبل بمعارضة شعبية شديدة، وقال شعب القسطنطينية يومئذ إنهم يفضلون أن تسود مدينتهم عمامة الأتراك على أن تسودها قبعة اللاتين.

وبرغم المعارضة لقرارات المجمع في الشرق، ظل الاتفاق بين كرسي

روما وكرسي القسطنطينية قائماً. وفي صباح يوم الثلاثاء ٢٤ مايو سنة ١٤٥٣م أُقيمت صلاة القدّاس في كاتدرائية آجيا صوفيا، واشترك الأرثوذكس واللاتين في الصلاة معاً، والتناول من الأسرار المقدّسة، وتناول الإمبراطور من الأسرار المقدّسة، وخرج مع جنوده للدفاع عن المدينة أمام جحافل الأتراك الذين كان عددهم يزيد عن عدد جنود الإمبراطور عشرين ضعفاً. ولم ينته اليوم حتى كان السلطان محمد الفاتح قد دخل القسطنطينية^(٢٣). وقتل الإمبراطور قسطنطين الحادي عشر.

ولقد اعتبرت كنيسة روسيا فيما بعد أن سقوط القسطنطينية في أيدي الأتراك كان عقوبة الله لها لتخليها عن إيمانها.

ومنذ أن تولى السلطان العثماني محمد الثاني (١٤٥١ - ١٤٨١م) أخذ يستعد لفتح القسطنطينية، فأقام القلاع على جانب البوسفور المطل على جهات العاصمة من الشمال، ونصب فيه المدافع الثقيلة، وقاد حملة عسكرية ضد المورا للحيلولة دون تقديمها المساعدات للعاصمة. أما الإجراءات التي اتخذها قسطنطين الحادي عشر فلم تكن تتعدى ترميم الأسوار، وإدخال الأغذية، ولم يحاول الأوربيون مدّه بالمساعدات العسكرية إلا بقوآت صغيرة من حكومتَي البندقية وجنوا. وعوضاً عن المساعدات العسكرية الأوربية التي تتطلبها الساعة، جاءته وفود من

كان فيه الخطر العثماني ماثلاً أمام الأسوار.

بدأ الحصار العثماني في أوائل نيسان (إبريل) سنة ١٤٥٣م، واستمر حتى ٢٩ مايو، وبرهنت الحوادث على أن أسوار العاصمة المنيعه لم تكن شيئاً أمام المدفعية العثمانية الثقيلة، حيث كانت جيوش الأتراك تفوق جيش القسطنطينية عشرين مرة.

وبعد حصار دام خمسين يوماً سقطت القسطنطينية، واستباح العثمانيون المدينة لمدة ثلاثة أيام، ودخل السلطان محمد الثاني إلى كنيسة آجيا صوفيا ركباً حصانه، عابراً به على جثث الموتى التي فرشست أرض الكنيسة، فسقطت روما الجديدة، وتسلمت موسكو التراث.

وبرغم ذلك يشير المؤرخ يوسبنسكي Uspensky إلى أن معاملة الأتراك للسكان في القسطنطينية كانت أرحم من معاملة الصليبيين لهم أثناء احتلالها سنة ١٢٠٤م.

لقد قُدِّر للمدينة التي شادها قسطنطين الأول أن تطوي آخر صفحاتها في عهد سميّه قسطنطين الحادي عشر، وحقق العثمانيون ما عجز عن تحقيقه الفرس. ولقد كان حدث سقوط القسطنطينية من الحوادث الخطيرة في التاريخ ولم يزل مجالاً خصباً للاستنتاج والتأمل. كما أنه أثار جدلاً بين المؤرخين بشأن من أولى أن يرث الكنيسة البيزنطية، وهي موسكو صاحبة الميراث أم غيرها؟ ولكن الحقيقة التي لا تبدّل هي أن العالم الغربي وعلى رأسه روما كانت تريد للإمبراطورية البيزنطية أن تتلاشى. وبالفعل انتهت هذه الإمبراطورية التي دامت نحو عشرة قرون. ويعتبر سقوطها هو نهاية العصور الوسطى، وبدء

العصر الحديث^(٢٤). كما أن نهاية الإمبراطوريّة الرومانية في الغرب

سنة ٤٧٦م هو نهاية العصور القديمة.

تلك كانت نهاية الإمبراطوريّة البيزنطيّة، ولكنها لم تكن نهاية كنيسة القسطنطينيّة ولن تكون، لأن الكنيسة لا تموت.

الفصل الثاني

إطالة على أهم خصائص المجتمع البيزنطي

إن دوام الإمبراطورية البيزنطية على مدى إحدى عشرة مائة من السنين إنما يعود إلى الفضائل التي تميّز بها دستورها ونظامها الإداري. لأنه يندر أن توجد إمبراطورية أو دولة قد نظّمت شؤونها بطريقة ملائمة لزمانها، ووجهت بمزيد العناية للحيلولة دون بقاء السلطة في قبضة عديمي الكفاءة، مثلما كان الوضع في الإمبراطورية البيزنطية، التي تُعتبر بحق رائدة في هذا المضمار.

أولاً: بعض سمات المجتمع البيزنطي

اتسم المجتمع البيزنطي بسمات خاصة ميزته عن غيره من المجتمعات الأخرى، ونورد هنا بعضاً منها:

شخصية الإمبراطور ونفوذه اللامتناهي

كانت العادة أن يُتَّوَّج الإمبراطور سواء بعد انتخابه أو اختياره. وكان حفل التتويج يضاف على سلطته قناعة دينية بحيث يستطيع أن

وفي البداية كان يقوم أحد البارزين من ممثلي الناحيين بمراسم تتويج الإمبراطور، ثم انتقل الأمر بعد ذلك إلى بطريك القسطنطينية للقيام بهذا الدور، لأنه يتولى أعلى منصب بعد التاج. فالبطريك هو الذي توج ماركيان على الأرجح، كما توج لاون الأول على وجه التحقيق.

وظلت مراسيم التتويج تباشر منذ القرن السابع في كنيسة آجيا صوفيا، ويشهدها رجال السناتو ويمثلو الشعب الذين كانوا يهتفون للإمبراطور الجديد داخل الكنيسة وخارجها. أما عادة مسح الإمبراطور بالزيت بعد تتويجه، فقد أدخلها البيزنطيون.

لقد كان القوم يحسون أن مراسيم التتويج تمنح الإمبراطور مكانته كشيء إله، وكنائب لله على الأرض، وكان الإمبراطور يشعر شعوراً قوياً أنه رأس الكنيسة المسيحية. وقد أفضى مركز الإمبراطور كرئيس ديني إلى شعوره أنه تلقى الإمبراطورية من الله. فمثلاً يقول باسيلوس الأول لوريته لاون السادس: "إنك حصلت على التاج من الله عن يدي". وهكذا أضحت الكنيسة - وحتى النهاية - فرعاً من فروع الدولة.

ولكي يحافظ الإمبراطور على هذا المركز ومهابته ومكانته عالية، فكان لابد لكل إنسان أن ينبطح على الأرض في حضرته، حتى السفراء الأجانب أنفسهم عند مقابلتهم له. فالإمبراطور هو صورة الله على الأرض، وكما كان الناس يسجدون في الكنائس أمام أيقونة السيد المسيح، كذلك كانوا يسجدون في القصر أمام الإمبراطور.

كان الحكم في الإمبراطورية أوتوقراطياً مطلقاً، فمنذ عصر الإمبراطور دقلديانوس ظل الإمبراطور يحكم البلاد بمفرده، فكان هو السلطة العليا في البلاد، فيستطيع تعيين جميع الوزراء وعزلهم بمطلق

إرادته، وكانت بيده مقاليد التصرف المطلق في الشؤون الماليّة، وكان

التشريع في يده وحده، وهو القائد الأعلى لجميع القوات العسكريّة بالإمبراطوريّة، وهو فوق ذلك رئيس الكنيسة الأعلى. وبالاحتصار كانت سياسته ونزواته هي التي تصوغ مصير الملايين من رعاياه.

وبرغم كل ذلك كان الإمبراطور يعترف على الدوام أنه ملتزم أن يحترم القوانين الرئيسيّة للشعب الروماني. وبرغم أنه كانت تكمن في أعماق النفس الفكرة القائلة بأن السيادة للشعب، إلا أن واقع الأمر هو أن الشعب قد فوض سلطته بالكامل للإمبراطور.

والإمبراطور هو الذي يعيّن الأساقفة، ويعزّهم، ويعطيهم سلطتهم الروحيّة. وهو الذي يضع القوانين الدينيّة، ويدعو الكنيسة للانعقاد في مجمع عام، ويدير مباحثاتها، ويثبّت قراراتها وينفّذها، وهو الذي يضع الأنظمة الكنسيّة، ويثبّت العقائد، فهو في إيجاز صاحب الكلمة العليا في شؤون الكنيسة. وكان للإمبراطور مكانة خاصة في الخدم الكنسيّة، فكان يتناول من الأسرار المقدّسة على غرار الكهنة، فيدخل من باب الهيكل الرئيسي للتناول، وهو الباب الذي لم يكن مسموحاً بدخوله إلا لذوي الرتب الكهنوتيّة. وحتى الملابس التي يرتديها الأساقفة الأرثوذكسيّون في أيامنا هذه هي نفس الثياب التي كان يلبسها الأباطرة قديماً في الكنائس.

عند ارتقاء زوجها العرش، إلا أنه لم يكن من الضروري أن تكون الإمبراطورة زوجة للإمبراطور. وكان لابد لها أن تتوّج تنويحاً خاصاً، وتتلقى هتاف التصديق والموافقة، وما لم تتوّج مع الإمبراطور في يوم تنويحه، كان احتفال تنويحها يتم بالقصر وليس بالكنيسة. وإن لم يكن هناك إمبراطور أودعت السلطة الإمبراطورية بأجمعها في يدها، وكانت تستطيع أن تعين وريثاً للعرش. ولم يحدث قط أن عهد الحكم النسائي هذه اعتُبرت غير شرعية يوماً ما.

ومنذ القرن العاشر أصبحت العادة الغالبة أثناء مدة الوصاية أن يحتل العرش قائد أو أمير قوى. وكان الإمبراطور الوصي يضيف على نفسه صفة الشرعية إلى حد ما بمصاهرة الأسرة الإمبراطورية.

وكانت الوظائف المحيطة بشخص الإمبراطور والإمبراطورة والمتصلة بالخدمة في القصر يُحتفظ بها للخصيان، وهي إحدى الخصائص المميزة لتلك الإمبراطورية في أوج مجدها في القرن العاشر، وكان قد بُدئ باستخدامها منذ عصر دقلديانوس، وظلت تنمو منذ ذلك التاريخ. وكان كبير الخصيان هو كبير الأمراء الذي صار في أواخر القرن التاسع وأثناء العاشر الوزير الأكبر في الإمبراطورية. ولم يوسم الخضاء بالعار إلا بعد أن انتقلت أفكار الغرب عن الجنس والفروسية إلى بيزنطة.

الحياة الدينية في المجتمع البيزنطي

كان الدين يدخل مباشرة في أشكال الحياة البيزنطية؛ فالعطلة الرسمية هي مناسبات دينية، وفي ملاعب الفروسية تبدأ السباقات بالتراتيل، وكان البيزنطي يستجير بالثالوث القدوس في عقود التجارة، ويمهرها

بعلامة الصليب. ومن الصعب علينا في أيامنا هذه، حيث خف الاهتمام

بالأمور اللاهوتية، أن نتصور مدى الاهتمام الذي كانت تحفل به المسائل الدينية في ذلك الحين، على جميع الفئات الاجتماعية، سواء في أوساط العلمانيين أو الكهنة، وسواء بين الفقراء والجهلة، أو بين رجال البلاط والعلماء.

ويصف القديس غريغوريوس اللاهوتي (٣٢٩-٣٨٩) جو المناقشات اللاهوتية في فترة انعقاد المجمع المسكوني الثاني في القسطنطينية هكذا:

[المدينة ملامى بالمناقشات، في الساحات العامة كما في الأسواق، عند تقاطع الطرق والأزقة الفرعية، يباعو "العتيق"^(١) والصيافة والبقالون، الكل يتناقشون بحماس. فلو طلبت من أحد أن يصرف لك مالا، تراه "يتفلسف" حول "المولود" و"غير المولود". ولو أردت أن تعرف سعر الرغيف، سيقول لك إن الآب أعظم من الابن ... ولو سألت "هل حمّامي جاهز؟" سيحييك خادمك بأن "الابن مخلوق من العدم"^(٢)].

أما المكائد السياسية ودسائس البلاط فقد كانت أشهر ما اتصف به المجتمع البيزنطي. وإن كان الإمبراطور البيزنطي هو صاحب السلطة العليا في الشؤون الدينية كما سبق أن ذكرنا، إلا أن نفوذ البطريرك كان يفوق

شخصية الإنسان البيزنطي

إذا قورن الإنسان البيزنطي بالروماني من حيث مسرّاته لكان نصيب البيزنطي أفضل كثيراً، إذ لم يحدث قط أن قُذِف بشخص في حلبة سباق الخيل إلى الأسود الضارية. فقد كانت أحب تسلية إليهم هي سباق المركبات، وليس مصارعة المجالدين.

فالمجتمع البيزنطي كان مولعاً بألعاب السيرك التي قيل عنها إنها مرآة ذلك المجتمع في العصور الوسطى، وما صاحبها من حماس شديد وتعصّب للأحزاب التي ينتسب إليها اللاعبون. فالبيزنطي عاطفي، سريع الانفعال، يحب المسرّات البهيجة، وهو يميل إلى المحادلات والمناقشات خاصة الدينية منها والتي كانت تستهوي الجميع من الإمبراطور إلى آخر فرد من رعاياه، فكان المجتمع البيزنطي مولعاً بهذه الأمور.

كما كان البيزنطيون يتصفون بسجايا طيبة كثيرة، فقد كانوا يحسّون فخاراً بامبراطوريتهم وحضارتهم. وكانوا يحبّون العلم ويعشقون الجمال. ويعلون بأذواقهم الفكرية صعوداً حتى يبلغوا مرتبة الأنفة والغطرسة. فكان التعليم لا المولد جواز الدخول إلى المجتمع البيزنطي الراقي. وكان البيزنطيون يشغفون بكل ذي عقل حسن التدريب يستطيع التعبير عن نفسه بركة، مقبساً من آداب السابقين الكلاسيكية. وقد وصل كثير منهم بالفعل إلى تلك الحال. وكانوا دوماً على استعداد للاقتباس من علوم العرب، ومن تسلّيات الغرب وهو.

كانوا يحبون المناظر الجميلة، فكانت الحدائق والبساتين والأزهار مثار بهجتهم وسرورهم. وكانوا لا ينفكّون يبنون أديرتهم في مواقع تطل إلى أبداع المناظر وأبهجها. وتعكس مبانيهم وأقمشهم وكتبهم نفس

الحين إلى الجمال. فكان الجمال عند البيزنطي صنواً للدين يسير معه جنباً

إلى جنب، فيعود ذلك عليه بأعظم البركات.

وكانت النكتة البيزنطية حمضية لاذعة المذاق، وكانت فكاهتها لا تجد مكباً للتعبير عنها إلاّ التهكّم والسخرية.

ويخامر البيزنطي حبٌ غير حميد للاختصار والتنقيح والشرح. إلاّ أنه شغوف بالعلم والفلسفة. فكانت الفلسفة على الدوام موضوعاً محبباً إلى قلوب البيزنطيين^(٣). والبيزنطي وإن كان شديد الحمية في رغبته في الاستطلاع، إلاّ أنه لم يستطع أن يحمل نفسه على اعتبار الألسن المتبربرة مادة تليق بالتضلع العلمي الجديّ.

كان البيزنطيون يحبون أن يقرأوا عن الأجداد السالفة للإمبراطورية، وكان أحب كتب الأخبار إلى قلوب الناس يمتد في أعماق الماضي. وكان للأباطرة السالفين والقديسين البسطاء صورة مشرقة ناصعة البياض أمام نواظرهم.

وكانت العائلات الإقطاعية هي صاحبة السلطة في الإدارة والحرب، ثم هناك أيضاً طبقة الفقراء الذين فقدوا أراضيهم، والذين كانوا يثورون أحياناً ضد مستثمريهم، وبين هاتين الطبقتين كانت طبقة التجّار

ثانياً: الحضارة البيزنطية

من مميزات الحياة الفكرية والحضارة البيزنطية أنها اتخذت صبغة شرقية بالرغم من بقاء الهلنينية. فمدن الإسكندرية وأنطاكية وأفسس كانت مراكز فكرية وفنية عظيمة، وأخذ العالم الشرقي يستيقظ ويشعر بتقاليدته القديمة في مصر وسوريا وآسيا الصغرى وأرمينيا. وأخذت الروح الشرقية تتحرك ضد اليونانية، وإن لم تتحلل عنها كلية كلعنة للتفاهم بين الشعوب آنئذ. ومن هنا برزت الأهمية الكبرى لمصر وسوريا وآسيا الصغرى خلال القرون من الرابع إلى السادس قبل انفصالها عن الإمبراطورية البيزنطية نتيجة الفتوحات الإسلامية.

ولكن بعد القرن التاسع أصبحت جامعة القسطنطينية هي مركز الحركة الفكرية والثقافية في الشرق، وازدادت أهميتها بعد أن فقدت الإمبراطورية سوريا في القرن السابع. وتألّف المنهج الدراسي في هذه الجامعة من سبعة علوم أساسية قُسمت إلى مجموعتين: الأولى هي المجموعة الثلاثية Trivium وتشتمل على القواعد والخطابة والمنطق. والثانية المجموعة الرباعية Quadrivium وتضمّنت الحساب والجبر والفلك والموسيقى. واهتمّت الجامعة أيضاً بدراسة الفلسفة والعلوم الكلاسيكية الأخرى. وقد حوت الجامعة نخبة ممتازة من الأساتذة.

وكان ليو (لاون) الرياضي من أبرز أساتذة تلك الجامعة، حتى أن شهرته قد جذبت انتباه الخليفة المأمون الذي وجه إليه الدعوة للحضور إلى البلاط العباسي، فرفض الإمبراطور ثاوفيلس السماح له بمغادرة البلاد اعتزازاً بعلمه. فأرسل المأمون رسالة إلى ثاوفيلس يرجوه فيها السماح لهذا العالم بزيارة بغداد ولو لمدة قصيرة، وأنه يعتبر السماح له بالشخص لهذا العالم عملاً من شأنه أن يعزّز الصداقة بينهما. ثم وعد الخليفة

الإمبراطور بعقد صلح دائم لقاء ذلك... فرفض الإمبراطور ثاؤفيلس هذا

الالتماس أيضا لأنه اعتبر العلم سرا من الأسرار، كالنار الإغريقية مثلاً، ويجب ألا يُسمح بانتشاره. ولقد تولى ليو رئاسة جامعة القسطنطينية.

وكان فوتيوس بطريرك القسطنطينية في القرن التاسع من أشهر الكتاب اللاهوتيين، ومن أشهر المؤرخين أيضاً إلى جانب يوسابيوس وسوزومين وغيرهم.

أما عن الفن البيزنطي فقد كان مزيجاً موفقاً من الأساليب الهلنسية التي ورثها عن اليونان والرومان، والأساليب الشرقية التي كانت معروفة في مصر وسوريا وبلاد الأناضول. وفي هذا المجال لابد من الإشارة إلى أن القسطنطينية تدين بالفضل في مجالها الفنية إلى الإسكندرية خصوصاً وبالدرجة الأولى، ثم إلى الفن السوري بالدرجة الثانية، ولكن الفن البيزنطي ظل متشعباً بخصائصه الأساسية ما امتد لحكم الأباطرة لواء على ضفاف البوسفور، إلا أنه من حيث الجوهر كان فناً دينياً.

ولقد ازدهر هذا الفن منذ أيام جوستينيان في القرن السادس، فأتى بآيات لا تزال آثارها ماثلة حتى اليوم. وقد اهتم الأباطرة بفن العمارة وما يتبعه من زخرف ونقش، فشادوا القصور والكنائس وشيدت المباني من جميع الأنواع، وخاصة الكنائس، منها البازيليك، ومنها الكنائس مئمنة

الإسلامي زادها ميلاً إلى الزخارف الفخمة الدقيقة والألوان الزاهية.

وكان فن العمارة^(٤)، والنحت الزخرفي المعماري في تشكيل الأبواب وتيجان الأعمدة، والترف في الألبسة والحلي والأدوات العاجية، والتزيين والنقش بالمنيا، والرسوم على المخطوطات وتزيينها بالصور، من مظاهر الفن البارزة في هذا العصر، كما في العصور السابقة. ولكن الواضح أن تحلية المخطوطات بالصور هو فن إسكندري الأصل، وكانت النماذج الإسكندرانية تنتقل من موطنها إلى الخارج كما كانت تحاكي في كل أرجاء العالم اليوناني الروماني.

أما التصوير الديني فقد اهتم به الرهبان ورسوموا مشاهد ورموز الأناجيل المقدسة.

وفي إنجاز؛ فإن مؤرخي الفن يعزون تأثير الفن البيزنطي في النفوس وتفوقه على الفنون التي نبع منها كالفن الهليني والشرقي والروماني الإمبراطوري إلى الحماسة الدينية التي صرفت نشاطها في التعبير عن الجمال في صفاء الخطوط والألوان.

لقد انتشرت الحضارة البيزنطية في معظم بلاد أوروبا وأثرت عليها. والدولة البيزنطية هي التي أعطت أوروبا الشرقية ديانتها المسيحية بشكلها الأرثوذكسي على يد مبشريها. وقد أسست روسيا والصرب وبلغاريا مؤسساتها الدينية والسياسية على النمط البيزنطي، وشيدت مبانيها على نفس الأسلوب. واستفاد العرب والأرمن كذلك من البيزنطيين من الوجهة الإدارية والفكرية والفنية، فأخذوا عنهم بعض أساليب الحكم

٤ - أسهمت بيزنطة في فن الهندسة المعمارية حين وازنت القبة فوق مربع. ولا تزال الكنائس الموجودة بوفرة تشهد لهذا الفن الجديد.

وتقاليدِهِ، وكذلك فعل الأثر الك الذن. ثم الس نطن، فكانت ظائفهم

الكبرى وحكومتهم المركزية وتقسيماتهم الإدارية شبيهة بما أوجده البيزنطيون مع تغيير الأسماء.

ولكن مع أقول نجم الإمبراطورية البيزنطية تجمّد الفكر اليوناني وتمحّر متمسكاً بصلاية بالحضارة المسيحية التي أخذها عن بيزنطة، وشعرت الأرثوذكسية أنهما في حالة دفاع عن النفس، وكان ههما الأوحد هو المحافظة على الاستمرار والبقاء بانتظار قدوم أيام أفضل.

ولقد كان على اليونانيين الراغبين في التحصيل العالي للدراسات اللاهوتية أن يقصدوا بلداناً غير أرثوذكسية كإيطاليا وألمانيا وباريس وأكسفورد. ومن بين كبار اللاهوتيين اليونان خلال فترة الحكم التركي من درسوا على أنفسهم، بيد أن معظمهم تلقوا علومهم في الغرب على يد أساتذة كاثوليك وبروتستنت. وكان لثقافتهم هذه انعكاساتها المحتمة على الطريقة التي فسّروا بها اللاهوت الأرثوذكسي، فأصابه ما أسماه اللاهوتي الروسي الكبير الأب جورج فلوروفسكي (١٨٩٣ - ١٩٧٩م) "التحوّل المسوخ - Pseudomorphosis".

أنحاء العالم الشرقي الخلقيدوني.

وهو طقس شديد الارتباط بسوريا، وذلك لأن عدداً كبيراً من أساقفة القسطنطينية ما بين القرنين الرابع والسادس كانوا سوريين؛ فكان القديس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧ - ٤٠٧ م) رئيس أساقفة القسطنطينية أنطاكي المنشأ، ورومانوس الملحن الشهير هو بيروتي المنشأ قبل أن يغرد في القسطنطينية، وقانون الفصح المجيد الذي يعد من أجمل صلوات الخدمة القسطنطينية هو من نظم يوحنا الدمشقي (٦٧٥ - ٧٤٩ م) وتلحينه.

كما تأثر الطقس البيزنطي بطقوس كنيسة أورشليم والإسكندرية؛ فالقديس أندراوس الذي يُنسب إليه عدد لا يُستهان به من قوانين الخدمة البيزنطية هو فلسطيني، والبطريك الأورشليمي صفرونيوس هو واضح خدمة الإبيفانيا، والقديس كيرلس الكبير (٤١٢ - ٤٤٤ م) بابا الإسكندرية تخذل اسمه بصلوات جمعة الآلام.

وهكذا فإن الطقس البيزنطي بعد أن استمد أصوله الأولى من أنطاكية وقيصريّة الكبادوك وفلسطين ومصر سار في استقلالية ليتورجية بالغة حتى صارت له سماته الخاصة التي تميّزه عن غيره من الطقوس. وهي استقلالية واضحة من خلال مؤلفات فرمليانوس القيصري (+ ٢٥٧ م) والقديس غريغوريوس العجائبي (٢١٣ - ٢٧٠ م)، وكذلك من أعمال الجامع المكانية الإقليمية. وفي كل هذا كان دور القديس باسيليوس الكبير (٣٣٠ - ٣٧٩ م) فعّالاً متميزاً.

وقد طوّر الطقس البيزنطي كثيراً من ألحانه، وتكوّن في البداية من المزامير والتسابيح الكتابية، ولم تتأخّر المقطوعات الشعرية في أن تأخذ مكانها بين هذه التسابيح.

أما ينابيع هذا الطقس في مرحلته القديمة، فهي:

- مواعظ القديّس غريغوريوس التريزي (٣٢٩ - ٣٨٩)، والذي كان أيضاً شاعراً موهوباً له تأليف شعريّة راقية عميقة المعني رصينة المبني.

- مواعظ القديّس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧ - ٤٠٧م) التي تليت في القسطنطينيّة.

- الترانيم الدينيّة التي ألّفها الإمبراطورة يودوكيّة زوجة ثيودوسيوس الثاني في القرن الخامس، فقد كانت صاحبة موهبة لا يُستهان بها في هذا الشأن.

- كتابات المؤرّخين اليونان في القرن الخامس أمثال سوزومين (أوائل القرن الخامس) وسقراط، وغيرهما.

- أشعار رومانوس الملحن الذي نبغ في الشعر الديني أيضاً في القرن السادس. وكان شماساً في بيروت، ثم انتقل إلى القسطنطينيّة وأنشأ المذامح اللاهوتيّة، وكانت تأليفه مزيج من بساطة اللغة وأتساع الخيال لا يدانيهما نظير في الشعر الديني البيزنطي.

- تأليف صفرونيوس البطريرك الأورشليمي (٦٠٥ - ٦٣٩م)، ومكسيموس المعترف، وأندراوس الأقریطشي^(٥).

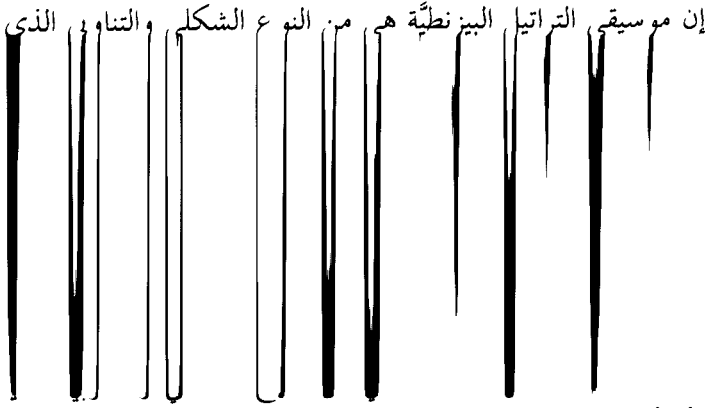
الشاعر الديني البيزنطي الثاني في الأهمية بعد رومانوس الملحن، والذي يتسم شعره بترعة تصوفية. فأشعاره تُظهر أرفع ما وصل إليه الشعر الكنسي والتاريخ الديني والأناشيد من جمال، حيث أثر بقدر كبير في طقوس الصلوات والأناشيد الدينية عندما وصلت إلى القسطنطينية.

- شروحات جرمانوس الأول القسطنطيني (+ ٧٤٠م)، وشروح ثيودور الإستوديي (٧٥٩-٨٢٦م).

- ترانيم الراهبة أكاسيا في القرن التاسع - وكانت مرشحة كزوجة للإمبراطور ثاوفيلس - وهي خير مثال لمؤلفي الترانيم الذين جاءوا بعد هذه الفترة، حيث تتجلى في ترانيمها حاسة من الجمال والأصالة والتقوى الصادقة.

واكتملت معالم الطقس البيزنطي في أواسط القرن التاسع بعد انتصار الأرثوذكسية على محاربي الأيقونات سنة ٨٤٢م^(٦)، إلا أن تغييرات وزيادات أدخلت عليه فيما بين القرنين الثاني عشر والخامس عشر، فأثقلته قليلاً وأفقده نقاوة خطوطه القديمة، فتضخمت طقوس تهيئة القرايين قبل بدء الخدمة الليتورجية، وتعاضم دور الشماس الإنجيلي على حساب الكاهن الذي أصبح يتلو معظم الصلوات سرّياً. وأطال الخوروس ترانيمه، وازدادت أبهة الاحتفالات مقتبسة شيئاً من مراسيم البلاط.

٦ - انفصلت القسطنطينية ومعها أورشليم عن روما سنة ١٠٥٤م، وهو ما عُرف في التاريخ باسم "الانشقاق العظيم". وتوالى على كرسي القسطنطينية بطاركة عظام، وقديسون شفعاء، ولاهوتيون لإمعون، ورهبان قدوة، وشعب متحضر، وروحانية شفافة، وإيقونوغرافيا رائعة.



ينبغي أن يُتغنى به غير مصحوب بألات موسيقية، شأن موسيقى الكنيسة الأرثوذكسية بأجمعها.

وإن الطقس البيزنطي هو طقس مسكوني يعلو على القوميات، ويتكيف مع أوضاع الشعوب المنتمية إليه، كما في الاحتفالات الليتورجية عند الروس واليونان والملكيين العرب.

وتحوي صلوات الطقس البيزنطي مادة لاهوتية وعقيدية غزيرة وغنية، تتضح فيها قوانين الجامع الكنسية الكبرى.

ويتصل الطقس البيزنطي بالطقس الروثيني Le rite ruthène الذي تمارسه الكنائس البيزنطية في أوكرانيا، والتي اتحدت مع روما في القرن السابع عشر.

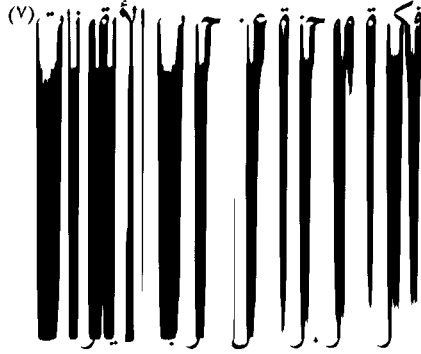
أما الطقس الملكي Le rite melkite فهو الطقس الذي تبنته جماعات قليلة في كل من مصر وسوريا، والتي قبلت مقررات مجمع خلقيدونية، وتُدعى هذه الجماعات بالروم الأرثوذكس. وكانوا قد مارسوا في البداية طقوسهم الوطنية، ثم تحولوا بعد ذلك إلى الطقس البيزنطي. وظل

ويستعمل الطقس البيزنطي خمس لغات رسميّة هي: اليونانيّة، والسلافيّة القديمة، والجورجيّة، والعربيّة، والرومانيّة. ما عدا اللغات الحديثة التي يجوز استعمالها حسب المناطق المختلفة.

ولقد كانت اللغة اليونانيّة هي اللغة الأولى للكنيسة جمعاء خارج المحيط اليهودي الصرف، لغة الكتاب والعبادة، لغة الآباء والجامع. إلا أن فهم اللغة اليونانيّة أخذ يتضاءل شيئاً فشيئاً حتى أن الملكيين أنفسهم تركوا استعمال اليونانيّة في الليتورجيّة، واستعاضوا عنها بالسريانيّة.

وقد وصل إلينا بالسريانيّة بعض الأناشيد الطقسيّة التي كان يستعملها الملكيون في فلسطين، وهي تتراوح ما بين القرن السادس حتى القرن التاسع، وظل الملكيون يستعملون السريانيّة في طقوسهم في بعض المناطق الريفيّة حتى القرن السادس عشر، ولا تزال قرية معلولا وضواحيها تنطق بلهجة أراميّة. ثم انتقلوا من السريانيّة إلى العربيّة، وقد ظل استعمال العربيّة حراً.

ويعتبر الطقس البيزنطي هو الطقس الذي يفسح المجال الأوسع للغة العربيّة. فقد عُرِّبَت ليتورجياّ القدّيس يوحنا ذهبي الفم منذ القرن الحادي عشر، وبات بالإمكان أن تتلى الصلوات كلها بالعربيّة. أما عند الطوائف الأخرى في الشرق العربي فاستعمال العربيّة جزئي ومقيّد. ولكن تبقى اليونانيّة اللغة الطقسيّة العاديّة في البطريركيّة القسطنطينيّة، وفي كنيسة قبرص واليونان، وفي الجاليات اليونانيّة في فلسطين ومصر، وجنوبي إيطاليا، إلا أن لغة المخاطبة ولغة الكتابة الحديثة نفسها أصبحت تختلف إلى حد ما عن اللغة اليونانيّة القديمة والبيزنطيّة التي صيغت منها النصوص الطقسيّة. وبالرغم من هذا التقلُّص، فإن اليونانيّة تحتفظ بأهميّتها الكنسيّة، لأنّها اللغة الطقسيّة الأصيلة لليتورجياّ البيزنطيّة.



هو نزاع نشب في كل أرجاء الإمبراطورية البيزنطية طيلة قرنين من الزمان ليغطي على أحداث القرنين الثامن والتاسع للميلاد. وملخص ما حدث في سطور هو:

في سنة ٧٢٦م أترف الإمبراطور لاون Léon الثالث أيقونة للسيد المسيح مكرمة جداً كانت فوق باب قصره في القسطنطينية، فكان هذا العمل الأهوج بمثابة نقطة الانطلاق نحو سياسة تحطيم الأيقونات، وبلغ التحطيم ذروته في عهد الإمبراطور قسطنطين الخامس (٧٤١ - ٧٧٥م) فاستشهد بعض الرهبان دفاعاً عن الأيقونات، إلى أن دعت الإمبراطورة إيريني Iréne إلى عقد مجمع في نيقيا سنة ٧٨٧م اعترف بصحة تكريم الأيقونات، لكن الصراع ما لبث أن استؤنف من جديد سنة ٨١٣م، ولم يهدأ بصفة نهائية إلا في سنة ٨٤٣م حين عاد الهدوء والسلام وانتصرت الكنيسة والشعب على إرادة الأباطرة، حين أعادت الإمبراطورة ثيودورا إكرام الأيقونات بمساعدة البطريرك ميثوديوس، في الأحد الأول من الصوم الكبير في احتفال مهيب تجدد ذكره الكنيسة البيزنطية كل عام، هو يُدعى بعيد "أحد الأرثوذكسية". ولقد وضعت مبادئ لاهوتية دقيقة لا بد من اتباعها في صنع الفسيفساء والرسوم الكنسية.

بحرب الأيقونات، لأن الكنيستين القبطية والأنطاكية كانتا قد ابتعدتا عن كل ما هو بيزنطي بعد منتصف القرن الخامس الميلادي، ثم قطعنا كل صلة به في منتصف القرن السابع الميلادي بعد دخول العرب البلاد.

ولقد أُطلق تعبير ”مقاومي الأيقونات“ أو ”الأيقونوكلاستس“ على جماعة لها قوتها في الكنيسة البيزنطية، أفسدت سلام الكنيسة. وكانت شرارة هذه الحرب قد انطلقت في دمشق إذ أمر الخليفة يزيد بن عبد الملك سنة ٧٢٣م بتحطيم جميع الصور في الكنائس والبيوت والمحلات العامة، ولا تزال آثار هذا التحطيم قائمة في بعض ما تبقى من آثار كنائس القرن الثامن. وقيل أن يهودياً قد حضّ يزيد على ذلك.

ويمكن تقسيم هذه الحرب إلى فترتين أساسيتين:
الأولى تبدأ سنة ٧٢٦م بإعلان الإمبراطور البيزنطي لاون الثالث الحرب على الأيقونات ومكرميها، وتنتهي سنة ٧٨٧م حين انعقد مجمع نيقة الثاني والذي أمر بحفظ الأيقونات في الكنائس والبيوت بإكرام واحترام.

أما المرحلة الثانية فقد بدأها الإمبراطور لاون الخامس الأرمني سنة ٨١٥م واستمرت حتى سنة ٨٤٣م حيث خرجت ثيودورة زوجة الإمبراطور المتوفي ناؤفيلس في مظاهرة شعبية في الأحد الأول من الصوم الأربعيني المقدس في ١١ آذار سنة ٨٤٣م يحف بها كبار رجال الدولة وألوف الناس، واتجهوا جميعاً إلى كنيسة آجيا صوفيا في القسطنطينية للاشتراك في القداس الإلهي، ولتقبيل الأيقونات. وعُرف هذا الأحد حتى اليوم باسم ”أحد الأرثوذكسية“. فماذا حدث؟

قامت جماعة من الأساقفة والتفوا حول الإمبراطور البيزنطي ليون الثالث يقاومون الأيقونات، فأصدر الإمبراطور المذكور منشوراً سنة

٧٢٦م بتحطيم الأيقونات بالرغم من محاولة جرمانوس بطريك

القسطنطينية توضيح فائدة الأيقونات للإمبراطور، ولكن دون جدوى، بل على العكس، طرده الإمبراطور من القسطنطينية سنة ٧٣٠م وأقام أنسطاسي أحد مقاومي الأيقونات بدلاً منه. فلجأ جرمانوس إلى البابا غريغوريوس بابا روما فكتب إليه الإمبراطور يأمره بقبول المنشور الجديد، لكن البابا غريغوريوس أجابه بدفاع مطوّل عن استخدام الأيقونات، ولام فيه تدخل الإمبراطور في الشؤون الكنسية. وللحال أسر الإمبراطور البابا غريغوريوس، وخرّب الأديرة، واضطهد الرهبان، لكونهم من كبار المدافعين عن الأيقونات، وقتل عدداً منهم.

في هذه الآونة نشر القديس يوحنا الدمشقي (٦٧٥ - ٧٤٩م) ثلاث مقالات ضد مقاومي الأيقونات، أما في الغرب فقد ثار الشعب ضد منشور الإمبراطور.

وبعد وفاة لاون انتهج قسطنطين الخامس (٧٤١ - ٧٧٥م) منهج أبيه. وفي سنة ٧٥٤م أمر بعقد مجمع حضره ٣٣٨ أسقفًا، حرم فيه الأيقونات، وقال المجمع في أعماله:

”ما نفع جنون المصوّر الذي يصور رغبة في الريح القبيح من لا يجوز أن تُرسم له صورة؟ إنه يدهن صورة ويدعوها المسيح، وكلمة

إنسان عادي؟ ...

أما من جهة صورة والده الإله المجيدة، وصور الأنبياء والرسل والشهداء، فلا حاجة إلى صورهم ... فقد نبذت المسيحية كل ما له صلة بالوثنية، فلم تكتف بنبذ الذبائح للأوثان، بل نبذت أيضاً عبادة الصور الوثنية. إن القديسين يقيمون إلى الأبد مع الله، ولو ماتوا، فكل من يجسر بعد الآن أن يصنع شيئاً منها، أو يكرمه، أو يعلقه في الكنيسة أو في منزله الخاص، أو يحفظه بصورة سرية، فليسقط إن كان أسقفاً أو قساً أو شماساً، وليحرم إن كان راهباً أو علمانياً“.

وطلب الإمبراطور أشهر الرهبان وأمرهم أن يخضعوا لتهديدات المجمع. وفي سنة ٧٦٦م أرغم كل القاطنين في الإمبراطورية على أن يقسموا اليمين ضد الصور، وقد عصى الرهبان الأمر بعناد شديد، فأخذ الإمبراطور يتلهى بمعاملتهم. منتهى المساواة، وأرغمهم على الظهور في ملعب المهيودروم، وقد أمسك بكل منهم في يد زانية ... ودُمّرت الأديرة أو جُعلت معسكرات للجنود، أو حوِّلت إلى مساكن شعبية ... وخيّر الرهبان بين الزواج قسراً أو خسارة البصر ... فهرب أكثرهم واستشهد البعض منهم. وهجم جنود الإمبراطور على الكنائس وحطّموا الأيقونات والصور التي لم تكن قد أزيلت وحُفظت في مكان أمين.

على أن الكنيسة كانت قوية جداً، ولم يكن الإمبراطور هو فقط سيّد المسيحية الشرقية بلا منازع. فقد أعلن بطاركة الشرق الأرثوذكسي وهم تحت حكم دولة إسلامية مقاومتهم لحركة محاربي الأيقونات، وصرّحوا بأن كل كنيسة لا رهبان فيها ولا أيقونات تكون منشقة عن الكنيسة الأرثوذكسية.

وفي أيام ليو الرابع (٧٧٥ - ٧٨٠م) هدأ الاضطهاد، ولكنه لم

يتوقف تماماً. وموته تولت الإمبراطورة إيريني الوصاية على ابنها الطفل قسطنطين، وتمكّنت بمساعدة بطريك القسطنطينية طاراسيوس عقد مجمع في نيقية ضم ٣٥٠ أسقفاً سنة ٧٨٧م، وحضر فيه ١٧ من محاربي الأيقونات، ولكن هؤلاء أعلنوا ندامتهم أخيراً، فقبلهم المجمع وأصدر بيانه في هذا الأمر كالآتي:

”إننا بعد بذل كل ما في الوسع من عناية وتدقيق، نحدّد أنه لا مانع من أن تُرفع إلى جانب الصليب المحيي الأيقونات المكرّمة المقدّسة مدهونة بالألوان أو مصنوعة من الفسيفساء، أو من آية مادة أخرى. ولا فرق في أن تعلق في كنائس الله المقدّسة أو تُرسم على الأواني أو الملابس الشريفة، أو على الجدران، أو الألواح الخشبية في المنازل أو في الشوارع. ونعني بالأيقونات صور ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، ووالدته الكليّة الطهارة والفائقة القداسة، وصور الملائكة المكرّمين، وجميع القديسين. لأن النظر المتواتر إلى هذه الأيقونات يبعث في الناظرين إليها الرغبة في تذكّر من رُسموا عليها، ويوقظ فيهم المحبة والاحترام لأشخاصهم. على أنه يجب أن يُقدّم لهذه الأيقونات الإكرام والسجود دون العبادة المختصّة بالجواهر الإلهي وحده. كما أنه يمكن تقديم البخور وإيقاد المصابيح والأنوار أمام هذه الأيقونات للإكرام كما هو الحال في تقديم سجود التكريم للصليب المقدّس، والإنجيل الشريف وغيره من الأشياء والأواني

إلا أن تحديد المجمع لم يضع حداً لهذا التراع، فقد قام على العرش في الشرق بعد موت الإمبراطورة إيريني سنة ٨٠٣م، عدة ملوك من محاربي الأيقونات.

ففي أيام لاون الخامس (٨١٣ - ٨٢٠م) وفي سنة ٨١٤م نشطت حركة مقاومة الأيقونات من جديد، ولاون الخامس هذا هو قائد، أقامه الجيش إمبراطوراً، فاستبعد أنسيفوروس البطريرك عن كرسيه، وسجن كثيراً من الأساقفة والكهنة والرهبان والعلمانيين، وعذب البعض وقتل كثيرين. وفي أيامه عُقد المجمع الثاني والأخير لمحاربي الأيقونات سنة ٨١٥م في كنيسة أجيا صوفيا^(٨). ولكن في سنة ٨٢٠م اغتيل لاون الخامس فخلفه ميخائيل الثاني (٨٢٠ - ٨٢٩م) يقتفي إثر خطواته، وإن كان أخف منه وطأة.

وفي سنة ٨٢٩م جاء خلفه ثاوفيلس، وكان صلباً في مكافحة الأيقونات، فكتب له بطاركة الروم في الإسكندرية وأنطاكية وأورشليم رسمياً، يلتمسون منه ألا يسير على خطة مكافحي الأيقونات من أسلافه. ولم يقف إلى جانب هذه البدعة في ذلك الوقت سوى يوحنا بطريرك القسطنطينية، وبموته خمدت نار مكافحة الأيقونات.

وبعد موت الإمبراطور ثاوفيلس تسلّمت زوجته الإمبراطورة ثيودورة الوصاية على ابنها ميخائيل الثالث، فأهت قصة المقاومة تماماً، ففتحت أبواب السجون، وأطلقت مدافعي الأيقونات. وانعقد مجمع في نفس هذا العام يجدد قوانين مجمع نيقية الثاني. وفي الأحد الأول من الصوم الكبير الموافق ١١ آذار (مارس) سنة ٨٤٣م دخلت الأيقونات إلى الكنائس في احتفال عظيم.

وحُسب هذا اليوم ”عيد الأرثوذكسيّة“ عند اليونان، يحفظونه كل عام.

لقد كان رفض التحلي عن الأيقونات بمثابة تحدٍّ لتدخل الدولة في شؤون الكنيسة، وقد لخص اللاهوتي يوحنا الدمشقي الذي عاش في القرن الثامن هذا الموضوع بقوله:

[إن كنا نهدم بناء الكنيسة في الأمور الصغيرة، فسيخرب الكل شيئاً فشيئاً].

أما في الغرب فقد تلخّص موقفهم في رفض مجعبي القسطنطينيّة لمقاومي الأيقونات، ونيقية الثاني لمدافعي الأيقونات، معلنين أن العبادة تقدّم لله وحدة أما القديسون فيكرّمون فقط^(٩). كما أعلنوا أنه يمكن استخدام الأيقونات في الكنائس وإن كانت ليست ضروريّة، وأنه من الغباء تقديم البخور لها أو إيقاد شموع أمامها!

وفي الميمر الذي ألفه ثاؤدورس أبو قرّة (المتوفي في سنة ٨٢٥م) عن تكريم الأيقونات، يؤكّد شيوع الصور في الكنائس في أيامه فيقول: ”إن الصور لها أصل ثابت في النصرانيّة بعموم الكنائس كلها ... لا شيء بأعم في الكنيسة من الصُور، فما من بلاد لعمرى إلا وفي كنائسها صور القديسين“.

وكان أعمى فانفتحت عيناه. ويقول إن هذه القصة مشهورة معروفة في جميع كنائس النصارى. ويقول أبو قرّة إن الأعمى الذي حصل على نعمة الشفاء كان يُدعى حنانيا.

وهناك شهادة أخرى ترد في الميمر المذكور بخصوص شهيد معاصر (القرن الثامن والتاسع للميلاد) يُقال له مار أنطونيوس، يقول عنه أبو قرّة:

”وقد كان في زماننا هذا شهيد من البرانيين، من أهل الشرف الأعلى، مستفاض حديثه، ذكرنا الله بصلواته، يُقال له مار أنطونيوس، وكان يخبر كل من لقيه أنه إنما آمن بالنصرانية من عجب ما رآه في صور كانت لمار ثاؤدورس الشهيد“.

رابعاً: الليتورجيات البيزنطية

من الناحية الليتورجية، يقترب الطقس البيزنطي اقتراباً كبيراً وعضوياً من التقليد الأنطاكي.

فليتورجية القديس باسيليوس الكبير، هي من وضعه، وهو رئيس أساقفة قيصرية الكبادوك في آسيا الصغرى. وفي الحقيقة فإن ليتورجية القديس باسيليوس الكبير، هي اختصار لليتورجية القديس يعقوب الرسول، وهي تقام عشر مرات في السنة، في الأحاد الخمسة الأولى من الصوم الكبير، وفي براموني الميلاد والظهور الإلهي، ويومي الخميس والسبت العظيمين من أسبوع الآلام، ويوم عيد القديس باسيليوس الكبير الواقع في أول كانون الثاني (يناير).

والليتورجية المنسوبة للقديس يوحنا ذهب الفم، والتي تُصلحها

أغلب أيام السنة، هي من أصل أنطاكي، فكان الأواشي في هذه الليتورجية يوجد بعد الاستدعاء، كما في الليتورجيات السريانية الأنطاكية. وهي خدمة صلاة تعود إلى القرن الثامن الميلادي. ويُظن أنها اختصار للليتورجية للقديس باسيليوس الكبير. وهي أكثر الليتورجيات استعمالاً وتُقام بقية أيام السنة. وقد وصفها وصفاً دقيقاً كاملاً البطريرك جرمانوس بطريرك القسطنطينية (٧١٥ - ٧٣٠م) في كتابه "تاريخ الكنيسة"، وهو أعظم ما ظهر في هذا الشأن قبل كتاب سمعان التسالونيكى.

وليس للطقس البيزنطي أنافورات أخرى غير هاتين الأنافورتين، ولكن في الأيام التي لا يُحتفل فيها بالقدّاس، يُصلى قدّاس يُسمى "قدّاس القدّسات السابق تقديسها (البروجيازميني)". وهو القدّاس الذي أدخله البطريرك سرجيوس القسطنطيني في سنة ٦١٥م، وشاع استعماله في القرن السابع، وكان يُقام آنذ في جميع أيام الصوم ما عدا السبت والآحاد والخميس الكبير. وجاء في القانون رقم (٥٢) لمجمع ترولو المنعقد سنة ٦٩٢م أن قدّاس البروجيازميني يُقام في كل أيام الصوم الأربعيني المقدس ما عدا يومي السبت والأحد ويوم عيد البشارة المقدّس. أما الآن فقد تركز الاحتفال به في يوم الأبعاء والجمعة من الصوم الكبير فقط.

أما ليتورجية القديس يعقوب الرسول أخي الرب، فهي تقام مرة واحدة في السنة في كنيسة القديس يعقوب في أورشليم، يوم عيد القديس الواقع في ٢٣ تشرين الأول (أكتوبر).

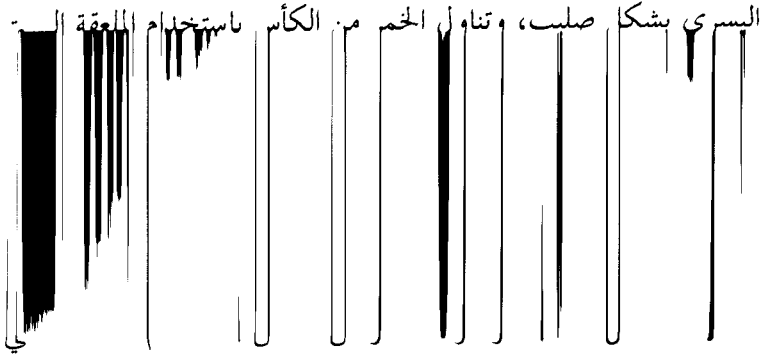
والليتورجية البيزنطية لها بعض السمات التي تتميز بها، ففي القداس البيزنطي هناك ما يُعرف باسم ”الدخول الكبير (الإيصودون الكبير)“، و”الدخول الصغير (الإيصودون الصغير)“. أما الدخول الكبير فيتم بعد خروج الموعوظين حين يفتح الكاهن الأنديمسي أي القائمة مقام المائدة حيث تدخل القرايين التي لم يتم تقديسها بعد من الهيكل الجانبي إلى المائدة المقدسة في الهيكل الرئيسي، وهو رمز نقل جسد يسوع من الجلجلة إلى القبر، كما يرى ذلك البطريك جرمانوس. أما الدخول الصغير فهو دخول القرايين إلى الهيكل الجانبي لتقسيمها قبل نقلها إلى الهيكل الرئيسي.

وبعد قول الكاهن ”القدسات للقديسين“، أي أن التناول من الأسرار المقدسة هو للطاهرين، يعود فيقول: ”الذي يتجزأ ولا يتقسم“ يعني أن الخبز المقدس هو جسد الرب كله، وكل جزء منه هو جسد الرب كله، فجسد الرب لا يتقسم في جوهره.

ويُسكب الماء الساخن على الخمر في بداية الخدمة، وهي عادة تعود إلى القرن السادس الميلادي. فالماء الحار يُقصد به أن يجعل الدم المقدس حاراً كما هو الدم الحي.

ويُعرض الكأس على المصلين مرتين، للاشتراك في التناول، وعرضه المرة الثانية هو لتذكير المؤمنين بمجيء المسيح ثانية.

ويتم تناول القربان المقدس باليدين الاثنتين متقاطعتين اليمنى فوق



انتشر استخدامها منذ مجمع ترولو سنة ٦٩٢م.

خامساً: نماذج من الأدب المسيحي العربي الملكي

يقف الأدب البيزنطي بمعزل إلى حد ما عن التيار الرئيسي للأدب في العالم. والمؤلفات اللاهوتية الأولى التي ظهرت فيه حتى عهد يوحنا الدمشقي، كان لها أثر عميق في الفكر الغربي. كما أن مؤلفاته التاريخية كانت نموذجاً يُحتذى به في مضمار تدوين الأخبار تدويناً مقترناً بالعناية، صانه وحافظ عليه الصقالية طويلاً وخاصة الروس منهم. ومع ذلك فإن الأجيال التالية تحس بالشكر نحو بيزنطة لا من أجل ما أظهرت من أعمال خلاقية، بل لما قامت به من صيانة للقدم ومحافظة عليه. فنحن مدينون لأدباء بيزنطة، ليس من أجل ما أحرزوا من انتصارات في ميادين الأدب مطبوعة بالأصالة، بل لأنهم حافظوا بكل عطف ومحبة على الكثير الجم من كنوز الماضي الكلاسيكي، ومن التقاليد الكلاسيكية للفلسفة والتأمل الفكري والرغبة في الاستطلاع. ومع ذلك فإن تلك الانتصارات الأدبية قد قامت بالفعل في التراثيل الدينية وفي المدونات التاريخية، وفي ملحمة شعرية شعبية كبيرة واحدة.

أمة أخرى حتى إلى عصرنا الحديث. وقد فاقوا بأشواط بعيدة معاصريهم في الغرب من حيث الأسلوب والحكم على الأشياء واللباقة والقدرة على النقد، وكانوا يجمعون معلوماتهم بعناية ويتفرون على دراسة أعمال أسلافهم وسابقيهم.

وكان الاضطهاد الذي صاحب تحطيم الأيقونات هو الذي أنتج أول محصول ضخم من التراجم.

وكان البيزنطيون هم أول من كتب بالعربية من غير العرب، ولهم في ذلك مؤلفات عظيمة، والأمثلة التالية القليلة هي مثال لذلك.

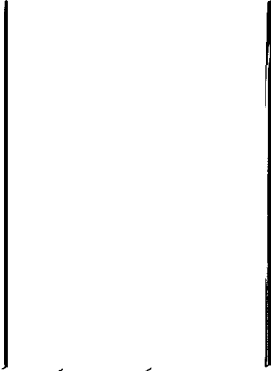
ثاؤدوروس أبو قرّة

إن أقدم كاتب عربي مسيحي هو ثاؤدوروس أبو قرّة أسقف حرّان الملكي (+ ٨٢٥م). وتعد مؤلفات أبي قرّة من أقدم الآثار المسيحية في اللغة العربية. ولكننا نعرف قبله شعراء مسيحيين أمثال عدي بن زيد، والأخطل، إلا أن أدهم لم يكن دينياً أو كنسياً.

وقد عاش ثاؤدوروس أبو قرّة^(١٠) على الأرجح في أواخر القرن الثامن الميلادي أو أوائل التاسع، وقد وُلد في مدينة الرها، وكان ضليعاً في علوم عصره، وأجرى اتصالات واسعة مع رجال الفكر الإسلامي في الأوساط البغدادية. ترهّب في دير القديس سابا قرب القدس حيث اطلع على التراث الذي خلفه هناك القديس يوحنا الدمشقي، ثم أصبح أسقفاً على حرّان جنوب الرها. أجرى محاورات دينية كثيرة للدفاع عن المذهب

١٠- عن تفصيلات أكثر حول هذا الموضوع، انظر: تحقيق الأب إغناطيوس ديك، لأحد ميامر أبي قرّة، وهو: ميمر في وجود الخالق والدين القوسم، وصدر ضمن مجموعة التراث العربي المسيحي رقم ٢، سنة ١٩٨٢م.

الملكي، كان بعضها أمام أمير أرمينيا، وبعضها الآخر أمام الخليفة المأمون



لإيضاح دعائم الإيمان المسيحي، وترك مؤلفات لاهوتية ودفاعية فقد الكثير منها، ولم يُنشر منها إلا النذر اليسير. وقد تُرجم بعضها منذ القدم إلى اللغتين الجورجية واليونانية، بينما فقد الأصل العربي.

ولكنابات أبي قرة مكانة خاصة، إذ أنه قريب من الأصول المسيحية المبكرة، كما أنه مطّلع على الفكر الإسلامي، وهو يحاور المسلمين والمسيحيين على السواء. فهو لاهوتي عربي أصيل. وله:

- ميمر في إكرام الأيقونات: نشره الأب إغناطيوس ديك ضمن مجموعة التراث العربي المسيحي، رقم ١٠ سنة ١٩٨٦م^(١١).
- ميمر في وجود الخالق والدين القويم. ونشره نفس الأب السابق ذكره في نفس المجموعة تحت رقم ٢ سنة ١٩٨٢م^(١٢).
- ميمر في تحقيق ناموس موسى والإنجيل الطاهر. وقد نُشر في مجلة المشرق سنة ١٩٠٣م، ونشره الأب قسطنطين الباشا.
- تسعة ميامر له، نشرها الدكتور جورج حراف بعد نقلها من العربية إلى الألمانية مع مقدمات وشرح نقلاً عن نسخة خطية في مكتبة دير المحلص. وعنوان الكتاب: "ميامر تاؤدوروس أبي قرة أسقف حرا"، أقدم تأليف عربي نصراني. بيروت ١٩٠٤م.

أما مؤلفات أبي قرة فهي عبارة عن ٤٣ مقالة بين قصة وطلبية،

إبراهيم بن يوحنا الأنطاكي

عاش في النصف الثاني من القرن العاشر، واشتهر بترجمة أعمال القديس أفرام السرياني (٣٠٦-٣٧٣م) في ترجمتها اليونانية من الأصل السرياني إلى اللغة العربية. حيث جمع له عدة عظات ورسائل، وفي آخرها مدح القديس غريغوريوس النيسي (٣٣٠-٣٩٥م) للقديس أفرام السرياني (٣٠٦-٣٧٣م). وقد نشر بعض هذه العظات القمص أفرام البراموسي في كتاب مقالات مار أفرام في القاهرة سنة ١٨٩٢م.

وله أيضاً مجموعة ميامر لغريغوريوس التريزي (٣٢٩-٣٨٩)، ترجمها من اليونانية إلى العربية، وكان لها شأن كبير لدى المسيحيين الملكيين في مصر خصوصاً.

أبو الفتح بن الفضل بن عبد الله المطران الأنطاكي

وهو شماس توفي سنة ١٠٥٢م. ويعد من أعظم مترجمي التراث الكنسي اليوناني إلى العربية.

وتدل مؤلفاته على ثقافة فلسفية ولاهوتية ممتازة، ومعرفة فائقة بآباء الكنيسة، حيث ترجم مئات المواعظ والمقالات لهم. وإذ قد تشبّع من روحهم فقد بات من المتعذّر على القارئ أن يميّز بين آرائهم وآرائه الشخصية. وله تأليف عديدة في تفسير المزامير والكتب الطقسية لم ينشر منها إلا القليل.

وقد نشر الأب الدكتور جورج شحاتة قنواتي ٢٤ عملاً من أعماله في كتاب "المسيحية والحضارة العربية" (١٣)، حيث تتضمّن تعريفاً لأسفار

الكتاب المقدس من اليونانية مع شرحات عليها، وكتب في مواضع

دينيّة وفي اللاهوت. وشرح لقانون الإيمان ألفه باليونانية، ثم نقله إلى العربيّة، وعرب عن اليونانية كثيراً من مؤلفات يوحنا ذهبي الفم في شرح أسفار العهد الجديد، والقديس باسيليوس الكبير على الإكساميرون أي ستة أيام الخليقة، وللقديس غريغوريوس النيسي عن خلق الإنسان، وميامر للقديس غريغوريوس التريزي، وبعض أعمال القديس يوحنا الدمشقي، وآخرون. ومن أشهر كتبه أيضاً كتاب "المنفعة الكبير"، وكتاب "المنفعة الصغير".

وعرب ابن الفضل حسب الترجمة السبعينية، كتب القراءات الليتورجية: الرسائل والإنجيل الإلهي المقدس، والمزامير، وربما النبوات، وخص هذه الكتب بمقدمات صغيرة لا تشكل مدخلاً إلى كل كتاب طقسي فحسب، بل إلى كل من الأناجيل ورسائل القديس بولس الرسول، والرسائل الجامعة. وأضاف إليها شرحاً للمقاطع التي كانت تتلى أيام الأحاد والأعياد. وترجم السنكسار إلى العربيّة. وكان عالماً جيداً باللغات العربيّة واليونانية والسريانية.

فنشاطه الثقافي المذهل والسُّمعة التي يتمنّع بها فرضا ترجماته، فانكب عليها النُسخ يتناقلوها، فيما أهملوا ترجمات أخرى حتى جاء القرن السابع عشر فاختارتها مطبعة حلب أولاً، ثم مطبعة الشوير ابتداءً من سنة

بعض الكتابات الملكيين

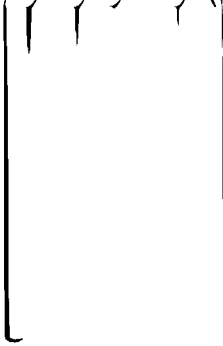
ومن الكتاب الملكيين أيضاً الذين كتبوا بالعربية سعيد بن البطريق، بطريرك الإسكندرية الملكي (+ ٩٤٠م). ويحيى بن سعيد، واشتهرا بموسوعاهما التاريخية. والراهب توفيلس المؤرخ في القرن الحادي عشر، صاحب تاريخ عام لغاية زمانه، وسمعان الأنطاكي الراهب الذي عاش في دير سمعان العمودي في القرن الثالث عشر، وكتب تاريخ أنطاكية العظمى. والأمير جمال الدين وهبة الله مؤرخ الملكيين من القرن الثالث عشر، وألف كتاب قوانين المجامع والآباء.

سادساً: الرهينة ودورها في الإمبراطورية البيزنطية

لعبت الرهينة في الدولة البيزنطية دوراً لا يقل أحياناً عن الدور الذي لعبته الكنيسة، وكانت الرهينة القبطية قد انتقلت إليها في مهدها من صحراء مصر في القرن الرابع الميلادي على يد مؤسسها الأول الأنبا أنطونيوس أب جميع الرهبان في العالم.

لقد اعتبرت مصر الأرض المقدسة الثانية - بعد أورشليم - في القرن الرابع الميلادي لانتشار الأديرة فيها، واعتقد حجاج أورشليم أن حجهم يعتبر ناقصاً إن لم يعرجوا على أديرة وادي النيل، ثم أصبحت فلسطين في القرن الخامس والسادس مركزاً للحركة الديرية، واشتهر فيها كل من القديس افثيميوس الكبير Euthymius the Great (+ ٤٧٣م) وتلميذه القديس سابا Sabbas (+ ٥٣٢م). وقد أسس الأخير ديراً سُمي باسمه، ولا يزال قائماً حتى اليوم في الأردن، وهو يماثل في القدم دير القديسة كاترين في طور سيناء وهو الدير الذي أسسه

الإمبراطور جوستينيان الأول (٤٨٣ - ٥٢٥ م). ونظراً لوقوع سيناء



وفلسطين في أيدي المسلمين انتقل مركز الحركة الديرية إلى القسطنطينية.

لقد كان عدد الرهبان عظيماً في الإمبراطورية البيزنطية، وكذلك عدد الأديرة أيضاً، ولعل من أهمها أديرة جبل آثوس المشهور اعتباراً من القرن العاشر الميلادي.

وأحاط الناس الرهبان باحترام زائد، ودعوهم "رعايا السماء"، وقد ازدادت الأديرة ثراءً، واتسعت أراضيها، حتى أن الأباطرة خشوا سوء العاقبة. وفي فترة حرب الأيقونات التي امتدت لأكثر من قرن من الزمان تعرّض الرهبان الذين أيّدوا الأيقونات إلى النفي والسجن ومصادرة الأراضي. ومع ذلك لم يتمكّن الأباطرة في نهاية الأمر من القضاء عليهم. وفي عهد الأسرة المقدونية سنّ قانون يحرم تأسيس أديرة جديدة، أو منحها أراضي جديدة. ولكن البطريرك والرهبان احتجّوا واستأثروا وهذّبوا بالثورة، فألغى القانون.

وجدير بالذكر أن المشاكل الدينية قد لعبت دوراً هاماً في حياة الإمبراطورية البيزنطية، وكانت من الأسباب التي أضعفت الإمبراطورية وأدت إلى انحطاطها ثم اضمحلالها.

حوالي ستة وعشرون بطريكاً، وحوالي ١٤٤ أسقفاً، وهذا يعطينا فكرة على أهمية هذا الجبل المقدّس.

ومن بين الأديرة العشرين الكائنة هناك سبعة عشر ديراً يونانياً أما الثلاثة الباقية فهي دير روسي وآخر صربي، وثالث بلغاري. بالإضافة إلى عدّة أديرة صغيرة أخرى مهمة، وعدد لا يُحصى من المناسك الصغيرة. وبالجيل المقدّس عدد من النساك يعيشون في الطرف الجنوبي من شبه الجزيرة على حافة هوّات مخيفة داخل أكواخ أو مغاير.

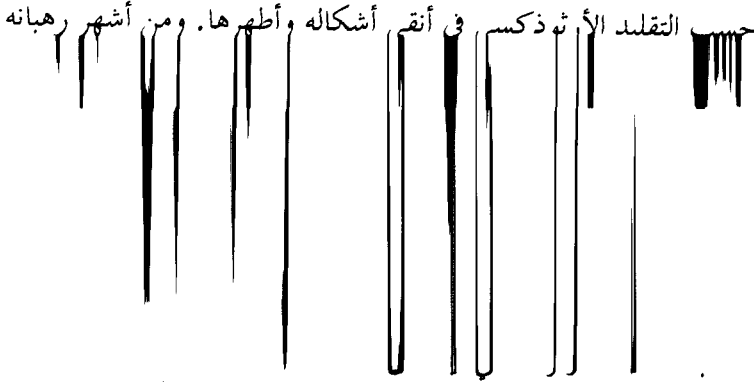
وعدا الجماعات اليونانيّة، يعتبر الدير الصربي في وضع أفضل، إذ سمح لعدد كبير من الشباب من يوغوسلافيا الالتحاق به.

وبالإضافة إلى رهبان الجبل المقدّس من الصرب والبلغار والرومان، يوجد اليوم رهبان من فرنسا وإنجلترا وألمانيا وسويسرا وفنلندا والولايات المتحدة الأمريكيّة وكندا وبيرو وجنوب أفريقيا وأستراليا وألاسكا.

وتحتضن أغلب الأديرة ساحل البحر مكوّنة أربعة أضلاع من المباني يتوسطها كنيسة، وتحتوي الكنائس على بعض من أهم النماذج للفن البيزنطي والأيقونات والذخائر. وتضم المكتبات المتبقية عدداً كبيراً من المخطوطات التقليديّة، ومخطوطات تعود للعصور الوسطى، أغلبها تم تسجيله.

وفي الحقبة البيزنطيّة كان الجبل المقدّس مركزاً للإنتاج اللاهوتي، ولكنه خسر هذا الدور الآن، غير أنه منذ الستينيات من القرن العشرين ظهرت بوادر لنهضة فكريّة.

ويضم الجبل المقدّس رجال صلاة، ونساك وقديسين يسلكون



الأب سلوان (١٨٦٦ - ١٩٣٨م) الذي عاش في دير القديس بندلائمون الروسي. وكذلك الأب يوسف الذي توفي سنة ١٩٥٩م وهو يوناني الجنسية عاش حياة نسكيّة في جنوب الجبل. ومن القديسين المعاصرين أيضاً الأب سلفستر (+ ١٩٦٠م)، والأب فيلارت (+ ١٩٦٣م) وهو لاجئ من أمريكا إلى الجبل المقدس، وكانت سعادته في إقامة القدّاس يومياً والاستعداد له طوال الليل بالصلاة. والأب تيخون (+ ١٩٦٨م) وكان يؤخذ في حالات دهش لمدة دقائق تطول أحياناً في أثناء صلاة القدّاس الإلهي، يعاين خلالها طغمت سماويّة، يعود بعدها إلى تكلمة صلاته قليلاً قليلاً. والأب فيرون (١٩٧٨م) الذي خرج من عزله بالدير والتي امتدت إلى ٥٦ عاماً وارتفع إلى رتبة القداسة بطاعته لأبيه الروحي في انتضاع ومحبة شديدة للمسيح. وغيرهم كثيرون، بركة صلاتهم المقدّسة تكون معنا.

وكان بعض الرهبان المتوحّدين هم أول من سكن جبل آتوس فيما قبل سنة ٨٥٠م، ولكن بداية الحياة الرهبانيّة النظاميّة الديرية كان في سنة ٩٦٣م، عندما قام الأب أنناسيوس الآتوسي بمعاونة الأمير البيزنطي نيسيفوروس الثاني فوكاس بتأسيس أول دير، والذي يُسمى حالياً الدير الـ The Great Laura. . وعلّم الرّغم من معارضة المتوحّدين في تأسيس

الحادي عشر شيدت عدّة أديرة أخرى، وقامت روسيا وبعض الدول السلافية الشماليّة ببناء أديرة لها، مما أعطى شبه الجزيرة طابع الأرثوذكسيّة الشاملة Pan Orthodox .

وفي سنة ١٤٠٠م تأسّس ١٩ ديراً من العشرين ديراً القائمة الآن، وقد بُني آخر الأديرة في سنة ١٥٤٢م، وهو دير إستافرونيكيثا Stavronikita .

وفي القرن الخامس عشر هجرت بعض الأديرة في جبل آثوس الحكم الصارم الذي فُرض عليها، وأنجحت إلى نظام أكثر تحرراً يسمح للرهبان ببعض الحقوق الشخصية، وأن ينتخبوا رئيسهم مرتين في السنة.

ولما استولى الأتراك على تسالونيكى سنة ١٤٣٠م خضع الرهبان للحكم التركي، مما أدي إلى الاضمحلال السريع، والفقر، والاتجاه إلى الأنظمة الأكثر تحرراً.

وفي سنة ١٧٨٣م أدخل البطريرك جبرائيل الرابع بعض الإصلاحات الناجحة ذات طابع جديد. وقد عانت رهبة آثوس بشدة من أعمال السلب والنهب التركي أثناء حرب استقلال اليونان بين سنة ١٨٢١م وسنة ١٨٢٩م حيث أُحرقت خلالها مكاتبها.

ومن ناحية أخرى أدّت وصاية قياصرة روسيا في القرن التاسع عشر إلى التوسع في الأديرة الروسية وممتلكاتها في الجبل المقدّس.

أما دستور الرهبة الحالي فيرجع تاريخه إلى سنة ١٩٢٤م، وهو جزء من الدستور اليوناني سنة ١٩٢٧م. ويوجد من يمثّل الحكومة اليونانية في جبل آثوس، إلا أن السلطة التنفيذية الحقيقيّة في يد الجمع المقدّس، حيث

يتم تطبيق النظام النيايى الموضوع سنة ١٧٨٣م.

والياً يوجد ١١ ديراً محافظاً، و٩ أديرة متحررة، حيث النظام والأصوام أكثر مراعاة في الأديرة المحافظة.

ويواجه جبل آتوس اليوم مشاكل عديدة أهمها تضائل عدد الرهبان. ففي سنة ١٩٠٠م كان عدد الرهبان عشرة آلاف، وفي سنة ١٩٠٣م أصبح العدد ٧٤٣٢ راهباً، تضاعف في سنة ١٩٦٣م إلى ألف واحد، وفي سنة ١٩٦٥م زاد إلى ١٤٩١ راهباً، ثم أصبح ١١٩١ راهباً في سنة ١٩٨٠م، ثم ١٩٠٠ راهباً في سنة ١٩٨٤م، وبلغ عدد الرهبان في التسعينيات من القرن العشرين ١٥٠٠ راهباً.

ويعيش الرهبان حياتهم اليومية الرتيبة الهادئة، في حياة مقدسة، ربما يعجب الكثيرون من رتابتها، حتى أن مثل هذه الحياة الغربية على أهل العالم تدعو أحياناً إلى التساؤل: ألا يشعر الرهبان بملل؟ ويجيب واحد من شيوخ الجبل المقدس على ذلك بقوله: ”إن الشمس تشرق كل يوم، ولا نمل من ظهورها، فهل حدث قط أن قلنا: ليتها لا تشرق اليوم؟“.

الفصل الثالث

الإمبراطورية العثمانية

بسقوط الإمبراطورية البيزنطية وظهور الإمبراطورية العثمانية^(١) تحوّل اسم القسطنطينية إلى "الآستانة"، وهي المعروفة اليوم باسم "أنقرة" عاصمة جمهورية تركيا الحالية بآسيا الصغرى^(٢)، كما تحوّلت كاتدرائية آجيا صوفيا إلى جامع يحمل نفس الاسم القديم للكاتدرائية أي "جامع آجيا صوفيا!".

وتقع تركيا جنوب شرق أوروبا، وتشغل شبه جزيرة الأناضول^(٣). يحدها البحر الأسود من الشمال، وسوريا والعراق من الجنوب، وإيران

١- أصل الدولة العثمانية، أنها إحدى الإمارات التابعة للسلاجقة في الطرف الشمالي الغربي من آسيا الصغرى، وبدأت هذه الإمارة في الاستقلال في عهد عثمان مؤسس الدولة العثمانية (١٢٨٨ - ١٣٢٦م) الذي اتخذ لقب "السلطان" حوالي سنة ١٣٠٠م.

٢- آسيا الصغرى هي شبه جزيرة بأقصى غرب قارة آسيا، وتُسمى أيضاً الأناضول، يحدها البحر الأسود شمالاً، والبحر المتوسط جنوباً وبحر إيجه غرباً، ويقرب الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى تمتد جبال طوروس، بينما تتألف باقي الجزيرة من هضبة تعلوها الجبال وتكثر بها البحيرات. وكانت آسيا الصغرى ملتقى الحضارتين الشرقية والغربية في العصور القديمة، إذ يربطها نهر دجلة والفرات بالعراق، وتربطها

شرقاً وأرمينيا وجورجيا من الشمال الشرقي. واستمرت الإمبراطورية العثمانية قائمة حتى قيام ثورة كمال أتاتورك (أبو الأتراك) سنة ١٩١٩م التي أنهت الخلافة العثمانية، فتحول جامع آجيا صوفيا في سنة ١٩٣٥ إلى متحف يحمل ذات الاسم أيضاً أي: "متحف آجيا صوفيا".

إحصائية عامة

ينتمي الأتراك اليوم إلى مجموعات عرقية هي:
 الأتراك ويشكّلون ٨٦% من مجموع السكان.
 الأكراد، ويشكّلون نسبة ١١%.
 العرب، ويشكّلون نسبة ١%.
 مجموعات عرقية أخرى مختلفة، تشكّل نسبة ٢%.

ويدين ٩٩% من مجموع السكان بالإسلام، وهم يتبعون المذهب السني، أما نسبة الـ ١% المتبقية من مجموع السكان فتدين بديانات أخرى من بينها الديانة المسيحية^(٤).

واللغة التركية هي اللغة الرسمية في البلاد ويتكلمها ٩٠% من مجموع السكان. أما اللغة الكردية فيتكلمها ٩%، وهناك لغات أجنبية أخرى يتكلمها ١% من مجموع السكان.

ومساحة البلاد ٧٨٠٥٧٦ كيلومتر مربع، وبلغ تعداد السكان في سنة ٢٠٠٠م أكثر قليلاً من ٧١ مليون نسمة. ويتضاعف عدد السكان كل ٣٢ سنة، حيث يبلغ معدل زيادة السكان ٢,٢%. ويسكن المدن

٤ - يعيش في تركيا ٨٠ ألف أرمني، ثلاثة أرباعهم في العاصمة أنقرة. وتحاول الحكومة التركية التدخل في انتخاب البطريرك الأرمني في تركيا. وتعود العداوة بين الأرمن والأتراك إلى المجازر العامة التي اقترفتها تركيا ضد الأرمن سنة ١٩١٥م، لإبادتهم.

٦٠% من مجموع السكان، أما نسبة المتعلمين في البلاد فتبلغ ٨١%،

وتصرف البلاد ١,٧% من دخلها القومي على التعليم.

أصل الأتراك العثمانيين

الأتراك هو اصطلاح يُطلق في معناه الواسع على الشعوب التي تتكلم اللغة التركية في تركيا وروسيا السوفيتية، وتركستان الصينية، وشرق إيران. فهم منتشرون من شرق سيبيريا إلى الدردنيل، ويرتبطون معاً ارتباطاً وثيقاً بدين واحد هو الإسلام ولغة واحدة هي التركية.

وأغلب الظن أن الأتراك الأصليين عاشوا أولاً في جنوب سيبيريا، وفي تركستان، وتوسعوا جنوباً وغرباً، وأقاموا إمبراطوريات عديدة في آسيا، وكان منها إمبراطورية الأتراك السلاجقة في القرن العاشر في إيران، وبعد تفكك الإمبراطورية السلجوقية اتسعت رقعة البلاد تحت حكم عدد من السلاطين الأكفاء، كان أولهم عثمان مؤسس الأسرة العثمانية، وكان ذلك على حساب الإمبراطورية البيزنطية ومملكتي بلغاريا وصربيا. وبانتصارهم على الإمبراطورية البيزنطية سنة ١٠٧١م، في موقعة "مزكرت" أقاموا إمبراطورية قوية، ولكنها سقطت هي الأخرى في القرن الثاني عشر على يد التتار، وحلت محلها إمبراطورية الأتراك العثمانيين.

وفي سنة ١٤٥٣م سقطت القسطنطينيَّة في يد محمد الثاني فورث أملاك الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة. وبلغت الإمبراطوريَّة العثمانيَّة ذروة مجدها في القرن السادس عشر في عهد سليم الأول الذي انتصر على السلطان الغوري في معركة مرج دابق سنة ١٥١٦م واستولى على مصر وسوريا، فتنازل له الخليفة العباسي المتوكل عن لقب الخلافة، واتسعت الإمبراطوريَّة في عهد سليمان القانوني (١٥٢٠ - ١٥٦٦م) الذي فتح معظم بلاد اليونان والجزائر والمجر وكثيراً من أنحاء فارس وبلاد العرب. ولكن تركيا ظلَّت دولة تغلب عليها خصائص العصور الوسطى فاحتفظت بالنظام البيزنطي الآسيوي الاستبدادي، وعاملت الإمبراطوريَّة العثمانيَّة رعاياها من غير المسلمين أسوأ معاملة سجَّلتها صفحات التاريخ. وتاريخ الأقباط في مصر تحت الحكم العثماني شهادة واضحة على ذلك.

وبدأ الضعف يدب في أوصال الإمبراطوريَّة العثمانيَّة على إثر موت سليمان القانوني، عندما مُنيت بأول هزيمة لأسطولها الحربي سنة ١٥٦٧م بواسطة الأسطولين الأسباني والبندقي. وكانت أكبر صدمة لحقت بالأتراك عند اضطرارهم لرفع الحصار عن فيينا سنة ١٦٨٣م بمساعدة ملك بولندا. ومع توالي السنين أُجبرت الإمبراطوريَّة العثمانيَّة على التخلي عن بلاد المجر وصربيا وبلغاريا ورومانيا. وفي سنة ١٩١٨م هُزمت تركيا أمام ضربات البريطانيين، والجيش العربي في العراق وفلسطين وسوريا، وانتزعت منها كل أملاكها في آسيا. وخلال الحرب العالميَّة الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨م) فقدت الإمبراطوريَّة العثمانيَّة كل ممتلكاتها باستثناء تركيا. وفي سنة ١٩١٩م قامت الثورة

التركيّة بقيادة كمال أتاتورك (١٨٨٠ - ١٩٣٨م) (٥).

جمهورية تركيا الحديثة

وفي سنة ١٩٢٣م أعلنت تركيا جمهوريّة. وفي سنة ١٩٢٨م تم فصل الدين عن الدولة، أي أصبحت تركيا دولة علمانيّة (٦) L'Islam perd sa qualité de religion d'état officielle. وفي سنة ١٩٦٠م نظّم أحد الجنرالات انقلاباً وحلّ الحكومة. وفي سنة ١٩٦١م أُجريت انتخابات عامة للتصديق على الدستور الجديد. وفي سنة ١٩٧٤م غزت القوات التركيّة قبرص لتحول دون اتحادها مع اليونان. وفي سنة ١٩٧٨م وُضع

٥- هو مؤسس تركيا الحديثة، و"أتاتورك" أي "أبو الأتراك". اشترك ضابطاً سنة ١٩٠٨م، في الثورة التي قام بها حزب تركيا الفتاة. وفي مايو سنة ١٩١٩م، نظم الحزب الوطني التركي، وهو في بعثة إلى شمال الأناضول، وأخذ في تكوين جيش لمحاربة الجيش اليوناني الذي كان قد احتل أزمير. وشرع للاستيلاء على الأناضول الوطن الأصلي للأتراك العثمانيين. أصدر السلطان محمد السادس أمراً بقتله لخروجه على طاعته، فأقام كمال حكومة منافسة في أنقرة. وأعلن في نوفمبر سنة ١٩٢٢م، إلغاء السلطنة، ونفي الأسرة السلطانية. وأقام جمهورية تركيا سنة ١٩٢٣م، وانتخب رئيساً لها، وأعيد انتخابه ثلاث مرات. نفذ برنامجاً إصلاحياً واسع النطاق، واقتبس النظم الغربية، وغير معالم تركيا تغييراً كلياً دون أية معارضة. كان بالغ الصرامة في

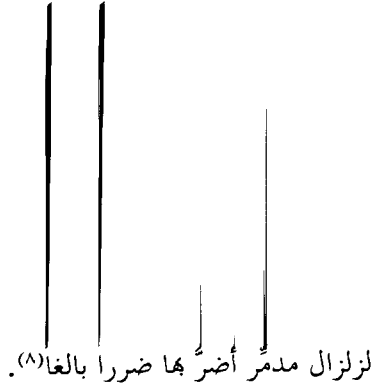
قانون عسكري (طوارئ) لقمع الاضطرابات الدينية والعرقية والسياسية. وفي سنة ١٩٨٠م قام انقلاب عسكري آخر أطاح بالحكومة. وفي سنة ١٩٨٣م انتُخبت حكومة مدنيّة جديدة مع تشريع جديد وُضع في ١٣ ديسمبر من هذا العام. وأصبح بموجبه رئيس الوزراء يجمع في يده كل السلطات الحقيقيّة للبلاد، وكان هو "تورجوت أوزال". وفي سنة ١٩٨٤م رُفع قانون الطوارئ. وفي سنة ١٩٩١م أُختير سليمان دميريل رئيساً للوزراء، ولكنه أُغتيل رمياً بالرصاص في سنة ١٩٩٣م. وفي أوائل سنة ١٩٩٧م قام الجيش بإسقاط الحكومة التي حاولت منذ سنة ١٩٩٥م إعادة البلاد إلى الحكم الإسلامي^(٧).

وتشهد الدوائر العلميّة على أن الشعب التركي يميل إلى أن تحكمه حكومة إسلاميّة، أما الأقلية من الحكام ويناصرهم الجيش فتريد دولة علمانيّة. وفي أغسطس سنة ١٩٩٧م أعلنت وزارة التربية التركية عدم الاعتراف نهائياً بشهادة جامعة الأزهر التي يحصل عليها الطلاب الأتراك الذين يدرسون في الأزهر بمصر، وعددهم حوالي ستة آلاف طالب سنوياً. وكانت الحكومة التركية قبل ذلك الوقت توجب على الطلبة الأتراك العائدين إلى وطنهم تركيا إنهاء دراسة الأزهر تقديم شهادة معادلة يحصلون عليها من كليّة الشريعة في استنبول بدعوى أن التعليم في الأزهر ليس على المستوى المطلوب.

وفي فبراير سنة ١٩٩٨م أصدرت المحكمة الدستورية العليا حكماً بحل حزب الرفاة الإسلامي في تركيا، إثر تكاتف بين الحكومة والجيش ضداً لرغبة الشعب، في محاولة لاسترضاء السوق الأوروبية المشتركة لقبولها

٧- في يونيو سنة ١٩٩٦م، أصبح رئيس حكومة تركيا أول رئيس وزراء مسلم في عصرها الحديث وهو نجم الدين أربكان، منذ أن تحولت إلى العلمانيّة أي منذ ما يزيد عن سبعين سنة بقليل.

ضمن أعضاء السوق. وفي أغسطس من العالم التالي تعرّضت البلاد



وفي يونيو سنة ٢٠٠٣م صدر تقرير عن مؤسسة سياسية في نيويورك^(٩) ترأسها السيدة مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية الأمريكية سابقاً، يقول عن تركيا: إن نسبة المعارضين من الشعب التركي لدور رجال الدين في البلاد تزيد حوالي ١٠% عن الراغبين فيه. ويرد في التقرير عبارة هامة تقول: "لا يوجد دليل يثبت أن تأييد دور الدين في الحياة السياسية والعامّة نابع من الإحساس بفساد الحكومة، بالرغم من أن المسلمين المشاركين في هذا الاستقصاء أبدوا اهتماماً بالغاً بالفساد المنتشر في الدول الإسلامية".

لقد ظلّت هويّة تركيا غير محدّدة المعالم جيّداً، فتركيا لا ترضى أن تكون إحدى دول آسيا، وأوروبا تراوغ في اعتبارها إحدى الدول الأوروبية. فالشعب التركي منشطر بين الغرب والشرق، بين التراث والحداثة، بين أوروبا وآسيا. ولن تقدر تركيا في القريب العاجل على حل هذا التناقض الذي يشطر عقلها ويشتت قلبها.

الباب الثاني

البطريكيّات البيزنطيّة

الأربع القديمة

الفصل الأول

بـطـرير كـيَّة القـسطنـطيـة

يقع مقر بطريركيّة القسطنطينيّة الآن في جمهورية تركيا، وهي تشمل الأرثوذكس المقيمين فيها بالإضافة إلى جبل آثوس في اليونان، علاوة على جزيرة كريت، وبعض جزر بحر إيجه، إلى جانب كنائس المهجر المنتشرة في أوروبا وأمريكا والصين واليابان.

وكانت بيزنطة - التي حلّت محلها القسطنطينيّة فيما بعد - أسقفية صغرى تحت الرئاسة الدينيّة لمطران هرقلية، ومن الجلي تماماً أنه مركز غير مناسب لعاصمة جديدة للعالم المسيحي الشرقي. ومن ثمّ سرعان ما رُفعت منزلة أسقف بيزنطة فأصبح بطريرك القسطنطينيّة، وكانت المقاطعات التي يتولى شؤونها آنذاك هي آسيا الصغرى والشطر الأعظم من شبه جزيرة البلقان.

وفي ظل الإمبراطوريّة البيزنطيّة أقام بطريرك القسطنطينيّة في كنيسة آجيا صوفيا، وهي الكاتدرائية التي بناها الأباطرة زهواً واعتزازاً بإمبراطوريّتهم المسيحيّة الممتدّة الأطراف آنئذ.

وكان البطريرك نفسه يقع تحت سيطرة الإمبراطور، وكان يُنتخب من الناحية الاسميّة فقط بواسطة هيئة الأساقفة، ولكن واقع الأمر هو أن

البطريرك هو النفي. وكان الإمبراطور يمارس رقابته وتحكّمه في الكنيسة عن طريق وزيره الملقب "السنكللوس - Syncellus" أي رفيق القلاية.

كاتدرائيّة آجيا صوفيا

كاتدرائيّة آجيا صوفيا، هي مركز كرسي القسطنطينيّة منذ افتتاحها للصلاة في ١٥ فبراير سنة ٣٦٠م وحتى آخر صلاة مسيحيّة أقيمت بها صباح الثلاثاء ٢٩ مايو سنة ١٤٥٣م، وتعد أكبر كاتدرائيّة في العالم المسيحي بعد كاتدرائيّة القديس بطرس في روما.

ويقول المؤرّخ سقراط (٣٨٠ - ٤٥٠م) إن الإمبراطور قسطنطينوس (٣٣٧ - ٣٦١م) الذي كتب سيرة حياة الإمبراطور قسطنطين هو الذي بنى كاتدرائيّة آجيا صوفيا على الطراز البازيليكي، وكانت حوائطها من الحجارة وسقفها من الخشب، وفي يوم افتتاحها تزيّنت الكاتدرائيّة بستائر مرصّعة بالذهب والفضة.

وفي هذه الكاتدرائيّة ألقى القديس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧ - ٤٠٧م) كثيراً من عظاته. وفي سنة ٤٠٤م حدث شغب في القسطنطينيّة احتجاجاً على تأمر الإمبراطورة إفدوكسيا والإمبراطور أركاديوس لنفي القديس يوحنا ذهبي الفم، وأثناء هذه الأحداث شبّ حريق بالكاتدرائيّة أودى بها.

وفي عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني (٤٠٨ - ٤٥٠م) أعيد بناء كاتدرائيّة آجيا صوفيا على نفس الطراز البازيليكي بسقف من الخشب كالكنيسة الأولى، وتم افتتاحها وتدشينها في ١٠ أكتوبر سنة ٤١٥م. وفي سنة ٥٣٣م حدثت ثورة كبيرة بالقسطنطينيّة في عهد الإمبراطور جوستينيان (٥٢٧ - ٥٦٥م) وشب حريق بالكاتدرائيّة

أدى إلى تدميرها للمرة الثانية.

وبعد أن نجح الإمبراطور جوستنيان في إخماد الثورة، شرع في إعادة بناء الكاتدرائية بصورة أعظم وأكبر. فكلف الإمبراطور اثنين من كبار المهندسين البيزنطيين هما إيسيدوروس وأنتيموس بوضع تصميم لكاتدرائية ضخمة، وأحضر الإمبراطور الرخام الملون إليها من بلاد آسيا الصغرى ومصر وسوريا وشمال أفريقيا.

وبدأ العمل في بناء الكاتدرائية في ٢٣ فبراير سنة ٥٣٢م. وفي خلال خمس سنوات وعشرة أشهر وأربعة أيام كان قد تم الانتهاء من بنائها، وتم تدشين الكنيسة وافتتاحها في يوم ٢٧ ديسمبر سنة ٥٣٧م بحضور الإمبراطور جوستنيان الذي استقبله البطريك ميناس حال دخوله الكنيسة ووقف الإمبراطور يشكر الله الذي أعطاه أن يبني هذه الكاتدرائية الضخمة التي فاقت هيكل سليمان عظمة وفخامة.

وبعد حوالي عشرين سنة من هذا الاحتفال المهيب، تعرّضت مدينة القسطنطينية لعدة هزات أرضية شديدة وخصوصاً بين عامي ٥٥٣، ٥٥٧ ميلادية. فأدت إلى سقوط الجزء الشرقي من قبة الكاتدرائية. وتم ترميم القبة وأعدت الكاتدرائية للصلاة في احتفال كبير يوم ٢٣ ديسمبر سنة

٩٩٤م عندما أعاد الإمبراطور باسيليوس الثاني بناءها وافتتاحها للصلاة.

ومن بين الأحداث الهامة التي شهدتها الكاتدرائيّة دخول الكاردينال اللاتيني همبرت ومعه اثنان من مندوبي بابا روما إلى هيكل الكنيسة ووضعوا على المذبح وثيقة حرم كرسي القسطنطينيّة، وكان ذلك في مساء أحد أيام صيف سنة ١٠٥٤م، وعند خروج الكاردينال من الباب الغربي للكاتدرائيّة نفخ غبار رجليه. فكان هذا الحدث هو بدء الإنشقاق الكبير بين كرسي روما وكرسي القسطنطينيّة، أو كرسي روما القديمة في الغرب وروما الجديدة في الشرق.

في سنة ١٢٠٤م احتل اللاتين القسطنطينيّة إبان الحملة الصليبيّة الرابعة، ودخلوا كاتدرائيّة آجيا صوفيا، ونهبوا ما بها من مقدّسات وعظام قدّسين. وظلّ اللاتين يحكمون القسطنطينيّة حتى سنة ١٢٦١م حين استطاع الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثامن أن يحرّر المدينة من أيديهم. وكانت هذه الفترة من أسوأ الفترات في تاريخ القسطنطينيّة، وهي من العوامل الرئيسيّة التي مهّدت لسقوط القسطنطينيّة في أيدي الأتراك بعد حوالي قرنين من الزمان.

سلسلة البطارقة البيزنطيين

تبدأ سلسلة البطارقة البيزنطيين وهم الروم الأرثوذكس منذ سنة ٥١٨م، وكان أغلبهم سريانا، فكانوا يستعملون الطقس السرياني. وفي القرنين العاشر والحادي عشر استبدلوه بالطقس اليوناني.

واتخذ بطريرك القسطنطينيّة في القرن السادس لقب البطريرك المسكوني Oecumenical Patriarch وهو يُسمى في اليونانيّة

Οἰκουμηνικός Πατριάρχης . وأوّل استخدام لهذا اللقب كان موجّهاً

في رسالة من الأوساط الإكليريكية الأنطاكية إلى البطريرك القسطنطيني يوحنا الثاني (٥١٨ - ٥٢٠م). وفي البداية علمت روما بهذا فتغاضت عنه ولم تعره اهتماماً. ثم نشبت مشادة بين غريغوريوس الأول بطريرك أنطاكية الملكي، وبين استيريوس والي الشرق، فعُقد بسبب هذه المشادة مجمع في القسطنطينيّة في سنة ٥٨٧م، وترأس جلسات المجمع يوحنا الصوّام، بطريرك القسطنطينيّة، وفيه لُقّب بطريرك القسطنطينيّة بلقب "بطريرك المسكونة"، فهوحم اللقب في الغرب كلقب يتعارض مع حقوق إبارشيّة روما التي تراها حقاً لها من وجهة نظرها. فقال البابا غريغوريوس الكبير (٥٩٠ - ٦٠٤م) غاضباً: "إن زمن المسيح الدجّال لا بد أنه اقترب"، وأرسل إلى البطريرك القسطنطيني يوحنا الصوّام^(١) (+ ٥٩٥م) يقول له: "أذكر أن سلام الكنيسة يُشوّش بترفّعك الأحق، فيا أيها الأخ الحبيب أحب من كل قلبك التواضع الذي يحفظ اتفاق جميع الإخوة، ووحدّة الكنيسة المقدّسة الجامعة ... الخ". وكتب أيضاً إلى وكيله سينيانوس ألاّ يخدم القدّاس معه ما لم يترك اللقب.

أما منشأ هذا اللقب، فكان هو القانون الثالث لمجمع القسطنطينيّة المسكوني الثاني الذي عُقد سنة ٣٨١م، حيث ينص على:

ولقد لبثت روما نفسها لقرون عديدة لا تعترف بهذا الترتيب الجديد تماشياً مع مبدأ سنّه أحد قوانين مجمع نيقية المسكوني وهو: "... في مثل هذه الأمور يجب بقاء القديم على قدمه".

ويعقب العالم برسيفال على ذلك بقوله: "... إن التغيير الذي أحدثه هذا القانون لم يؤثر في مركز روما مباشرة بأي شكل، ولكنه أثر تأثيراً كبيراً في مركز كل من الإسكندرية وأنطاكية...". ويعود مجمع ترولو سنة ٦٩٢م ليذكر في قانونه السادس والثلاثين إنه إنما يُدعى هذا أولاً، وذاك ثانياً، ثم ثالثاً فابعاً... الخ للتعريف لا للتمييز في الرتبة.

وبرغم ذلك فقد ورد هذا اللقب في قوانين جوستينيان (٥٢٧-٥٦٥م) وشراعه، حيث اعتبر أن كل بطريك قسطنطيني يُدعى بطريكاً مسكونياً.

لقد كان نفوذ بطريركية القسطنطينية في شؤون الدولة كبيراً، وذلك بسبب أن البطريرك هو الذي يقوم بتسوية الإمبراطور، ثم لثروته الطائلة، ولكثرة أتباعه من رجال الدين وأهميتهم في المجتمع البيزنطي، وأيضاً لاهتمام الشعب بالشؤون الدينية وتأييدهم لرجال الدين في بعض المواقف. ولذا كانت العلاقات بين الإمبراطور والبطريك متأرجحة، حسنة تارة، ومتأزمة تارة أخرى. وحدث غير مرة أن قام الأباطرة بعزل البطاركة ونفيهم أو سجنهم لسبب تمردهم على سلطتهم. وفي المقابل تمكن البطاركة أيضاً في بعض الأحيان من فرض إرادتهم على الأباطرة، بل كانوا يفرضون عليهم العقوبات لأسباب دينية، حتى أن الانفصال الذي حدث بين الكنيسة البيزنطية عن الكنيسة الغربية سنة ١٠٥٤م كان بقرار من البطريرك الذي أجبر الإمبراطور أن يقبل هذا الانفصال مهدداً إياه بثورة شعبية.

فوتيسوس بطيريك القسطنطينية

هو من أشهر بطاركة كنيسة القسطنطينية لذلك نورد هنا لمحة عن تاريخه. ففي سنة ٨٥٨م وبعد ١٥ عاماً من انتصار مؤيدي الأيقونات في عيد الأرثوذكسية تولى فوتيسوس بطيريكية القسطنطينية وكان على جانب كبير من الثقافة، ويعتبر من أشهر الفلاسفة والأدباء البيزنطيين، إلى جانب كونه سياسياً من الدرجة الأولى.

اشتبك في جدل حال توليه منصبه مع البابا نيقولا الأول (٨٥٨ - ٨٦٧م) وكان أصل المشكلة أن البطيريك إغناطيوس السذي كان بطيريكاً للقسطنطينية قبل فوتيسوس قد نُفي بأمر الإمبراطور ميخائيل الثالث، وقد تنازل إغناطيوس باختياره في منفاه عن المنصب. غير أن أنصاره رفضوا اعتبار استقالته شرعية، واعتبروا رئاسة فوتيسوس اغتصاباً لحق ليس له. وكان البابا نيقولا من مؤيدي أنصار إغناطيوس، لهذا عندما أرسل فوتيسوس رسالة إلى البابا الروماني يخبره فيها بتوليه رئاسة البطيريكية حسب العادة الجارية بين رؤساء الكنائس، رفض نيقولا الاعتراف به إلا بعد أن تنجلي له طبيعة الموقف بين فوتيسوس وأتباع إغناطيوس، وأرسل البابا سنة ٨٦١م وفداً إلى القسطنطينية للقيام بتلك المهمة.

ولم يكن فوتيسوس راغباً في وقوع جدل بينه وبين بابا روما، فعامل

الذي لم يكن راغباً في وقوع جدل بينه وبين بابا روما، فعامل

إمтиازاته الكهنوتيّة، وقد أهملت الكنيسة البيزنطيّة ذلك القرار، ولم ترد عليه، ولكنها رأت فيه حرقاً لقرارات مجمع سرديقا سنة ٣٤٣م^(٢).

وكان القرار البابوي سنة ٨٦٣م يتضمّن الإدعاء البابوي بالزعامة الروحيّة العالميّة، واعتبر أن كنيسة روما لها الحق في فرض سيطرتها على كافة الكنائس في كل العالم كما صرّح بذلك سنة ٨٦٥م.

ولكي يرد فوتيوس اللّطمة إلى روما استغل بعض العقائد التي تدين بها روما مثل التشديد على عزويّة رجال الدين، واستخدام الفطير في سر الإفخارستيا، وعصمة البابا، وغيرها، بالإضافة إلى قلقه من نشاط الكنيسة الغربيّة في بلغاريا^(٣)، فعقد مؤتمراً دينياً في القسطنطينيّة سنة ٨٦٧م حرم فيه البابا نيقولا الأول قائلاً: إنه "عاث في بستان المسيح فساداً"، ويُشار إلى هذه الحادثة في التاريخ الكاثوليكي باسم "فتنة

٢- عُقد هذا المجمع بموافقة ولدي قسطنطين الكبير، وفهم البيزنطيون أن القانون الثالث من هذا المجمع يعتبر أن التراع الذي يُرفع إلى روما للبت فيه يجب ألا ينفرد به البابا بإصدار الحكم، بل يجب إشراك أساقفة الإيبارشيات المجاورة لمنطقة نفوذ الأسقف المراد معاقبته، ولكنه هو الذي يعين القضاة أو المحكمين.

٣- أرسلت القسطنطينية مبشرين إلى بلغاريا، وأرسلت ألمانيا مبشرين من جانبها إلى بلغاريا أيضاً. وكان التبشير البيزنطي يمتد من الشرق، والتبشير الألماني يمتد من الغرب، حتى التقى المبشرون البيزنطيون والألمان. ونتيجة لبعض الاختلافات في العبادة حدث خلاف علني تطور إلى انقسام بين البلغار.

وصلت أبحار الانقسام إلى البطريرك فوتيوس في القسطنطينية، وإلى البابا نيقولا في روما، فأعلن بابا روما دعمه الكامل للألمان، وفي المقابل دعا البطريرك فوتيوس إلى عقد مجمع في القسطنطينية حرم فيه البابا الروماني، فقابله هذا الأخير بحرم مقابل وعزله عن كرسيه، وأعاد البطريرك إغناطيوس إلى كرسيه. وتم تكليف الإمبراطور بجل مشكلة بلغاريا، فقرر أن تتبع بطريركيّة بلغاريا بطريرك القسطنطينية، فقام أمير بلغاريا بطرد جميع المبشرين الألمان من بلغاريا، فتمت المصالحة إلى حين بين القسطنطينية وروما.

فوتيوس“، وفي التاريخ الأرثوذكسي باسم ”فتنة نيقولا“.

في تلك المرحلة من النزاع تغيّر الوضع بصورة مفاجئة على إثر وفاة البابا نيقولا الأول، والإنقلاب السياسي الذي دبره باسيل الأول ضد الإمبراطور ميخائيل الثالث والذي حاول استرضاء المعارضة الدينيّة، فأمر بإقالة فوتيوس وإرجاع إغناطيوس إلى بطريركيّة القسطنطينيّة، وحاول التقرب من روما وعقد في سنة ٨٦٩م مؤتمراً في القسطنطينيّة قرّر فيه تعديل القرارات المتّخذة سنة ٨٦٧م ضد البابويّة.

وعلى إثر وفاة إغناطيوس سنة ٨٧٧م تولى فوتيوس بطريركيّة القسطنطينيّة للمرة الثانية، وكان يُظن لزمّن طويل أنه قد حدث انشقاق ثاني على يد فوتيوس، ولكن الدكتور دفورنيك قد برهن بطريقة لا تقبل الجدل أن ذلك الانشقاق لم يحدث أبداً.

لقد أصبح فوتيوس لدي الكنيسة البيزنطيّة قديساً ولاهوتياً لامعاً، ومن كبار رعاة الكنيسة، ولكنه في نظر الغرب أب الانشقاق ليس إلا، واليوم اتفق الجميع على صفاته الحسنة.

كان فوتيوس هو أول بطريرك على القسطنطينيّة يرسل بعثات

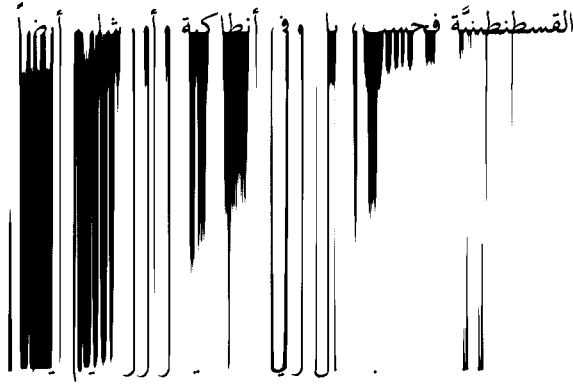
بوادر الانشقاق الكبير بين كنيسة روما والقسطنطينيّة

أرسل بابا روما في سنة ١٠٠٩م رسالة إلى بطريرك القسطنطينيّة سرجيوس الرابع تحوي عبارة تفيد انبثاق الروح القدس من الآب والابن، فلم تحاول القسطنطينيّة الرّد عليها، ولكنها منعت إدراج اسمه في الذبيح، وكان هذا التاريخ هو التاريخ الذي انقطعت فيه أسماء باباوات روما من الذكر في القدّاس الإلهي في كنيسة القسطنطينيّة. وفي سنة ١٠١٤م أدخلت عقيدة انبثاق الروح القدس من الآب والابن رسمياً في كنيسة القدّيس بطرس بروما.

وفي روما أُجبرت الكنائس الشرقيّة على إتباع الطقوس الغربيّة، وفي المقابل أمر بطريرك القسطنطينيّة كرولاوريوس بإغلاق كافة الكنائس اللاتينيّة في الإمبراطوريّة التي تأبى إتباع الطقوس الشرقيّة الأرثوذكسيّة، وكان ذلك سنة ١٠٥٢م، وأيدت كل من بطريركيّات أنطاكية والقدس والإسكندريّة تصرّفات البطريرك القسطنطيني في هذا الشأن.

وكانت هذه هي بعض العوامل التي عجّلت بالانفصال الكبير الذي حدث بالفعل سنة ١٠٥٤م.

ومع ذلك ظلّ غالبية المسيحيين من عامة الناس خارج هذا النزاع، لا يعرفون عنه الشئ الكثير، فأنحصر تقريباً بين الرؤساء الدينيين في كلا الجانبين على أمل أنه سيتمّ تذليل سوء التفاهم دون صعوبات كثيرة. ولكن كانت الحروب الصليبيّة هي السبب الرئيسي والنهائي في جعل هذا الانشقاق نهائياً بعد أن أدخلت في نفوس الشعب روح الكراهية والمرارة لكل ما هو غربي، فانتقل النزاع برّمته إلى مستوي الشعب، بعد أن رأى الناس أسقفاً لاتينياً ينافس أسقفه الوطني الأصيل على كرسي واحد لا في



إذا فقد ظهرت بوادر الانشقاق بين كنيسة روما والقسطنطينية منذ منتصف القرن التاسع الميلادي، حين حاول كرسي كنيسة روما بسط نفوذه وسلطته على كنائس الشرق، وكانت رئاسة كرسي روما من قبل قاصرة على كنائس الغرب.

كما أن قبول كرسي روما في القرن الحادي عشر لعقيدة انبثاق الروح القدس من الآب والابن وليس من الآب فقط، حين أضاف كلمة "والابن" على عبارة "منبثق من الآب"، كانت أحد أسباب الانشقاق الرئيسية.

بالإضافة إلى اختلافات أخرى مثل استخدام الخبز غير المختمر (الفطير) في سر الإفخارستيا بدلاً من الخبز المختمر كما تمارسه الكنيسة البيزنطية. ومثل بتولية الكهنة التي ظلت كنيسة روما تتمسك بها في حين سمحت الكنائس الشرقية بزواج الكهنة حسب ما قرّر مجمع نيقية المسكوني الأول.

إن الأمية التي ضربت إطنابها في أوروبا حثمت على الكنيسة الغربية أن تؤسس كوادراً ثقافية لها، ونتج عن ذلك أن رجال الكهنوت في الغرب صار لا يمكنهم الانخراط في الكهنوت إلا إذا أعنتهم الكنيسة من

واشتغالهم بالأمر الدينيّة^(٤).

لقد كانت العقليّة اليونانيّة عقليّة تأملية بينما اللاتينيّة عقليّة واقعيّة.

بطريركيّة القسطنطينيّة اليوم

بسقوط القسطنطينيّة وبالتالى الإمبراطوريّة البيزنطيّة، انتقل كرسي القسطنطينيّة من كاتدرائيّة آجيا صوفيا إلى منطقة الفنار باستنبول حيث يقيم الآن البطريرك المسكوني.

ولقد كان مسلمو القرن الخامس عشر أكثر تسامحاً تجاه المسيحيّة مما كان عليه المسيحيون فيما بينهم في عصر الإصلاح وفي القرن السابع عشر.

وعامل الأتراك المسيحيين الخاضعين لسلطتهم معاملة شبه حسنة، وكان يسوغ لهم ممارسة شعائر دينهم بحريّة شريطة أن يخضعوا لسلطة الإسلام السياسيّة.

وبعد أن علم محمد الثاني بأن الكرسي البطريركي شاغر، استدعى الراهب جيناديوس وأجلسه في السدة البطريركيّة. وجيناديوس (١٤٠٥ - ١٤٧٢م) الذي عُرف باسم جورج سكولاريوس قبل أن يصبح راهباً كان كاتباً غزير الإنتاج، ومرجعاً بين اللاهوتيين اليونانيين، وخصماً لدوداً لكنيسة رومية. وبالطبع قد وقع اختيار السلطان التركي على مثل هذا الرجل لأسباب سياسيّة، إذ لا يعود مع جيناديوس ثمة تلمس لمساعدة سرّيّة لدى السلطات الكاثوليكيّة الرومانيّة.

وحدث أن نصّب هذا السلطان البطريرك الجديد مسلماً إياه عصا

4. Ware T., The Orthodox Church, 1964.

الرعاية، تماماً كما كان يفعل الأباطرة البيزنطيون حتى ذلك الحين. لقد

كان العمل رمزياً إذ أخذ محمد الفاتح بطل الإسلام على عاتقه الدور الذي كان يحتله الإمبراطور المسيحي.

وبعد حين اكتشف المسيحيون - وكان لا بد لهم أن يعرفوا - أن ديانتهم صارت ديانة من الدرجة الثانية، ومعتقوها هم مواطنون من الدرجة الثانية أيضاً، إذ عليهم أن يدفعوا الجزية، ويرتدوا ألبسة مميّزة، ولا يحق لهم الانخراط في الجيش، ولا الاقتران بمسلمة، كما لا يُسمح للكنيسة بالقيام بأي نشاط تبشيري. كانت هي نفس السياسة التي اتبعها العثمانيون مع كنيسة مصر عندما احتلوا مصر، فسياستهم واحدة أينما حلّوا.

وأصبح المسيحيون في الدولة الإسلاميّة الجديدة يُسمون "مّلة الروم"، وأصبح البطريرك الذي هو رئيس الكنيسة الأرثوذكسيّة اليونانيّة، والرئيس المدني للمّلة يُسمى "رئيس المّلة"، واكتسب الأساقفة صفة كبار موظفي الدولة. وهكذا استمر الحال في تركيا حتى سنة ١٩٢٣م. وفي قبرص بقيت مطبّقة حتى سنة ١٩٧٧م يوم وفاة الأسقف مكاريوس، فأدى هذا النظام إلى حفظ الأُمّة اليونانيّة متماسكة طيلة أربعة قرون.

ولكن نتائج هذا النظام كانت سيّئة على صعيدين:

تسَلَّم مهامه، وهي وثيقة عليه أن يدفع ثمنها، ثم كان يسترجع المبلغ من الأساقفة عند تنصيبهم على إبيارشياتهم، فصار كل شيء معروضا للبيع.

فإذا تصادف وجود عدَّة مرشَّحين للسدَّة البطريركيَّة، تصرَّف الأتراك كأهم يبيعون المنصب لمن يدفع أكثر. وسرعان ما لاحظوا أن من مصلحتهم الماليَّة تغيير البطاركة باستمرار لزيادة فرص بيع البراءات، فأصبح البطاركة معرَّضين للعزل وإعادة التنصيب في أي وقت.

فمن بين ١٥٩ بطيريكاً اعتلوا السدَّة بين القرن الخامس وأوائل العشرين، خلع الأتراك منهم ١٠٥ بطيريكاً، وحصلت ٢٧ حالة تنازل أغلبها قسري، ومات منهم ستة قتلاً... وبقي ٢١ فقط قضوا حياتهم بشكل طبيعي خلال توليهم مهامهم. وكانت السدَّة البطريركيَّة تعود أحياناً أربع أو خمس مرات للبطيريك ذاته. فانقسم رؤساء الكنيسة إلى أحزاب متنافرة كل التنافر.

ويبلغ عدد المؤمنين التابعين لبطيريكَّة القسطنطينيَّة حوالي ثلاثة ملايين، أكثر من نصفهم يونانيون يقطنون أمريكا الشماليَّة. ولم يعد من المسيحيين الأرثوذكس في تركيا سوى خمسة آلاف نسمة تقريباً حتى قرب نهاية القرن العشرين. ومع ذلك لازال البطريرك المسكوني يحمل لقب بطيريك القسطنطينيَّة، وله الأولويَّة الشرقيَّة على كافة رؤساء الكنائس الخلقيدونيَّة بما فيها كنيسة روسيا التي ينتمي إليها الآن أكثر من ١٠٠ مليون مسيحي أرثوذكسي.

وفي نهاية الحرب العالميَّة الأولى كان يقطن تركيا نحو مليون ونصف من الشعب اليوناني. ولكن في الحرب الكارثة بين اليونان وتركيا سنة ١٩٢٢م قتل أو نُفي معظم الشعب اليوناني. وتعتبر استنبول المدينة التركيَّة

الوحيدة - باستثناء جزيرة أمبروس^(٥) - التي يحقّ لليونانيين الإقامة فيها.

وباستثناء البطريرك لا يحقّ لأعضاء الإكليروس الأرثوذكسيّ التحوُّل في المدينة بملابسهم الإكليريكّة. وفي الاضطرابات المعادية لليونانيين والمسيحيّة التي وقعت في أيلول سنة ١٩٥٥م وخلال ليلة واحدة تم سلب ونهب وانتهاك ستين كنيسة من الكنائس الأرثوذكسيّة الثمانين الموجودة في القسطنطينيّة. ولم يبق من المسيحيين الأرثوذكس بعد ذلك في أحياء القسطنطينيّة سوى أقلية قليلة مرتاعة تنتمي في كليتها تقريباً لأشدّ الطبقات فقراً.

ولقد أسس البطريرك أثيناغوراس "مؤسّسة الآبائيّات" سنة ١٩٦٨م تبنت تصوير ما يزيد عن عشرة آلاف مخطوطة قديمة في أديرة جبل آثوس بالميكروفيلم واكتمل العدد سنة ١٩٧٢م إلى ثلاثة ملايين لقطّة منها ستة آلاف لقطّة ملوّنة تظهر في أربعة مجلدات.

ولقد هُدد البطريرك نفسه بالطرد من البلاد عدّة مرات. وقد أقفلت الحكومة التركيّة معهداً لاهوتياً لبطريركيّة القسطنطينيّة سنة ١٩٧١م وكان له طابع دولي في ظل رعاية البطريرك أثيناغوراس، أما مقرّه فكان في جزيرة خالكي بجوار القسطنطينيّة.

وقد أنهى البطريرك أثيناغوراس مدة ولايته (١٩٤٨ - ١٩٧٢م) والتي

الكنيسة التي جرت في روما احتفالاً بالذكرى العاشرة لرفع الحرمان بين كنيسة روما والقسطنطينية، جثا البابا بولس السادس راكعاً أمام مبعوث بطريرك القسطنطينية ديمتريوس، وقَبِل قدمه. وهذه اللفتة التاريخية الفريدة لا يعرف عمق معناها سوى دارسي التاريخ. إن تقبيل بابا روما لقدمي مطران أرثوذكسي هو عمل محبة عميق كفيلاً في حد ذاته أن يغفر ويمحو كل أخطاء التاريخ. ولقد حدث ذلك عقب إعلان رئيس الوفد الأرثوذكسي في الاحتفال بأن الكنائس الأرثوذكسية الشرقية قرّرت إنشاء لجنة مشتركة للإعداد لمبادرات الوحدة مع الكنيسة الرومانية الكاثوليكية.

وقد علق رئيس أساقفة اليونان الأرثوذكس بالأمريكتين "ياكوبوس" على ما فعله بابا روما بقوله: لا ينبغي اعتبارها مجرد عمل لرجل قديس، أو رمز اتضاع فقط، بل رسالة تحدي رسمية لجميع المسيحيين في العالم الذين يسعون للوحدة.

وفي سنة ١٩٧٦م عُقد المؤتمر الأرثوذكسي العام التمهيدي (الإعدادي) لجميع الكنائس التي تتبع بطريرك القسطنطينية. وصدر عن المركز الأرثوذكسي في شامبيزي بجنيف (سويسرا) بياناً عن أعمال المجمع الأرثوذكسي العام التالي المزمع عقده، حدّد فيه أن أهم أعماله إجراء حوار مع الكنائس الشرقية القديمة (القبطية، والأثيوبية، والسريانية، والأرمنية)، وترسيخ التعاون مع مجلس الكنائس العالمي وتنشيط اللجنة المختصة بالحوار مع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية التي لا يزال الحوار اللاهوتي معها في مرحلته الإعدادية. وقد عقد هذا الاجتماع في جنيف في صيف سنة ١٩٨٢م، وحضره ١٣ كنيسة تمثل الكنائس البيزنطية والروسية والسلاوية وبلاد الصرب.

وفي خلال الفترة من ٢٨ أكتوبر إلى ٦ نوفمبر سنة ١٩٨٦م انعقد

المؤتمر التمهيدي الثالث للكنايس الأرثوذكسيّة الخلقيدونيّة في العالم في

تشماسزي بسويسرا، في المركز الأرثوذكسي التابع لبطريركيّة القسطنطينيّة، وحضره مندوبون عن ١٤ كنيسة أرثوذكسيّة ذات الرئاسة المستقلة، وذلك للإعداد للمجمع المرتقب والذي يعتبر لدى هذه الكنائس بمثابة مجمع مسكوني ثامن حيث انعقد آخر مجمع مسكوني لديهم سنة ٧٨٧م في نيقية. وكان صاحب فكرة هذا المجمع المرتقب البطريرك أثيناغوراس حوالي سنة ١٩٦٧م.

وفي أغسطس سنة ١٩٨٧م قام بطريرك القسطنطينيّة ديمتريوس الأول برحلة زار خلالها كنائس روسيا (وهي أول زيارة لبطريرك القسطنطينيّة لروسيا منذ ٤٠٠ سنة)، وجورجيا، ومصر، حيث تقابل مع قداسة البابا شنودة الثالث، وكذلك رومانيا، وبلغاريا، والصرّب (يوغوسلافيا السابقة)، واليونان، وقبرص، وبولندا، وتشيكوسلوفاكيا. واختتم جولاته المسكونيّة بقاء مع البابا يوحنا بولس الثاني بابا روما في الفاتيكان في الفترة من ٤ - ٧ ديسمبر سنة ١٩٨٧م وتبادلا قبلة السلام، وقال بابا الفاتيكان: "منذ ثمان سنوات كان لي السعادة الكاملة أن أتبادل قبلة السلام معكم في مقرّكم البطريركي في الفنار ... ليت الرب ينعم علينا بنعمة الشركة الكاملة في الإيمان والمحبة ...".

الأرثوذكسيّة الشرقيّة التي تتبع البطريك المسكوني في استنبول، في مؤتمر قمة عُقد في الفنار في مارس سنة ١٩٩٢م، في زمن رئاسة البطريك المسكوني برثلماوس (رقم ٢٧٠) الذي نُصب بطريكاً سنة ١٩٩١م. وحضرة غير البطريك المسكوني سبعة بطاركة^(١)، واثان من رؤساء الأساقفة^(٧)، ومطرانان^(٨).

ومن على إنبل الكاتدرائيّة البطريكيّة قرئ البيان المشترك الذي صدر عن ١٢ رئيس كنسي، ووزّع على جميع الكنائس الأرثوذكسيّة التي يرأسونها، والتي يتبعها حوالي ٢٠٠ مليون مسيحي أرثوذكسي في العالم. ويعكس البيان:

– قلق الرؤساء من قدوم كثير من المذاهب المسيحيّة الغربيّة وعملها بين أبناء الكنائس الأرثوذكسيّة، التي رفضت عنها أخيراً قيود الشيوعيّة، في أنشطة غير مقبولة من جانب ”متطرفين“ يسعون إلى ”التبشير“ حيث كُرز بالإنجيل منذ أجيال كثيرة.

– الجماعات المنشقة التي تتحدى البيان القانوني للكنيسة الأرثوذكسيّة.

٦- هم بطريك الروم الأرثوذكس في مصر وأفريقيا.

بطريك الروم الأرثوذكس في سوريا ولبنان.

بطريك الروم الأرثوذكس في أورشليم وكل فلسطين.

بطريك موسكو وكل روسيا.

بطريك بلغراد وبلاد الصرب.

بطريك بوخارست وكل رومانيا.

بطريك صوفيّا وكل بلغاريا.

٧- هما: رؤساء أساقفة اليونان وفنلندا.

٨- هما مطران بولندا، ومطران تشيكوسلوفاكيا.

ولم يتمكن من الحضور رؤساء كنائس جورجيا وقبرص. أما كنيسة ألبانيا فليس لها رئيس آنذ. أما رؤساء الكنائس الأرثوذكسية في أمريكا واليابان فلم يدعوا لأن رؤساء هذه الكنائس لم يُعترف بعد بإدارتهم الذاتية لكنائسهم.

- عدم الموافقة على أي انحراف لمجلس الكنائس العالمي عن هدفه

الأول، وهو استعادة الوحدة المسيحيّة إلى "اهتمامات وممارسات أخرى". ومن بين هذه الممارسات الأخرى، رسامة النساء كاهنات، وما يتبعه من استخدام بعض التعبيرات الجديدة المختصّة بالمرأة في الكلام اللاهوتي.

- الاهتمام بمباحثات الوحدة مع الكنائس الأرثوذكسيّة
اللاخليدونيّة القديمة ... الخ.

ومن الأحداث الهامة التي شهدتها بطريركيّة القسطنطينيّة سنة ١٩٨٨م تدهين كنيسة القديسة العذراء مريم في مدينة أفسس، أحد مدن تركيا التاريخيّة، وهي كنيسة ترجع إلى القرن الثاني الميلادي، وكان تدهين الكنيسة قد بدأ تحت إشراف قسم الآثار بجامعة أنقرة بتركيا، وتمويل من جمعيّة أمريكيّة اسمها "جمعيّة أفسس الأمريكيّة"، وهي جمعيّة تتمركز في مدينة ليما بولاية أوهايو بأمريكا، وتأسّست سنة ١٩٥٦م بجهود أحد رجال الأعمال الأمريكيين الكاثوليك. وسبق لهذه الجمعيّة أيضاً تجديد كنيسة القديس يوحنا الرسول القديمة في مدينة أفسس والتي بُنيت على موقع مقبرة الرسول الإنجيلي، والذي صار أول أسقف على أفسس في القرن الأول الميلادي. وتقوم الجمعيّة أيضاً بتمويل عمليّة صيانة

مدينة أفسس

مدينة أفسس هي أقدم مدن تركيا. تأسست سنة ١٠٤٤ ق.م كميناء ممتاز على بحر إيجه. وقد كانت المدينة مقر عبادة الإلهة اليونانية أرطاميس، حامية المدينة من الوحوش المفترسة، ورمز الخصب. وكان أهل أفسس يفتخرون على الدوام بإلهتهم التي يعبدها كل آسيا (أعمال ١٩:١ - ٣٥). وكانت المدينة مشهورة أيضا بصناعة المشغولات الذهبية والفضية كتجارة رابحة لخدمة الديانة الوثنية. وكان بالمدينة جالية يهودية (أعمال ١٨:١٩، ٢٠)، وزارها بولس الرسول (أعمال ١٩:٨) وقد انتشر بين هؤلاء اليهود ممارسات السحر والشعوذة، ولما آمنوا بالمسيح أحرقوا كتب السحر أمام الجميع (أعمال ١٩:١٩).

وظلت أفسس مزدهرة كمركز تجاري خلال القرنين الأول والثاني بعد الميلاد إلى أن اجتاحتها الغوط سنة ٢٦٢م، وهدموا هيكل أرطاميس مع كثير من معابد المدينة.

ولقد انعقد بها المجمع المسكوني الثالث سنة ٤٣١م، برئاسة البابا الإسكندري كيرلس الكبير (٤١٢ - ٤٤٤م)، وعُقد بها أيضاً مجمع برئاسة البابا ديسقوروس سنة ٤٤٩م. ولقد كتب بعض آباء الكنائس الذين حضروا هذين المجمعين عن مدينة أفسس بأن الميناء كان مسدوداً، وأن المدينة صارت مقطوعة الصلة بالبحر، وأن ظروف المعيشة كانت في غاية الصعوبة.

وفي القرن السادس أسس الإمبراطور جوستنيان في مدينة أفسس كنيسة تعتبر إحدى أعظم الكنائس في العصر المسيحي الأول، وهي بازيليك القديس يوحنا الرسول والإنجيلي. وقد بُنيت الكنيسة على المقصورة المتواضعة لمقبرة القديس في أفسس. بالإضافة إلى كنائس أخرى

بُنيت هناك من بينها كنيسة العذراء والتي شَيِّدت على الموقع التقليدي

للمكان الذي قضت فيه القديسة العذراء مريم بقيّة حياتها، وحتى إلى قرب نياحتها.

وفي سنة ١٠٩٠م غزا الأتراك منطقة أفسس وبنوا مدينة "أياسالوك" بالقرب منها وتُسمى الآن "سلجوق"، وبعد فترة من الاحتلال الأجنبي استولى عليها الأتراك نهائياً سنة ١٤٢٦م، وصارت جزءاً من الإمبراطوريّة العثمانيّة.

الفصل الثاني

بطريكة الإسكندرية للروم الأرثوذكس

نشأة كنيسة الروم الأرثوذكس في مصر

بطريركيّة الإسكندريّة الملكيّة هي بطريركيّة الروم الأرثوذكس في مصر وسائر أفريقيا. فبعد انعقاد مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م ورفض الكنيسة القبطيّة لمقرّرات هذا المجمع، تعرّضت الكنيسة القبطيّة للاضطهاد من قِبَل الإمبراطور البيزنطي ماركيان، حيث صدّق على حرم ونفي البابا الإسكندري ديسقوروس ووصل الرسول الإمبراطوري إلى الإسكندريّة يحمل قراراً بعزل البابا ديسقوروس، وتعيين القس الإسكندري بروتيريوس Proterius (٤٥٢ - ٤٥٧م)، وتم ذلك بالقوّة المسلّحة. فأضرم الأقباط نار ثورة في الإسكندريّة كانوا هم ضحاياها، فاستشهد منهم الآلاف، كان من بينهم كثير من الأساقفة والكهنة والرهبان، أشهرهم القديس مكاريوس أسقف إدقاو بالوجه القبلي، وكان وقتها موجوداً بالإسكندريّة، وهو أحد الثلاثة مقارات القديسين.

تبيّح البابا ديسقوروس في منفاه سنة ٤٥٤م، ولما مات ماركيان سنة ٤٥٧م رسم الإسكندريون البابا تيموثاوس الثاني^(١) البطريرك الـ ٢٦ في نفس هذه السنة بعد موت ماركيان بشهر واحد. ومنذ ذلك التاريخ تفرّعت بطريركيّة الإسكندريّة إلى سلسلتين من البطاركة الأرثوذكس، البطريرك القبطي الوطني، والبطريرك الملكي، وهذا الأخير كان دائماً من

البطيريك الملكي أن يستعمل القسوة في تعامله معهم، فتفاقت الأحوال سوءاً، وازدادت المرارة والسخط في قلب الشعب، من جرّاء ما لاقاه من ظلم وعسف وجور. وحدث أن استغل السكندريون فرصة انشغال حاكمها بمحاربة قبائل الوندال في شمال أفريقيا، وقبائل البلميس Blemyes في صعيد مصر، فانقضوا على البطيريك الملكي بروتيريوس في ٢٨ مارس سنة ٤٥٧م وقتلوه وسحلوه في شوارع الإسكندرية، وأحرقوا جثته، وذرّوا رمادها في الهواء.

فأصدر الإمبراطور لاون الأول (٤٥٧ - ٤٧٤م) قراراً بنفي البابا تيموثاوس إلى جزيرة غنغرة. وأقام الخلقيدونيون بالإسكندرية بطيريكاً آخر خلفاً لبروتيريوس دعوه تيموثاوس^(٣). وكان تعيينه بقرار من الإمبراطور زينون (٤٧٤ - ٤٩١م). طالب الأقباط الإمبراطور زينون بعودة بطيريكهم من المنفى، ولكن في غضون هذا الوقت تمكّن القائد باسيليكوس من عزل الإمبراطور وملك مكانه، وأراد أن يستعين بقوة الأرثوذكسين أصحاب الطبيعة الواحدة، فأصدر أمره سنة ٤٧٦م بعودة البابا تيموثاوس من المنفى. وفعلاً وصل البابا البطيريك إلى القسطنطينية أولاً وقابل الإمبراطور، واستطاع بموافقة عقد مجمع في القسطنطينية حضره ٥٠٠ أسقف، حرموا فيه المجمع الخلقيدوني، ولاون الروماني وطومسه، ووقع القرار بطيريك الإسكندرية، وبطيريك أنطاكية، وبولس الأفسسي، ومعه أساقفة آسيا الصغرى والشرق، وأنستاسيوس الأورشليمي وأساقفة ولايته، أما أكايوس بطيريك القسطنطينية فقد تردّد في التوقيع.

وإذ علم أكايوس أن الإمبراطور زينون قد أعد جيشاً كبيراً

لاسترداد عرشه، حرّض الإكليروس والرهبان في القسطنطينيّة، فأغلق

الكنائس، ونظم مظاهرة صاحبة ضد باسيليكوس واسما إياه بالهرطقة. فاضطر باسيليكوس إلى إلغاء مرسومه السابق، وفعلاً تحقّق ما انتظره أكايوس إذ عاد الإمبراطور زينون إلى الحكم، وطرد باسيليكوس في سبتمبر سنة ٤٧٦م. وبعودته ألغى منشور باسيليكوس، ونفى بولس الأفسسي، وبطريك أنطاكية، وأرسل يتهدّد البابا تيموثاوس، ولكن الأخير كان قد تبيّح في سنة ٤٧٧م.

وأقام الأقباط بطريركاً لهم خلفاً للبابا تيموثاوس هو البابا بطرس الثالث^(٣) البطريرك الـ ٢٧ (٤٧٧ - ٤٩٠م)، فأرسل إليه الإمبراطور زينون يتوعّده، فأخذ يتخفى في بيوت المؤمنين في الإسكندريّة. وفي نفس الوقت أعاد الإمبراطور البطريرك الخلقيدوني تيموثاوس سالوفكيولس، ولكن هذا الأخير توفي سنة ٤٨٢م فأقام بدلاً منه بطريركاً خلقيدونيا آخر هو يوحنا طلايا Talaia. وكان هذا الأخير يحظى بمساعدة روما، وانتهى أمره بالهرب إليها.

عاد أكايوس يتقرّب إلى بابا الإسكندريّة بطرس الثالث عن طريق محاولة الالتفاف حول قرارات مجمع خلقيدونية، معترفاً تصريحاً بالثلاثة بجامع المسكونيّة الأولى، فأصدر ما عُرف باسم "مرسوم الاتحاد" وهو

توارى كأحد أحداث التاريخ غير المهمة.

توفي أكاكيوس سنة ٤٩٠م، وكذلك بطرس الثالث سنة ٤٩٠م، والإمبراطور زينون سنة ٤٩١م.

وفي عهد الإمبراطور جوستينيان الكبير (٥٢٧ - ٥٦٥م) استحدث هذا الإمبراطور أمراً خطيراً كان له أسوأ الأثر على نفسيّة الأقباط، بل وعلى مستقبل مصر السياسي. إذ نصّب البطريرك الخلقيدوني أبوليناريوس Appollinarius لكرسي الإسكندريّة سنة ٥٤١م وقلّده بالإضافة إلى وظيفته الدينيّة سلطة عسكريّة لتنفيذ سياسته الدينيّة بالقوّة، بالإضافة إلى حق جمع الضرائب مباشرة، وكانت النتيجة مذبحه شعبيّة مروّعة.

وجاء هرقل (٦١٠ - ٦٤١م) واستمر على سياسة جوستينيان التي اتبعها في مصر، وبالغ فيها بزيادة، إذ عيّن بطريركاً ملكياً هو "فيروس - Cyrus" وهو المعروف في كتب التاريخ باسم "المقوقس". وصار حاكم مصر كلها في نفس الوقت، إذ منحه سلطات دينيّة، وحربيّة، وماليّة، وتنظيميّة، وقضائيّة واسعة. وكان من قبل أسقفاً لفاسيس Phasis في القوقاز قرب البحر الأسود، وكان ذا ميول نسطوريّة ويتمتع بذكاء وولاء ريائي للإمبراطور. فوصل إلى الإسكندريّة سنة ٦٣١م، وبحث عن البابا بنيامين، فلم يجده إذ كان قد اختفى إثر إعلان سماوي له. فقبض على مينا أخي البابا بنيامين، وعذّبه كثيراً، وأحرق جنبيه، ثم أماته غرقاً. وهكذا أزال المقوقس بتصرفاته كل ولاء من الأقباط للقسطنطينيّة إن كانت هناك بقيّة من ولاء.

ويقول الأنبا ساويرس أسقف الأشمونين (القرن العاشر) في مؤلفه "تاريخ البطارقة": "إنه لعظم البلاء والضيق والعذاب الذي أنزله

المقوقس بالأرثوذكسيين لكي يدخلوا في الأمانة الخلقيدونيّة، ضلّ جماعة

منهم لا يحصى عددها. قوم منهم بالعذاب، وقوم بالهدايا والتشريف، وقوم بالسؤال والخداع. حتى أن قيروس أسقف نيقوس، وبقطر أسقف الفيوم، وكثيرين مثلهم، خالفوا الأمانة الأرثوذكسيّة، لأنهم لم يسمعوا وصيّة الأب المغبوط بنيامين، ولم يَخْتَفُوا كغيرهم، فصادهم بصنارة ضلالته، فضلّوا بالجمع الخلقيدوني الطمث“.

وأينما حلّ المقوقس في مدن أو قرى الدلتا والصعيد حل معه الفرع والجلد بالسياط، والسجن، والقتل، ومصادرة الممتلكات وأواني الكنائس، ومطاردة الرهبان، وتعذيب النساك والمتوحّدين حتى الموت. وسيرة الأنبا صموئيل المعترف في دير القلمون هي واحدة من السيّر التي تشهد على الإذلال الذي حلّ بالأقباط، والذي لم يعهده من قبل في كل العصور. وتحملت الكنيسة القبطيّة كل هذا، واستمرت حيّة شاهدة للإيمان والشجاعة والصبر، ولكن كانت الهوّة قد اتسعت بين ما هو قبطي وما هو بيزنطي إلى ما وراء حدود المعقول.

ولما احتلّ الفرس مصر لمدة عشر سنوات (٦١٧ - ٦٢٧م) كان البطريرك الملكي على مصر وقتها هو يوحنا (الرحيم) الذي هرب مع نيكيتاس حاكم مصر البيزنطي في سفينة متّجهة إلى القسطنطينيّة.

ولكن سُمح للبطيريك الملكي بالعودة إلى كرسيه في مصر (وكذلك في أنطاكية وأورشليم) في غضون القرن الثامن الميلادي عندما تبين للعرب ولاؤهم وثبتت معارضتهم لأباطرة الروم محاربي الأيقونات، ولكنهم ظلّوا على ولائهم لبطيريك القسطنطينية على الأقل في تسنُّر إلى حين تتكشف الأمور.

ولما استولى العثمانيون على البلاد عظموا شأن بطاركة القسطنطينية اليونان، واعتبروهم مسئولين عن جمع الأرثوذكسين البيزنطيين في المملكة العثمانية، فاستولى اليونان على كرسي الإسكندرية وأورشليم إلى هذا اليوم، بينما ظلت البطيريكية الأنطاكية الملكية في يدي الملكيين العرب حتى سنة ١٧٢٤م.

بطيريكيَّة الروم الأرثوذكس في مصر اليوم

واستمر تتابع بطاركة الروم الأرثوذكس في مصر حتى يومنا هذا، ولكن التاريخ يشهد بأن بطيريكيَّة الإسكندرية للروم الأرثوذكس ظلّت بطيريكيَّة يتبعها أعداد قليلة من الشعب، إذ التفت الأغلبية الساحقة من الأقباط حول بطيريكهم. فلم يجد الروم مكاناً لهم في قلب شعب متحدّر من أصول سحيقة في القدم، ارتبطت حياته ومقوماته وطباعه وصفاته بمصر وأرضها وتقاليدها رغم ما مرَّ عليه من صنوف المحتلين تباينت أشكالهم وألوانهم طيلة قرون هذا عددها.

وحدير بالذكر أن أتباع بطيريكيَّة الروم الأرثوذكس في مصر غالبيتهم عرب متحدّرون من أصل لبناني أو سوري، وهي أقل البطيريكيات الملكية عدداً وتأثيراً في العالم المسيحي. ويوجد منهم في مصر في غضون الستينيات من القرن العشرين حوالي عشرة آلاف نسمة.

ولستُ أعرفُ تعدادهم الحالي بالتحديد.

وبرغم كل ذلك، ونظراً لما للإسكندرية وكنيستها من تاريخ عريق يعرفه العالم المسيحي كله، ظلت بطيريكية الإسكندرية للروم الأرثوذكس، هي البطيريكية الثانية بعد القسطنطينية في العالم البيزنطي.

وظلت الكنيسة الأرثوذكسية الملكية في مصر تستخدم اليونانية حتى اليوم، وإن كان قد طرأ تعريب على كثير من نصوص الصلوات الليتورجية، حتى باتت اللغة العربية في الآونة الأخيرة تحتل الجزء الأكبر من خدمة الصلوات.

وحدير بالذكر هنا أن اللغة اليونانية ظلت تحتل مرتبة مرموقة في الكنيسة القبطية في مصر حتى القرن الثاني عشر^(٤). فقد جاء في كتاب سير البطاركة للقديس ساويرس بن المقفع أنه ”لما أقيم البطيريك أبا مقارة في السنة ١١٠٣، وقدس في كنيسة السيدة بالمعلقة في مصر فقري تقليده على الإنبل يونانياً وقبطياً وعريباً“.

وجاء لابن العسال في مقدمة كتابه ”تصحیح الإنجيل“ ما يلي:
 ”إن القبط لما زال ملكهم، وملكت عليهم الروم تكلموا بالرومي أيضاً“.
 فلما غلبت اللغة العربية على القبط لم يبق منهم من يعرف القبطية أو الرومية إلا القليلاً..

كنيسة الروم الكاثوليك في مصر

قد شرحنا في الفصل الثالث من هذا الباب، وهو الفصل التالي مباشرة نشأة كنيسة الروم الكاثوليك، ومراحل تطورها حتى اليوم. وهنا نشير فقط إلى هذه الكنيسة في مصر.

يحضر البطريرك إلى مصر مرّة واحدة كل سنة. ومن ثمّ يُخدم أبناء هذه الطائفة في مصر النائب البطريركي العام والذي يقيم في القاهرة، والوكيل البطريركي الذي يقيم في الإسكندريّة.

وكانت منطقة ”درب الجنيّة“ بالأزبكيّة هي المنطقة الأولى التي سكن فيها الأكثرية من التجّار الأجانب والشّوام. ومن ثمّ فقد شيّد البطريرك مكسيموس الثالث مظلوم (١٨٣٣ - ١٨٥٥م) كنيسة في هذه المنطقة؛ الأولى كنيسة القديس جاورجيوس بالرضوانيّة، والثانية هي كاتدرائيّة مريم البتول سيّدة النياح في درب الجنيّة^(٥).

وبُدء في بناء كاتدرائيّة جديدة للروم الكاثوليك في شارع الظاهر بالفحّالة بالقاهرة، دُعيت ”كاتدرائيّة القيامة“ بدأ بناءها البطريرك بطرس الرابع الجريجري (١٨٩٨ - ١٩٠٢م)، وأتمها البطريرك كيرلس الثامن جحا (١٩٠٢ - ١٩١٦م). وجرى الاحتفال بعيدها المتوي سنة ٢٠٠٣م.

كما انتقلت الدار البطريركيّة من درب الجنيّة إلى شارع الظاهر بالفحّالة بالقاهرة سنة ١٨٩٢م، وتم وضع حجر الأساس للدار الجديدة بعد هدم القديمة في سنة ١٩٥٤م، بحضور البطريرك مكسيموس الرابع الصائغ (١٩٤٧ - ١٩٦٧م)، والسيد اللواء محمد نجيب رئيس الجموريّة

٥- تسلّمت الكنيسة القبطيّة هذه الكنيسة من الروم الكاثوليك كهديّة، بعد نزوح أبناء الطائفة من هذه المنطقة.

آتذ. وتم الانتهاء من بنائها في إبريل سنة ١٩٥٥م.

أمّا كنائس الروم الكاثوليك في القاهرة إلى جانب الكاتدرائية فهي:

- سيدة السّلام، بميدان الشيخ يوسف، بجاردن سيّتي.
- القديس جاورجيوس، بشارع نجيب الريحاني، بالرضوانية.
- سيدة البشارة، بشارع جزيرة بدران، بشبرا.
- القديس يوسف، بشارع سليم الأوّل، بالزيتون.
- القديس كيرلس، بشارع الثورة، ميدان الكرية، بمصر الجديدة.
- العذراء الطاهرة، ش عمر بن الخطاب، بميدان الإسماعيلية بمصر الجديدة.

وفي إحصاء جرى سنة ١٩٢١م لأبناء الطائفة في مصر، وُجد أن هناك ١٢٠٠ عائلة تسكن القاهرة، النصف تقريباً يسكن أحياء الفجالة وغمرة ومهمشة وكلوت بك^(٦).

أما كنائس الروم الكاثوليك في الإسكندرية فهي:

- كاتدرائية العذراء سيّدة النياح بالمنشية الصغرى بالإسكندرية.
- كنيسة العذراء الطاهرة، بالإبراهيمية.
- كنيسة القديس يوسف، بفلمنج.

كما أن لهم كنيستين في كل من مدينتي طنطا والمنصورة.

بالإضافة إلى خمس مدارس بالقاهرة^(٧)، ومدرسة بالإسكندرية. إلى جانب دار للعائلات في كل من القاهرة والإسكندرية، ودار للمسنين،

الفصل الثالث

بطريكة أنطاكية للروم الأرثوذكس

ناهضت كنيسة أنطاكية الوطنية مقررات مجمع خلقيدونية، إذ تمسكت مع شقيقتها كنيسة الإسكندرية بعقيدة الطبيعة الواحدة في شخص السيد المسيح. وكان السورثيون يرون في قول مجمع خلقيدونية بالطبعتين تقسيم للمسيح وإنقاص للاهوته. وكان ثيودوريتس الأنطاكي هو الخصم اللدود لأصحاب عقيدة الطبيعة الواحدة، إلا أنه سرعان ما توفي سنة ٤٦٠م في السنوات الأولى من حكم الإمبراطور لاون الأول (٤٥٧ - ٤٦٧م). ثم ظهر أنتيپتيرس أسقف بصره الذي انحاز إلى مقررات مجمع خلقيدونية، وأصبح أسقفاً ملكياً في كنيسة أنطاكية سنة ٤٥٧م، لكنه كان مشغولاً بمؤلفاته اللاهوتية وبنشر المسيحية بين العرب.

ولم يبرز في هذه الفترة شخصيات قوية تمسكت بمجمع خلقيدونية في كنيسة أنطاكية. أما أول بطريرك ملكاني لكنيسة أنطاكية فهو باسيلوس، وكان معاصراً لأنتيپتيرس أسقف بصره. وخلفه أكاكيوس (+ ٤٥٩م)، ثم مارتيريوس (٤٥٩ - ٤٧٠م) الذي ناصر لاون الإمبراطور

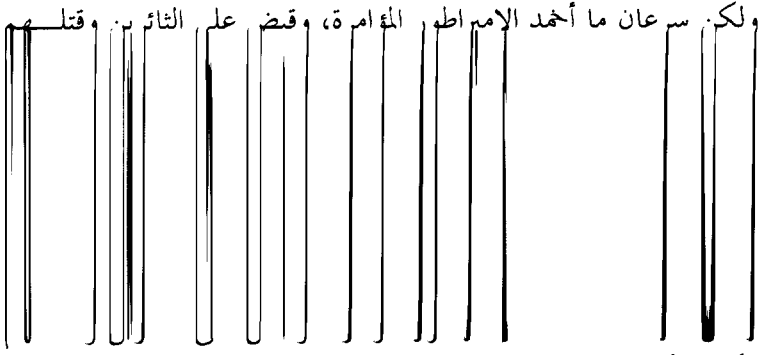
ولما استقال مرتيريوس الملكي أقيم بدلاً منه بطيريرك ملكاني هو يوليانوس (٤٧١ - ٤٧٥م)، لكنه مات كمدأ عندما رأى نجاح البطيريرك الوطني بطرس القصّار، والتفاف الشعب من حوله.

وبعد أن تولى الإمبراطور زينون الحكم للمرة الثانية عاد فنفي بطرس القصّار. ثم جاء البطيريرك الملكي التالي وهو إسطفانوس الثاني (+ ٤٧٨م) لكنه مات في نفس السنة، فخلفه إسطفانوس الثالث (٤٧٨ - ٤٨١م)، إلا أن أصحاب الطبيعة الوحدة قتلوه في إحدى الحفلات الدينيّة وطرحوا جثته في نهر العاصي، فأمر الإمبراطور زينون بإقامة كالاندين بطيريركاً ملكياً بدلاً منه.

وتكرّرت نفس الصورة التي رأيناها في مصر، فلم تكن مصر وسوريا سوى ولايتين تابعتين للإمبراطوريّة البيزنطيّة، فلا يحدث صوت في احديهما حتى تسمع صدهاء في الأخرى. أو حسب قول الشاعر حافظ إبراهيم:

إذا ألمت بوادي النيل نازلةً باتت لها راسيات الشام تضطربُ
وإن دعا في ثرى الأهرام ذو ألمٍ أجابه في ذرا لبنان منتحبُ

كان الشغل الشاغل للإمبراطور البيزنطي هو أن يقيم بطيريركاً يدين له بالخضوع والولاء، فكانت الأمور السياسيّة تمه بالدرجة الأولى قبل اهتمامه بالأمور الدينيّة، ولذلك كان الإمبراطور البيزنطي يخفي دوافعه السياسيّة دائماً تحت ستار الدفاع عن الدين ومناهضة المقاومين، فلم يكن يطمئن أبداً إلى البطارقة الوطنيين تحسباً لعدم ولائهم وخضوعهم لمآربه السياسيّة. وليس أدل على ذلك من حادثة جرت في أيام الإمبراطور زينون، فقد جاء إلى أنطاكية قائد عسكري سوري الأصل أسمه لاونديوس، وأعلن نفسه إمبراطوراً لسوريا، وتم تنصيبه في هيكل القديس بطرس في ضاحية طرسوس بواسطة كالاندين البطيريرك الأنطاكي الملكي،



وأصدر أمره بنفي كالاندين إلى الواحة الكبرى، وكان هو الذي عينه من قبل، ثم أمر بعودة بطرس القصار إلى مقر كرسيه بإنطاكية، وكان هو الذي سبق فنفاه.

وتولى السلطة بعد الإمبراطور زينون الإمبراطور أنستاسيوس الأول (٤٩١ - ٥١٨م) وكان متعاطفاً مع أصحاب الطبيعة الواحدة.

وعاد الأباطرة الذين أتوا من بعده يعينون بطاركة ملكيين على كرسي أنطاكية الذي انشطر إلى نصفين. ففي عهد الإمبراطور الأمي جستين الأول (٥١٨ - ٥٢٧م) أقيم بولس الثاني الفنشقاني بطريركا ملكياً، وكانت الطائفة الملكية قد أصابها الوهن والضعف من جرأ غيرة ونشاط البطريك القديس ساويرس الأنطاكي (٤٦٥ - ٥٣٨م)، والسذي امتد تأثيره ليس في كل أنحاء سوريا فحسب، بل وفي مصر أيضاً.

لقد امتازت معنويات البطريك الملكي أمام رسوخ كنيسة أنطاكية، فاضطر أن يستقيل بعد سنتين من تنصيبه، فخلفه أفراسيوس الذي منع أورشليم (٥٢١ - ٥٢٦م)، وفي بداية عهده أنكر مجمع خلقيدونية، ومنع ذكره في الصلوات، وكذا بطريك روما، ولكنه خاف بعد ذلك فعاد واعترف بهما، ومات إثر زلزال دهم مدينة أنطاكية سنة ٥٢٦م.

القسطنطينية، فشرطن أفرام بطريكاً ملكياً على أنطاكية (٥٢٦ - ٤٥٤م) في وقت كان فيه القديس ساويرس الأنطاكي هارباً من الاضطهاد إلى ديار مصر. ثم ذهب القديس ساويرس إلى القسطنطينية وتقابل مع أنثيمس بطريك القسطنطينية، فلفت وجوده انتباه الجميع، كما كان متوقّعاً، نظراً لثقافته العالية، وفصاحته، ونشاطه، الأمر الذي أقلق أفرام بطريك أنطاكية الملكي، فأسرع هذا الأخير وأخبر كنيسة روما بما يجري في القسطنطينية، إذ أوفد رسولاً من قبله إلى أغايوس أسقف روما (٥٣٥ - ٥٣٦م) كي يقنعه بأن يأتي إلى القسطنطينية شخصياً ويحارب أصحاب الطبيعة الواحدة، فعقد بابا روما جمعاً حرم فيه أنثيمس بطريك القسطنطينية الذي توافق مع القديس ساويرس الأنطاكي، وانتخب بطريكاً جديداً على القسطنطينية هو ميناس (٥٣٦ - ٥٥٢م).

وكانت النتيجة كما يذكر القديس ساويرس في رسالة له، أن البطريرك أنثيموس بطريكية القسطنطينية فضّل المنفى مع البابا ثيودوسيوس البطريرك الإسكندري، ومع ساويرس أيضاً وكل الأحرار من أصحاب عقيدة الطبيعة الواحدة.

وجاء ساويرس إلى مصر، وبعد جهاد في تثبيت المؤمنين على الإيمان، تبيح في ٨ فبراير سنة ٥٣٨م، ودُفن في دير الزجاج بالإسكندرية.

في سنة ٥٣٦م بدأ أفرام البطريرك الملكي الأنطاكي في اضطهاد الرهبان السوريين، فهرب الرهبان من أديرتهم، والتجأوا إلى القفار وكان شتاءً، واعتقل الباقون وجلدوا وحُسبوا.

وانتقل أنثيمس أسقف القسطنطينية وهو في منفاه، بينما ظل البابا الإسكندري ثيودوسيوس يعمل بحرية في منفاه تحت حماية الإمبراطورة

ثيودورة. فرسم في مستهل سنة ٥٤٣م راهبين سوريين وفدا إلى

القسطنطينيّة هما ثيودوروس أسقفاً للبصرة، ويعقوب اليرادعي أسقفاً للرها، وذلك بتوسّط الحارث الغساني، ملك العرب الذي أقامه الإمبراطور جوستينيان الأول ليحمي حدود الإمبراطوريّة البيزنطيّة من هجمات الفرس^(١). وكان الحارث مسيحياً يؤمن بعقيدة الطبيعة الواحدة في شخص السيد المسيح، ولكنه في ذات الوقت كان مخلصاً للإمبراطوريّة البيزنطيّة. وكانت القبائل العربيّة على حدود الإمبراطوريّة البيزنطيّة قد عرفت المسيحيّة من كرازة أصحاب الطبيعة الواحدة بينهم زمناً طويلاً.

وكان لرسمية القديّس يعقوب اليرادعي نتائج هامة، إذ نظّم صفوف أصحاب الطبيعة الواحدة في سوريا وما بين النهرين، وحتى مصر وكيليكيا وكبادوكيا، وغدا منذ ذلك الحين شهيراً حتى إلى حد أن لُقبت الكنيسة السريانيّة الوطنيّة باسمه حين دُعي مسيحيوها "اليعاقبة".

ولما اتّضحت خطورته في إرساء قواعد عقيدة الطبيعة الواحدة بحثت عنه الإمبراطوريّة البيزنطيّة كثيراً دون جدوى، إذ كان يتخفى في أيّ زي، وفي أيّ مكان، يرسم الأساقفة والقسوس والشمامسة، ليس في سوريا وحدها، بل وفي مصر أيضاً^(٢)، حتى بلغوا الآلاف. وجنّد رجالاً علماء غيورين من بينهم يوحنا الأفسسي لخدمة عقيدة الطبيعة

واستطاع بمساعدة الأساقفة أن يرسم بطريركاً لأنطاكية خلفاً للقديس ساويرس الأنطاكي، باسم سرجيوس، وكان راهباً سورياً، ولكنه مات بعد ثلاث سنين. فعمل القديس يعقوب البرادعي في سنة ٥٦٤م على انتخاب بطريرك أنطاكية ورسامته في القسطنطينية، وهو الأرشمندريت الإسكندري الذي عُرف فيما بعد باسم بولس ميلاس.

فآلت كل جهود البطريرك الملكي الأنطاكي أفرام ومن أتى من بعده مثل ذومينوس الثالث إلى لا شيء، إزاء الجهد الجبار الذي بذله يعقوب البرادعي في تثبيت عقيدة الطبيعة الواحدة.

وجاء البطريرك الملكي الجديد أنستاسيوس الأول (٥٩٣ - ٥٩٩م) بعد موت البطريرك السابق ذومينوس الثالث بستة أشهر. وكان راهباً متوحداً في دير سانت كاترين، وهو فلسطيني الجنسية. أسقطه الإمبراطور جوستينيان الثاني (٥٦٥ - ٥٧٨م) عن كرسيه بتهمة تبذير أموال الكنيسة ونفاه إلى أورشليم سنة ٥٧٠م حيث بقى فيها ٢٣ سنة، انصرف فيها إلى الدرس والتأليف، وانتخب خلفاً له غريغوريوس الأول (٥٧٠ - ٥٩٦م).

وكانت زوجة جوستينيان الثاني هي صوفيّا بنت أخت ثيودورا، وكانت من أصحاب الطبيعة الواحدة في المسيح أيضاً، وفي أيام زوجها جوستينيان الثاني استدعى البابا ثيودوسيوس من منفاه، وسُمح له بالعودة إلى الإسكندرية، ولكنه انتقل بعد بضعة أشهر سنة ٥٦٨م، وذهب القديس يعقوب البرادعي وقابل الملكة صوفيّا التي رغبت منه أن يمثل أمام الإمبراطور، لكي يعمل على مصالحة أصحاب الطبيعة الواحدة مع الخلقيدونيين ولكنه لم يقبل.

حاول الإمبراطور أن يصلح الفريقين، وإذ لم يوفق، شن على

أصحاب الطبيعة الواحدة اضطهاداً سنة ٥٧١ م. وفي سنة ٥٧٨ م مات

يعقوب البرادعي وهو في طريقه إلى الإسكندرية.

وقعت أنطاكية بيد الفرس تحت زعامة القائد كسرى، وبعد حصار دام أكثر من خمسة أشهر، هرب البطريك الملكي غريغوريوس من المدينة ناقلاً معه التحف الكنسية، وإذ دخل العرب المدينة أحرقوها ونهبوها هي والقرى المحيطة بها، وسبوا خلقاً كثيراً من بينهم ألفي عذراء، أرسلهم كسرى هدية إلى خاقان الترك، وكان الأتراك يعتبرون الفرس أشد أعدائهم. وفيما هن سائرات في طريقهن إلى بلد الخاقان التركي رأين نهرًا عظيمًا قرب بلدته فطلبن الإذن لكي يغتسلن في النهر، وأن يكن وحدهن، قائلات للحرس إننا نخرج أن نغتسل بمحضوركم، وإذ ابتعدن عن الخفراء والحراس ألقين أنفسهن في النهر وغرقن كلهن، فحفظن بتوليتهن من الدنس، وختمن حياتهن بموت الشهادة.

استطاعت الملكة صوفيا أن تحصل على هدنة مع الفرس لمدة سنة مقابل ٤٥٠٠٠ وزنة من الذهب، حيث كان زوجها جوستينيان الثاني قد فقد صوابه لشدة حزنه من رؤية الفرس يحتاجون إمبراطوريتهم. ولكن الإمبراطور طيباريوس الثاني (٥٧٨ - ٥٨٢ م) الذي ملك بعد جوستينيان الثاني جهز جيشاً عظيماً سنة ٥٧٨ م، واستطاع الانتصار على الفرس

البطيريك أنسطاسيوس الأول الذي كان منفيّاً في أورشليم إلى كرسيه في أنطاكية. وقد خلّف مواعظ ومؤلفات لاهوتية ذات قيمة، وخلفه البطيريك أنسطاسيوس الثاني (٥٩٩ - ٦٠٩م)، وكان راهباً من دير سانت كاترين بجبل سيناء.

وبسبب ثورة اليهود بقى الكرسي الأنطاكي الملكي شاغراً قبل الفتح العربي، وكان في وقتها البطيريك الأرثوذكسي من أصحاب الطبيعة الواحدة هو أنثاسيوس الأول بن الجمال (٥٩٤ - ٦٣١م). وكان مثقفاً فاضلاً نشيطاً، وجد نعمة لدى الإمبراطور هرقل الذي أراد أن يصلح ذات البين في الكنيسة المنقسمة، ولكن الساعة لم تكن قد حانت بعد.

كانت دولة الغساسنة العرب الخاضعة لسلطة الإمبراطورية البيزنطية دولة مسيحية تدين بعقيدة الطبيعة الواحدة، وإلهم يرجع الفضل في مناصرة عقيدة الطبيعة الواحدة وسيادتها النهائية في سوريا. وكانوا يستعملون حتى مجئ الإسلام اللغتين العربية واليونانية حيث كانت الكتابة باللغة العربية قد بدأت أصلاً في سوريا. ومن سوريا انتقلت الكتابة العربية إلى مكة، حيث نقلها العرب المسيحيون.

دخول العرب سوريا

وكان المسلمون قد بعثوا رسولاً إلى رئيس الغساسنة، وكان في مدينة بصرى، فقتل الرسول، فأخذ قتله سبباً للهجوم على حدود الإمبراطورية البيزنطية سنة ٦٢٩م، وكان خالد بن الوليد من بين القواد الذين هاجموا. وإذ فشلت هذه الحملة الأولى جهّزوا حملة ثانية سنة ٦٣٠م وفتحوا مكة في السنة نفسها وجعلوها منطلقاً لأعمالهم التوسعية، وفي خلال عامين تقريباً صاروا سادة الجزيرة العربية كلها، وبعد موت نسي

الإسلام سنة ٦٣٢م قام خلفاؤه بمواصلة عمله خارج الجزيرة العربيّة في

افتتاح البلاد المجاورة وتأسيس الدولة العربيّة الإسلاميّة. وفي زمن الخليفة عمر بن الخطاب (٦٣٤ - ٦٤٤م) احتل العرب بصرى، وهو الحصن الأول الكبير في الإمبراطوريّة. وفي سنة ٦٣٥م حاصروا دمشق، وبعد انتصارهم في معركة اليرموك سنة ٦٣٦م فتحوا الطريق حراً إلى سوريا. وفي سنة ٦٣٨م سقطت أورشليم حيث سلّمها البطريرك صفرونيوس إلى عمر بن الخطاب بموجب معاهدة. فتحوّل العرب إلى حلب، ففتحوها، ثم انتقلوا إلى أنطاكية لفتحها ودخلوها سنة ٦٣٨م، وقهر العرب الجيش البيزنطي عند قيصريّة التي سلمت بعد حصار طويل. وتم للعرب فتح سوريا كلها خلال ست سنوات. وبعد ذلك اكتسحوا الفرس وما بين النهرين واحتلوا الإسكندريّة بقيادة عمرو بن العاص سنة ٦٤٢م. وبعد وقت قليل فتحوا مصر كلها، فسهل أمامهم فتح كل أفريقيا.

وهكذا في خلال ثماني سنوات امتلك العرب سوريا وقسماً من آسيا الصغرى، وفلسطين، ومصر، وقسماً من أفريقيا.

وجعل معاوية (٦٥٦ - ٦٨٠م) من دمشق عاصمة له حيث أسّس دولة الأمويين. وفي آخر القرن الثامن تقلص المسيحيون وغابت الأديسار والأسقفيات المسيحيّة العربيّة التي تؤمن بالطبيعة الواحدة في شخص

رئيس ديوان المحاسبة. وحافظوا حتى عهد الصليبيين على مراكز ثقافية دينية هامة، وكانت لهم أديرة عامرة في منطقة أنطاكية (دير القديس سمعان العجائبي)، ودير القديس سابا شرقي القدس، ودير القديس حاريطون جنوبي بيت لحم، ودير القديسة كاترين في جبل سيناء.

واعترف الحكّام العرب بحق الملكيين في انتخاب بطريك لهم بدءاً من البطريرك الملكي إسطفانوس الثالث بطريك أنطاكية (٧٤٢ - ٧٤٤م)، إذ لم يكن هذا الحق معترفاً به إلاً للكنيسة السريانية الوطنية. وكان الملكيون بدون بطريك قبل إسطفانوس الثالث، ولمدة أربعين سنة حتى جاء الخليفة هشام بن عبد الملك.

وجاءت الدولة العباسية وكان أول خليفة لها هو أبو العباس السفّاح (٧٥٠ - ٧٥٤م) حيث تعرّض المسيحيون للاضطهاد، ولكن على عكس ما كان في مصر، كان رعايا البطريركية الملكية في سوريا أكثر عدداً من نظرائهم في البطريركية الأنطاكية الوطنية.

وفي الفترة من سنة ٩٦٩م إلى سنة ١٠٨٤م استعاد البيزنطيون أنطاكية وكيليكية، والجزء الشمالي الغربي من سوريا، وبقيت هذه البلاد في حوزتهم زهاء قرن وربع، فأصبحت البطريركية الملكية ضمن نفوذ البطريركية القسطنطينية، وأُتخذ عدد كبير من البطارقة من بين إكليروس العاصمة البيزنطية بتدخل الإمبراطور.

ذوبان الطّقس الأنطاكي الملكي في الطّقس البيزنطي

وتفاهم النفوذ البيزنطي إبّان الحملات الصليبية، وذلك أن الصليبيين أقاموا بطارقة لاتيناً من الفرنجة على كرسي أنطاكية وأورشليم، وأخضع

لهم الأساقفة الملكيون القاطنون في المناطق المحتلة، فاضطروا للجوء إلى

القسطنطينيّة، وأقاموا بها قرابة قرنين من الزمان، وتطّبّعوا بطابع العاصمة البيزنطيّة، فذاب الطقس الأنطاكي الملكي تماماً في الطقس البيزنطي، ولم يعد له كيان مستقل يميزه.

استولى بيبرس سلطان مصر سنة ١٢٦٨م على أنطاكية ودمّرها وأجلى الصليبيين عن آخر موقع لهم في فلسطين سنة ١٢٩١م. وبعد أن أبرم اتفاقاً بين البيزنطيين والمماليك تمكن البطاركة الملكيون من العودة إلى سوريا، ولكن بسبب تدمير أنطاكية نقلوا كراسيهم إلى دمشق. فانتقل الكرسي البطريركي الأنطاكي الملكي إلى دمشق في أيام البطريرك باخوميوس، وكان بطريركاً على ثلاث فترات، الأولى (١٣٦٥ - ١٣٦٨م)، والثانية (١٣٧٥ - ١٣٧٧م)، والثالثة (١٣٧٨ - ١٣٨٦م). وقد لاقى معارضة من بعض أساقفة كرسية. فخرجت الكنيسة بعد هذه الحروب منهوكة القوى، وقد دُمر معظم أديرتها، وتشتت عدد كبير من أبنائها. واجتازت الكنيسة الملكيّة الأنطاكيّة في غضون القرون الوسطى وحتى نهاية القرن الخامس عشر حياة مضطربة جداً، بل كانت الأحداث الرهيبة التي شهدتها تهدد الوجود المسيحي نفسه فيها.

كنيسة أنطاكية الملكيّة في عصر العثمانيين

الأرثوذكس البيزنطيين في المملكة العثمانية، واستولى اليونان على كرسي الإسكندرية وأورشليم إلى اليوم، بينما ظلت البطريركيّة الأنطاكيّة في يدي الملكيين العرب.

وعادت الصّلة من جديد بين كنيسة القسطنطينيّة وباقي الكنائس الخلقيدونية، وكانت مقطوعة سابقاً قبل أن تستمكّن الإمبراطوريّة العثمانية من ضم مصر وسوريا وفلسطين إليها، لتصبح الكنائس تحت سلطة مدنيّة واحدة.

اتخاذ بطريركيّة الروم الأرثوذكس الأنطاكيّة طابعاً عربياً

تولى البطريركيّة الأرثوذكسيّة للروم الأرثوذكس الأنطاكيين بطاركة يونان من سنة ١٧٢٤م إلى سنة ١٨٩٨م. ولكن منذ سنة ١٨٩٨م تمكّن الأرثوذكس العرب من انتخاب أول بطريرك من أبناء البلاد هو ملاتيوس مطران اللاذقيّة، وذلك بتدخّل الروس، حيث أقيم بطريركاً على أنطاكية من قبل رؤساء الكهنة العرب وحدهم، ولم يُدع إلى انتخابه المطارنة اليونان الذين غادروا سوريا بعد انتخابه. وهنأ اللاتين الروس على إبعاد اليونان عن بطريركيّة أنطاكية، فاتخذت بطريركيّة أنطاكية منذ ذلك التاريخ طابعاً عربياً. أما بقية البطريركيات الأرثوذكسيّة فلم تعترف بانتخاب ملاتيوس معتبرة إياه غير شرعي. وبعد انتقاله في سنة ١٩٠٦م انتخب غريغوريوس الرابع حداد، بطريركاً على أنطاكية، واعترف به باقي البطاركة، وظل بطريركاً حتى سنة ١٩٢٨م.

ويقيم بطريرك الروم الأرثوذكس الأنطاكيين حالياً في دمشق، ويحمل لقب ”بطريرك مدينة الله أنطاكية العظمى وسائر المشرق“، ويتبعه أربع عشرة إبارشية.

وعدا هذا البطيريك الملكي يوجد ستة بطاركة في سوريا يحمل كل

منهم اسم "بطيريك أنطاكية وسائر المشرق".

وإلى جانب الكنيسة السريانية الأنطاكية الأم، وهي الكنيسة الوطنية في البلاد توجد كنائس السريان الكاثوليك، والروم الأرثوذكس، والروم الكاثوليك، والأرمن الأرثوذكس، والأرمن الكاثوليك، والموارنة، واللاتين، والكلدان الكاثوليك، والبروتستنت.

وتعد بطيركية أنطاكية الملكية الأرثوذكسية أكثر قليلاً من نصف مليون أرثوذكسي في سوريا ولبنان، وحوالي ١٥٠ ألفاً في العراق وأمريكا.

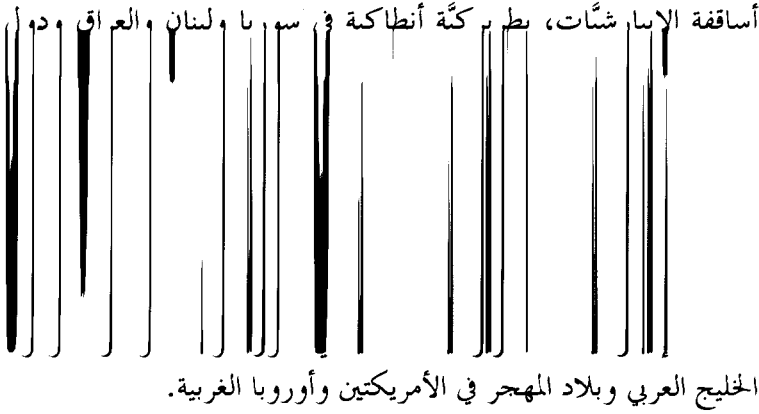
وبعد فترة ركود جازتها الكنيسة الملكية الأنطاكية ظهرت فيها حركة دُعيت باسم "حركة الشبيبة الأرثوذكسية"، وهي عبارة عن تنظيم ملهم نشأ على يد جماعة صغيرة من الطلاب سنة ١٩٤٢م، وهي حركة تنظم دروساً في التعليم الديني وتصدر مجلة دورية، ومنشورات عديدة باللغة العربية، وتعنى أيضاً بالأعمال الاجتماعية، ومحاربة الفقر، وتقديم المعونة الطبية، وتحث على الوعظ، وتشجيع تناول. وتأثير هذه الحركة نشأت جماعتان رهبانيتان صغيرتان تتمتعان بأهمية كبيرة، واحدة قرب طرابلس، والثانية في دير الحرف. ويمارس العلمانيون دوراً بارزاً في حركة الشبيبة الأنطاكية.

الأرثوذكسيّة في العالم شرقاً وغرباً برعاية البطريرك إغناطيوس هزيم بطريرك الروم الأرثوذكس باعتباره رئيس الكنيسة المضيفة للمؤتمر. وقد حضر هذا المؤتمر وفود من أساتذة كليات اللاهوت من كل الكنائس الأرثوذكسيّة، بالإضافة إلى المطارنة والأساقفة والإكليروس، وذلك للإعداد للمؤتمر الموسّع الذي يعقده مجلس الكنائس العالمي في فانكوفر بكندا في يوليو سنة ١٩٨٣م.

ودارت الأيام دورتها، وبعد خمسة عشر قرناً من الزمان أو يزيد من القطيعة والتنافر والخصام، انعقد المجمع المقدّس لكنيسة أنطاكية للروم الأرثوذكس بسوريا ولبنان في أكتوبر سنة ١٩٨٥م واتخذ قراراً تاريخياً بتوجيه رسالة من البطريرك إغناطيوس هزيم إلى بطريرك كنيسة أنطاكية للسريان الأرثوذكس مار إغناطيوس زكا الأول عيواص لبدء الحوار حول تحقيق الوحدة بين الكنيستين. واستجابت بطريركيّة السريان لهذه المبادرة، وشكّلت لجنة من المطارنة والأساقفة السريان للمشاركة في حوار الوحدة. وأتباع الكنيستين ويبلغ عددهم معاً قرابة أربعة ملايين نسمة، هم من المسيحيين العرب بسوريا ولبنان والعراق وإيران والمغتربين في سائر دول المهجر. وبدأ حوار الوحدة منذ سنة ١٩٨٦م.

ونعتبر أن الدافع وراء هذه الرغبة الصالحة كانت علاقات المحبّة والصدقة بين البطريركين السرياني والملكي، اللذان كانا يتزاوران مراراً ويعربان عن رغبتهما في وحدة كنيستهما. وظلّت مباحثات الوحدة كلاماً طيباً تعوزه قوّة ومعونة سمائيّة.

وللكنيسة الملكيّة الأنطاكيّة معهد البلمند اللاهوتي المسمّى على اسم القدّيس يوحنا الدمشقي في لبنان، ومنذ سنة ١٩٩٣م ينعقد المجمع الموسّع لكنيسة أنطاكية للروم الأرثوذكس كل ثلاث سنوات، ويشارك فيه



منح الإدارة الذاتية لكنيسة الروم الأرثوذكس الأنطاكيين بالمهجر

في أكتوبر سنة ٢٠٠٣م أعلن المتربوليت فيليب صليبيا رئيس الكنيسة الأنطاكيّة للروم الأرثوذكس بأمريكا وكندا والتي تضم السوريين واللبنانيين الذين هاجروا إلى أمريكا منذ حوالي مائة عام، أعلن في منشور قرئ في كافة كنائس إبيارشيته المتسعة خبراً ساراً، أن المجمع المقدّس لكنيسته الأم في سوريا والذي يرأسه غبطة البطريرك إغناطيوس هزيم، وافق بالإجماع في أكتوبر سنة ٢٠٠٣م وبعد يومين من المناقشات المكثفة على منح الإدارة الذاتية للكنيسة الأنطاكيّة للروم الأرثوذكس في شمال أمريكا. وعبر عن شكره لغبطة البطريرك إغناطيوس الرابع ولأعضاء المجمع المقدّس الذي هو عضو فيه، وكان قد عاد لتوه من اجتماعات المجمع في وطنه الأم.

أمّا قرار مجمع الكنيسة الأنطاكيّة للروم الأرثوذكس فقد اعترف بهذه الإبيارشيّة ككيان أنطاكيّ متّحد كنسياً، ويشمل كنائس أمريكا وكندا. ومنح الكنيسة الأرثوذكسيّة الأنطاكيّة في شمال أمريكا أن تكون كنيسة ذاتية

وقد عبّر المتروبوليت فيليب صليبا رئيس الكنيسة الجديدة عن سعادته بهذه القرارات التي ستجعل لكنيسته إمكانية اتخاذ القرارات الخاصة بكنيسته بسهولة ويسر أكثر، مما سيجعل الإكليروس والشعب في التزام معاً في مسيرة منتظمة تضمن أن يكون صوت الشعب مسموعاً^(٣).

نشأة كنيسة الروم الكاثوليك

لقد عبرت كنيسة الروم الكاثوليك على ثلاث مراحل تاريخية حتى يومنا هذا، وهذه المراحل هي:

(١) من الفتح العثماني حتى سنة ١٧٢٤م

في هذه الحقبة نمت هذه الكنيسة، ولكنها لم تكن تؤلف فئة خاصة. فما أن أطلّ القرن السادس عشر حتى بدأت عوامل كثيرة تؤثر في بعض الملكيين الأنطاكيين، مما حملهم على اتخاذ موقف مستقل عن البطارقة اليونانيين، والاتجاه إلى تبني اللاهوت اللاتيني. وكان من أهم هذه العوامل هو اتصالهم المتواتر بجيرانهم الموارنة الذين كانوا قد مكّنوا علاقاتهم بكنيسة روما، وأيضاً الدراسات اللاهوتية التي كان أفراد الإكليروس يقومون بها في مدارس رومه للشرقين، وأيضاً الوفود التي كان الباباوات يرسلونها إلى الشرق لمحاولة إعادة الوحدة مع كنيسة روما.

ولما استقر المرسلون الغربيون في حلب سنة ١٦٢٥م في عهد أسقفها الشهير ملاتيوس كرمه. وانتشروا منها إلى دمشق وصيدا وطرابلس وجبل لبنان، فنشأ بتأثيرهم جيلٌ جديدٌ ارتبط بكنيسة روما.

لم يكن لهذه الطائفة حتى ذلك الوقت بطريركاً خاصاً بهم. أمّا آخر

بطريرك أرثوذكسي في هذه الفترة فكان هو البطريرك أناسيوس الثالث (الدبّاس) (١٧٢٠-١٧٢٤م)، والذي قام برحلات كثيرة إلى رومانيا، وطبع هناك باللغة العربيّة للمرة الأولى كتاب الفرض الإلهي، وكتاب القدّاس. وأتى إلى حلب بأول مطبعة عربيّة سنة ١٧٠٦م. ولكن في أيامه ازدهرت الكثلكة وقويت في حلب.

وفي هذه الفترة اتّسعت الحركة الكاثوليكيّة، ولاسيّما في حلب ودمشق، وقامت إلى جانب الرهبان المرسلين رهبانيتان جديدتان. ففي حلب ظهرت الرهبانيّة الشوريّة^(٤)، وفي دمشق تأسّست الرهبانيّة المخلصيّة^(٥).

وتأسّس لكل من هاتين الرهبانيتين فرع من الراهبات. وقد تفرعت الراهبات الشويريات أيضاً إلى حليّيات وبلديّيات.

(٢) من سنة ١٧٢٤م حتى سنة ١٨٣٣م

وفيها استقل الملكيون الكاثوليك عن الملكيين الأرثوذكس استقلالاً كنيسياً، ولكنهم ظلّوا يؤلّفون في نظر الحكومة العثمانية طائفة واحدة.

ففر سنة ١٧٢٤م انبثقت فئة عن الكنيسة الأنطاكية الملكيّة وأقرّت

أناسيوس الثالث (الدبّاس) في سنة ١٧٢٤م مثقلاً بالحزن من جرّاء ما رآه من تغلغل الكتلركة بين شعبه. ونسى أنه هو نفسه كان بطريركاً يزاحم البطريرك الوطني كرسيه منذ قرون طويلة خلّت.

المهم انشق سيرا فيم طاناس مطران حلب واعتنق الكتلركة، وأعلن نفسه بطريركاً على أنطاكية باسم كيرلس السادس (١٧٢٤-١٧٥٩م)، وكان قد درس في مدرسة انتشار الإيمان بروما. ومنه بدأت سلسلة بطاركة الروم الكاثوليك. وكانت كنيسة القسطنطينية قد أصدرت حرماً ضده.

وجاء البطريرك الأنطاكي الملكي الأرثوذكسي سلفسترس (١٧٢٤-١٧٦٦م) بعد أناسيوس الثالث، والذي تمّت رسامته في القسطنطينية، وكان يبغى مواجهة سيرا فيم طاناس الذي سُمي كيرلس السادس، ولم يتمكن من أن يفعل شيئاً، إذ هرب هذا الأخير إلى لبنان والتجأ إلى دير المخلص، تحت حماية الأمير حيدر شهاب، وكبير مشايخ الدرّوز^(١).

وقصارى القول أصبحت حلب مركز الكتلركة برغم أن سلفسترس أقام مطراناً أرثوذكسياً لحلب سنة ١٧٢٧م باسم غريغوريوس، فأنجّر هذا الأخير وراء سابقه الكاثوليك من حلب الذين كانوا يستهدفون إلغاء بطريركية سلفسترس، ولكن الدولة التركية صارت تخشى تأثير فرنسا في أمر تأسيس كنيسة كاثوليكية عربية، فصدر أمر سنة ١٧٣٢م يمنع الأرثوذكس من الدخول في الكتلركة. ولكن مع ذلك فقد أصبحت إيارشية حلب تتبع الكنيسة الكاثوليكية.

٦- انظر: المطران ميشيل يتيه، والأرشمندريت إغناطيوس ديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، منشورات المكتبة البولسية، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٩٩٩م، ص ٣٠٧

ولم تعترف الإمبراطورية العثمانية بسلسلة البطاركة الروم

الكاثوليك، واعتبرتهم خارجين عن طاعة بطاركة الروم الأرثوذكس المعترف بهم لدى البطيريكية المسكونية والباب العالي. فهرب البطاركة الكاثوليك وأقاموا في لبنان، وكان ينعم آنذاك باستقلال داخلي في ظل حكم الأمراء الشهابيين.

أما بطاركة الروم الكاثوليك الذين تابَعوا في هذه الفترة فهم:

- البطيريك سيرا فيم طناس (١٩٢٤ - ١٧٥٩م).
- البطيريك مكسيموس الثاني حكيم (١٧٦٠ - ١٧٦١م).
- البطيريك ناؤدوسيوس الخامس الدهان (١٧٦١ - ١٧٨٨م).
- البطيريك أناسيوس الرابع جوهر (١٧٨٨ - ١٧٩٤م).
- البطيريك كيرلس سياج (١٧٩٤ - ١٧٩٦م).
- البطيريك أغابوس الثاني مطر (١٧٩٦ - ١٨١٢م).
- البطيريك إغناطيوس الرابع صرُوف (١٨١٢م).
- البطيريك أناسيوس الخامس مطر (١٨١٣م).
- البطيريك مكاربوس طويل (١٨١٣ - ١٨١٥م).
- البطيريك إغناطيوس الخامس القطان (١٨١٦ - ١٨٣٣م).

وفي عهد هذا الأخير تفهقرت أحوال البطيريكية بسبب عجزه وعماه. وكان كاتبه الشيخ ناصيف اليازجي^(٧).

الدرجة الأسقفية سنة ١٨١٠م، ولما لم يرض به الحلبيون، عينه البطريرك أثناسيوس الخامس مطر وكيلاً له في روما، فتوجّه إليها سنة ١٨١٣م وبقي فيها حتى سنة ١٨٣١م. ثم رُسم بطريركاً سنة ١٨٣٣م.

ولقد ساعدته الظروف السياسيّة آنئذ لكي يعيد تنظيم طائفة الروم الكاثوليك، لأنه بعد حرب استقلال اليونان ضعفت شوكة البطارقة اليونان في تركيا. وفي معاهدة لندن التي أهدت الحرب سنة ١٨٣٠م تقرّر للكاثوليك مبدأ الحرية الدينيّة، بعد أن أعتقهم السلطان محمود الثاني من تبعية الطوائف الأرثوذكسيّة. وعندما استولى محمد علي باشا على سوريا منحها شيئاً من الحرية، فتمكّن البطريرك الملكي الكاثوليكي مكسيموس مظلوم من دخول دمشق سنة ١٨٣٤م، فأعاد تنظيم الطائفة، وأصبح بطريرك الروم الكاثوليك في دمشق هو بطريرك الملكيين الكاثوليك في سوريا ومصر وفلسطين.

وجاء البطريرك مكسيموس مظلوم إلى مصر سنة ١٨٣٦م وأهتم بأوضاع الطائفة فيها حتى سنة ١٨٤٠م. وفي مصر حصل على براءة من السلطان محمود بتسميته رئيساً على البطريركيات الملكيّة الثلاث، فطلب إلى البابا غريغوريوس السادس عشر أن يمنحه لقب "بطريرك الكنيسة الرومية الملكيّة الكاثوليكيّة"، فمنحه البابا سنة ١٨٣٨م لقب "بطريرك أنطاكية والإسكندرية وأورشليم".

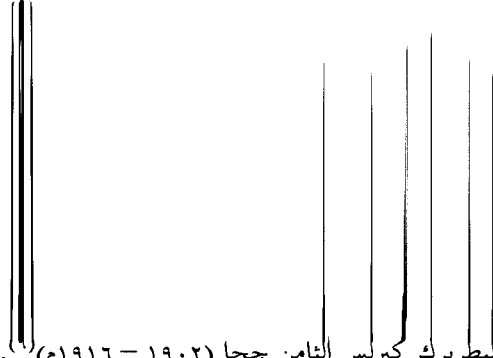
وخلفه من البطارقة:

البطريرك كليمنديس بڤوث (١٨٥٦ - ١٨٦٤م).

البطريرك غريغوريوس يوسف (١٨٦٤ - ١٨٩٧م)^(٨).

٨- من أعماله الاهتمام بشؤون المدارس. فأسّس المدرسة البطريركيّة في بيروت سنة ١٨٦٥م، والمدرسة البطريركيّة في دمشق سنة ١٨٧٥م، ومدرستين في مصر،

البطريرك بطرس الجريجيري (١٨٩٨ - ١٩٠٢م).



- البطريرك كيرلس الثامن جحا (١٩٠٢ - ١٩١٦م) .
البطريرك ديمتريوس الأوّل القاضي (١٩١٩ - ١٩٢٥م) ^(١٠) .
البطريرك كيرلس التاسع مغيب (١٩١٩ - ١٩٤٧م) .
البطريرك مكسيموس الرابع صائغ (١٩٤٧ - ١٩٦٧م) ^(١١) .
البطريرك مكسيموس الخامس حكيم (١٩٦٧ - ٢٠٠١م) ^(١٢) .
البطريرك غريغوريوس الثالث لحام (٢٠٠١ -) .

الأوضاع الحاليّة للروم الكاثوليك

للروم الكاثوليك ثلاث إبيارشيات ترتبط بالبطريرك مباشرة وهي: إبيارشيّة دمشق في سوريا، وإبيارشيّة القدس جنوبي فلسطين، وإبيارشيّة مصر.

وهناك ثلاث عشر إبيارشيّة في الشّرق تحت رئاسة أساقفة محليين، أربع منها في سوريا: (حلب، وحمص، وحوران، واللاذقيّة)، وسبع في لبنان: (بيروت، وصيدا، وزحلة، وبعبك، وصور، وطرابلس، ومرجعون)، واثنتان شمالي فلسطين: (حيفا، والناصرة). وإبيارشيّة عمان في المملكة الأردنيّة. وست إبيارشيات في بلاد المهجر: (الولايات

المتّحدة، والبرازيل، وكندا، وأستراليا، والمكسيك، وفتزويلا). كما أن لهم نيابات بطريركيّة في كل من: بغداد، والكويت، والخرطوم، واسطنبول، مرتبطة مباشرة بالبطريك. كما أن هناك مراكز رعيّة في المهجر: في الأرجنتين، وباريس، ومرسيليا، وبروكسيل، وروما. ولهم أربع جمعيات رهبانيّة أو إرساليّة للرجال، وخمس رهبناات للنساء.

ويبلغ الروم الكاثوليك زهاء مليون مؤمن، نصفهم تقريباً خارج الشّرق (١٣).

الفصل الرابع

بطريكة أورشليم

إحصائية عامة

يسكن إسرائيل اليوم ٨٣% من السكّان من اليهود، و١٧% من العرب وجنسيّات أخرى، وتعتبر اللغتين العبريّة والعربيّة هما اللغتان الرسميتان في البلاد، ويتكلّم الأولى ٦٩% من السكّان، والثانية ١٨% منهم. وتوجد لغات أخرى مثل الروسيّة والرومانيّة وغيرهما. يدين باليهوديّة ٨٢% من السكّان، و١٣% بالإسلام، و٢% بالمسيحيّة، و٣% دروز وديانات أخرى. ويبلغ تعداد المسيحيين في كل من إسرائيل والأراضي الفلسطينيّة لما يقرب من ١٨٦ ألفاً، أكثرهم من العرب.

ومساحة البلاد تقرب من ٢٠,٧٧٠ كيلومتر مربع، ومع حلول سنة ٢٠٠٠م بلغ عدد السكّان ٥,١١٩ مليون نسمة فقط، يتضاعف كل ٤٧ سنة، حيث يبلغ معدّل زيادة السكّان ١,٥%. يسكن ٩٠% من السكّان في المدن، وهي نسبة مرتفعة جداً، ونسبة المتعلّمين في إسرائيل تبلغ

أولاً: التاريخ الموجز لمدينة أورشليم المقدس

ترتفع أعلى نقطة في المدينة بحوالي ٨٠٠ متر عن سطح البحر. وهي تتحكّم في الطريق الرئيسي الذي يربط شمال فلسطين بجنوبها، ولكنها بعيدة عن الطريق الساحلي الذي يربط مصر مع سوريا، وبلاد ما بين النهرين. وكانت نواة المدينة في البداية تقع إلى الجنوب الشرقي من المدينة الحالية.

نشأة المدينة وتسميتها

يُظن أن اليبوسيين - وهم فرع من سلالة الكنعانيين العرب - هم الذين بنوا أورشليم، ودعوا "يبوس"، ولما حكمها ملكهم ملكي صادق وهو أول ملك لها دعاها "سالميم" (تكوين ١٤: ١٨). ويدعم هذا الرأي يوسفوس (٣٧ - ١٠١م) حين يذكر أنها دُعيت باسم "سالميم أو سوليمًا" في عهد أب الآباء إبراهيم الذي جاء إليها نحو سنة ١٩٢١ ق.م. ولكن طبقاً لكل من نقش مصري قديم يعود إلى حوالي سنة ١٩٠٠ ق.م، ولوحات تل العمارنة التي اكتُشفت في مصر سنة ١٨٨٧م والتي ترجع إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد^(١)، دُعيت المدينة "يوساليمو - Urusalimu". أما أحدث الآراء بخصوص اسم المدينة فهو أن الكنعانيين سموها "سالميم" نسبة إلى إله كنعاني مشهور عندهم.

وسالميم أو شالميم تعني "البيت المقدس"، ومنها اشتق الأوروبيون كلمة "أورشليم - Jerusalem". وعندما بُني فيها الهيكل دُعيت "المدينة المقدسة"، واستمرت المدينة تنمو وتكبر وتزداد عظمة وهاءً ورونقاً، حتى دمرها الرومان سنة ٧٠م، وسُميت "إليا كابتولينا - Aelia

١- وهي رسائل مرسله من ملك أورشليم إلى أخناتون فرعون مصر.

Captolina^(٢)، ثم أعاد العرب تسميتها "بيت المقدس" ، أو "القدس" ،

أي البيت المقدس^(٣). كما سُميت "مدينة داود"^(٤)، و"صهيون"، و"مدينة الله"^(٥)، و"أريئيل"^(٦)، وغيرها من الأسماء. وفي العصر التركي سُميت "القدس الشريف"، وهي تُدعى اليوم "أورشليم القدس".

سور المدينة وأبوابها

كان البيوسيون العرب هم أول من أحاط المدينة بسور نحو سنة ٢٥٠٠ ق.م. رمّم الملك داود هذا السور، ومن بعده سليمان ابنه، بعد استيلائهما على المدينة. وتخرّب جزء من هذا السور في عهد يواش ملك إسرائيل سنة ٧٩٠ ق.م. وبني منسى الملك السور الثاني أثناء الاحتلال الأشوري لفلسطين سنة ٦٤٤ ق.م، وهو الذي هدمه نبوخذنصر سنة ٥٨٦ ق.م، فأعاد نحميا النبي ترميمه في عهد الفرس سنة ٤٤٠ ق.م. ثم هدم بطليموس الأول جزءاً منه سنة ٣٢٠ ق.م. وبعد حين ليس بقليل دكّ أنطونيوس إبيفانوس جانباً آخر منه سنة ١٦٨ ق.م، وأخيراً أتى بومبي الروماني على ما تبقى منه سنة ٦٣ ق.م.

وفي عهد الملك هيرودس بُدء في إنشاء السور الثالث سنة ٣٧ ق.م،

هدمه الفرس سنة ٦١٤م، وقد أعاد هرقل الملك بناءه. وحفر صلاح الدين الأيوبي حوله خندقاً، وهدّم معظمه في عهد الملك عيسى سنة ١٢١٩م. ثم رمّمه العادل زين الدين سنة ١٢٢٥م، ثم قلاوون سنة ١٣٣٠م.

أما السور الحالي فقد رمّمه سليمان القانوني سنة ١٥٤٠م. ويبلغ طوله أربعة كيلومترات، وارتفاعه أربعون قدماً، وبه ثمانية أبواب. أما أبوابه فهي: باب الدهريّة (أو باب الجميل)، باب ستي مريم (أو باب إسطفانوس أو باب الضأن)، باب الخليل (أو باب يافا)، باب العمود (أو باب دمشق أو باب النصر)، باب الساهرة (أو باب هيرودس)، الباب الحديد، باب داود (أو باب صهيون)، باب المغاربة. وظلت هذه الأبواب تُفتح نهاراً وتُغلق ليلاً حتى سنة ١٨٥٨م.

فلسطين تخضع لمصر

خضعت فلسطين لمصر قرابة قرن ونصف من الزمان. فطبقاً لرسائل تل العمارنة السابع؛ خضعت فلسطين لبعض من فراعنة مصر، هم أمنحتب الثالث (١٤١٣ق.م)، أخناتون (١٣٧٥ق.م)، توت عنخ آمون (١٣٥١ق.م)، سيتي الأول (١٣١٤ق.م)، منفتاح (١٢٩٩ق.م). وكان الفراعنة يحكمون فلسطين عن طريق ولاة من أهلها يدفعون الجزية لمصر. وبعد أن أغار الحيثيون عليها اتفق رمسيس الثاني مع "حتّسب - Hattusib" ملك الحيثيين على أن تكون فلسطين كلها من نصيب مصر، وكان ذلك نحو سنة ١٢٧٩م.

وجاء إبراهيم أب الآباء وسكن في فلسطين (أرض كنعان) في عصر الأسرة الثانية عشر الفرعونيّة (١٩٩١ - ١٧٨٦ق.م)، أي كان معاصراً

لأحد الملوك الذين كانوا يُدعون باسم "امنمحات" (من الأول إلى

الرابع)^(٧)، أو باسم "سنوسرت". وقد أطلق الإغريق والرومان اسم "سيزوستريس" على أحد الملوك الذين يحملون اسم "سنوسرت" ويغلب أنه سنوسرت الثالث^(٨). وربما كان مجيء إبراهيم إلى مصر بالتحديد في عهد همورابي المشرع البابلي الشهير الذي تسميه التوراة امراقيل^(٩). ولما رحل إبراهيم وسكن في أرض كنعان، وصار له نسل كبير من ابنه يعقوب إسرائيل، هاجر العبرانيون من فلسطين إلى مصر في القرن السابع عشر قبل الميلاد. وفي مصر وُلد موسى وتربى في بلاط الملكة حتشبسوت سنة ١٥٢٧ ق.م. أما خروج بني إسرائيل من مصر فهو يمثل البداية الحقيقية لتاريخ اليهود في الأراضي المقدسة.

أورشليم في زمن الملكين داود وسليمان

لما تراخت قبضة مصر عن فلسطين سُمح للعبرانيين أن ينفذوا تدريجياً إليها نحو سنة ١٤٠٠ ق.م. وفي سنة ١٠٠٠ ق.م. في عهد داود الملك سيطروا على جانب كبير من فلسطين، حيث قضى داود السني معظم زمانه في حروب مع الفلسطينيين. وفي أيام داود الملك أمكن الاستيلاء على أورشليم، وكانت تُدعى ييوس آنئذ^(١٠). فقد ظلت المدينة منيعة يحامي عنها البيبوسيون بفضل حصنها القوي على جبل صهيون،

المدينة والذي بنى فيه هذا الحصن "مدينة داود". وكانت أهمية المدينة لداود هو موقعها الطبيعي الذي يحميها، وكذلك توسطها لفلسطين، وكونها أرضاً محايدة لم تخضع لأي سبط من الأسباط، فهي والأمر كذلك تصلح عاصمة لكل الأسباط.

وازدهرت المدينة في عهد سليمان بن داود الذي بنى سوراً حولها، وبنى بها هيكل سليمان العظيم، والذي عرف باسم "هيكل أورشليم"، ولقد نُهب وتهدم هذا الهيكل عدة مرات، كان أولها بعد موت سليمان عندما زحف شيشق ملك مصر^(١١) على أورشليم ونهب الهيكل (١ ملوك ١٤:٢٥، ٢٦)^(١٢).

أورشليم في زمن مملكتي إسرائيل ويهوذا

واستمرت مملكة إسرائيل من سنة ٩٣٠ - ٧٢٢ ق.م، وكان لها ١٩ ملكاً، أما مملكة يهوذا فقد ظلت من سنة ٩٣٠ - سنة ٥٨٦ ق.م، وكان لها عشرون ملكاً. في هذه الفترة استطاع شيشق فرعون مصر أن يصعد على أورشليم سنة ٩١٥ ق.م ويستولي على المدينة المقدسة (٢ أيام ٢:١٢) حيث أخذ كل خزائن الهيكل ومقتنيات القصر الملكي (١ ملوك ٢٤:٢٥)، وقد دُوّن انتصاره على جدران معبد الكرنك. وبعده صعد نحو فرعون مصر نحو سنة ٦١٠ ق.م واستولى على أورشليم، وقتل الملك يوشيا (٢ ملوك ٢٣:٣٠).

١١- هو أول ملوك الأسرة الـ ٢٢ (٩٤٥ - ٩٢٤ ق.م).

١٢- وكذلك نهبه الفلسطينيون والعرب معاً في عهد يهورام (٢ أيام ١٧، ٢١:١٦) في سنة ٨٥٠ - سنة ٨٤٣ ق.م. وكان آخرها سنة ٧٠ ق.م، ثم قلعت ما تبقى من أساساته سنة ١٣٥م، بواسطة الإمبراطور هدریان، وبنى محلها معبداً لجوبيتر، وتهدم هذا المعبد الوثني أيضاً سنة ٣٣٣م.

ولكن في سنة ٧٢٢ ق.م وقعت المملكة الشماليّة تحت حكم

الأشوريين، والمملكة الجنوبيّة تحت حكم البابليين في سنة ٥٨٦ ق.م. وسبى اليهود من المملكة الشماليّة إلى مدينة نينوى بشمال العراق (٢ ملوك ١٨)، وسبى يهود المملكة الجنوبيّة إلى بابل (٢ ملوك ٢٤).

ومنذ ذلك التاريخ لم تقم للمدينة قائمة حتى نهاية القرن السادس قبل الميلاد مع بناء الهيكل الثاني^(١٣).

أورشليم تحت حكم الفرس واليونان

وقعت القدس تحت حكم الفرس سنة ٥٢٦ ق.م، وظلت في يدهم حتى قهرهم الإسكندر الأكبر المقدوني حين دخل المدينة المقدّسة سنة ٣٣٤ ق.م، وبعد موته سنة ٣٢٣ ق.م انقسمت إمبراطوريّته بين قوّادمه، فكانت الشام ومن ضمنها فلسطين من نصيب القائد سلوقس Seleucus. وظلت الدوّلة السلوقيّة تحكم الشام حتى العصور الوسطى. وفي سنة ٣١٢ ق.م، ولمدة قرن من الزمان كانت فلسطين تحت حكم البطالمة الذين اتخذوا من مصر مستقراً لهم.

قام نزاع بين بطليموس الخامس وأنطيوخوس الكبير^(١٤) والي سوريا، وانتصر الأخير واستولى على كل فلسطين سنة ١٩٨ ق.م، ونتيجة

للاضطهاد الشديد الذي عاناه اليهود في هذه الفترة هجروا المدينة المقدّسة. في هذا الوقت سادت الآداب واللغة اليونانيّة في الأرض المقدّسة وكثر عدد اليونانيين بها. وامتزجوا بالسكان الأصليين، وناسبوهم ونقلوا إليهم حضارتهم الإغريقيّة وديانتهم الوثنيّة.

قامت ثورة المكابيين سنة ١٦٨ ق.م بقيادة يهوذا المكابي، وظلّ التّسلل المكابي يحكم المدينة المقدّسة حتى سنة ٦٣ ق.م. وتدلّ أسفار المكابيين على مدى الفوضى والاضطرابات، واختلال الأمن والانحلال الاجتماعي والديني الذي ساد تلك الفترة.

أورشليم تحت الحكم الروماني

أخذت الدّولة السلوقيّة في الانحلال عندما بدأت جحافل الرومان تدقّ أسوار المدينة المقدّسة حيث دخلها بومبي سنة ٦٣ ق.م واكتسح فلسطين وعين "أسكورس" والياً فنّار عليه اليهود، لأنّه ألغى مجعهم وفرض عليهم تقديم ذبيحة وثنيّة على مذبح هيكلهم. ثمّ عين يوليوس قيصر والياً آخر هو أنتيباتر الأدومي، وتلاه ابنه فصايل، واستطاع هيرودوس الأوّل (الكبير) أن يقنع روما بتنصيبه والياً في سنة ٣٧ ق.م، وحكم لمدة ٣٣ سنة، ورقى إلى رتبة ملك. وهو الذي بني الهيكل الثالث، وفي زمانه وُلد السيد المسيح.

في عهد ابنه أرخيلائوس انتقلت عاصمة فلسطين إلى مدينة قيصريّة المطلّة على البحر المتوسّط، وهي التي بناها هيرودس. وفي عهد الوالي بيلاطس البنطي بدأ السيد المسيح خدمته وأكمل تديره الخلاصي بموته وقيامته.

جاء الملك أغريباس الأوّل (٣٧ - ٤٤م) حفيد هيرودس الكبير،

وكان نائبه القائد الروماني فيلكس، ووقعت الحرب بينه وبين الحارث

الملك العربي في شرق الأردن، انتصر فيها الأخير، فغضبت روما على أغريباس ونفته ثم ولّت "كسيوس" الذي عُزل بعد قليل نتيجة دسائس اليهود ضده، وتولى مكانه طيباريوس اسكندر سنة ٤٦م، وهو من اليهود المرتدين، وتوالى بعده الولاة فتديوس وكلوديوس وفستوس سنة ٦٠م، وألبينوس سنة ٦٤م، وجاثيوس . وفي أيامهم حدثت الفتن وانتشرت الدسائس واحتل النظام وكثرت حوادث الشعب والاضطرابات الدامية، حيث قُتل من اليهود عشرات الآلاف حتى يمكن فرض النظام في المدينة المقدّسة. ومع ذلك فقد نمت النزعة القوميّة اليهوديّة وبلغت إلى حد عصيان كامل شمل كل أرجاء فلسطين، وتركّز بصفة خاصة في أورشليم.

وإزاء هذا التدهور أصدر الإمبراطور الروماني نيرون أوامره إلى قائده فلافيوس فسبسيانوس سنة ٦٧م، بالتحرك نحو فلسطين على رأس جيش جرّار من ستين ألف جندي للقضاء نهائيّاً على الاضطرابات اليهوديّة في فلسطين.

نزل فسبسيانوس على شاطئ فلسطين، واستول على العاصمة قيصريّة، وقبل زحفه على القدس علم بانتحار الطاغية نيرون، فأسرع إلى روما لتولي زمام الإمبراطوريّة، وترك نصف جيشه تحت قيادة ابنه تيطس،

وأحرقوا الهيكل فاشتعلت النيران في كل المدينة وقصورها. ويذكر يوسيفوس أيضاً أن الرومان قتلوا مليون يهودي وأسروا ٩٩٠٠٠، وأرسل تيطس ٣٠٠٠٠ يهودي إلى روما للاحتفال بوصوله ظافراً، ومن بقى من اليهود بعد ذلك تشبّت في أنحاء العالم.

عصيان باركوكبا

بذل اليهود محاولتين لاسترداد أورشليم، الأولى بزعامة سمعان باركوكبا (ابن النجم) الذي زعم أنه مسيح إسرائيل المنتظر، وتمكّن من الاستيلاء على القدس، فجرّد عليه الإمبراطور هديران جيشاً قوياً هزمه وقضى على ثورته، وهدم المدينة المقدّسة مرة أخرى سنة ١٣٥م، وغير اسم أورشليم إلى "إيليا كابتولينا - Aelia Captolina"، ومنع دخول اليهود إليها، وسمح لهم فقط برؤية أطلالها مرة واحدة في العام بنظرة من فوق جبل الزيتون، ويا للمذلة!

ويقول يوسابيوس القيصري (٢٦٠ - ٣٤٠م) في مؤلفه تاريخ الكنيسة (٤: ٢٠٥-٤) إنه خلال الفترة من تولي القديس يعقوب أخي الرب أسقفية أورشليم حتى سنة ١٣٥م "تولى أسقفية أورشليم خمسة عشر أسقفاً بالتتابع وقيل أنهم كانوا من أصل عبراني، وأنهم قبلوا معرفة المسيح نقيّة، ولذلك اعترف بهم من كان في قدرتهم الحكم على هذه الأمور. وحسبوا جذيرين بمركز الأسقفية. لأن كنيستهم بأكملها كانت تتكوّن وقتئذ من مؤمني العبرانيين، الذين ظلوا من أيام الرسل حتى الحصار الذي حدث في ذلك الوقت... ولكن لأن أساقفة الختان لم يعد لهم وجود منذ ذلك الوقت، فمن المناسب هنا أن نقدم قائمة بأسمائهم منذ البداية.

الأول يعقوب الملقب أخو الرب، الثاني سمعان (ابن كلوبا^(١٥))،

الثالث يسطس، الرابع زكا، الخامس طوبيا، السادس بنيامين، السابع يوحنا، الثامن فيلبس، التاسع فيلبس، العاشر سينكا، الحادي عشر يسطس، الثاني عشر لاوي، الثالث عشر أفريس، الرابع عشر يوسف، وأخيراً الخامس عشر يهوذا“.

ومع الوقت تضاءلت أهمية أورشليم حتى أصبحت قرية صغيرة تابعة إدارياً واقتصادياً لوالي قيصرية. ولكن من الوجهة الدينية ظل لهذه المدينة أو تلك القرية أسقفاً، إذ أن يوسابيوس القيصري يشير إلى أساقفة أورشليم الذين بقوا إلى زمن البابا ديونيسيوس الكبير (٢٤٨ - ٢٦٥م) الإسكندري أي إلى حوالي منتصف القرن الثالث الميلادي فيقول (١٩:٧): ”أما كرسي يعقوب الذي نال أسقفية كنيسة أورشليم من المخلص نفسه والرسول والذي كان يُسمى أحياناً للمسيح كما تبينه الأسفار الإلهية، فقد بقى إلى الآن، أما الإخوة الذين خلفوه فقد أظهروا للجميع الإكرام الذي أظهره للقدماء“.

كانت المحاولة الثانية لبناء الهيكل في عهد الإمبراطور يوليانوس الجاحد (٣٦٠ - ٣٦٣م) الذي نقض جميع حجارة الهيكل القديم ليعيد بناءه من جديد. وإذا خرج لمقاتلة الفرس أصابه سهم وهو على جواده

القدس في عهد الإمبراطور قسطنطين

بعد منشور ميلان سنة ٣١٣م ذهبت الملكة هيلانة إلى الأراضي المقدسة سنة ٣٢٦م لتبحث عن خشبة الصليب، وبعد بحث طويل وجدتها، وقد شيدت في القدس سنة ٣٣٠م الكنائس فوق مغارة الميلاذ وفوق القبر المقدس والجلجثة، ولما تم بناء كنيسة القيامة دعا قسطنطين بطاركة الكنائس لتدشينها، فذهب إلى هناك البابا أناسيوس الرسولي واشترك في حفل التدشين. وسمح الإمبراطور بعودة عدد من اليهود للأرض المقدسة. ولكن الكنائس اليونانية بدأت تحل محل المعابد اليهودية، فهاجر اليهود الموجودون في ذلك الوقت بفلسطين إلى بلاد فارس وبلاد العرب ومصر. وشيد الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني (الصغير) عدّة كنائس وأقام أديرة للربان والراهبات، وعاشت زوجته إدفوكسيا متطوعة للإشراف بنفسها على هذا العمل على مدى عشرين سنة (٤٤٠ - ٤٦٠م). وبنى الإمبراطور جوستينيان الأول سنة ٥٢٧م داراً للحجاج ومستشفى في وسط المدينة جنوب القبر المقدس، وتم في هذه الفترة تعيين بطريرك لأورشليم يخضع له كل أساقفة فلسطين.

عودة القدس للحكم الفارسي

استطاع الفرس بقيادة كسرى الثاني أن يستولوا على المدينة المقدسة سنة ٦١٤م، ودمروا معظم المباني المسيحية وأخذوا صليب المسيح، وقتلوا ٩٠,٠٠٠ مسيحي بوشاية من اليهود. ولكن تمكن الإمبراطور هرقل من استعادة القدس من الفرس سنة ٦٢٩م، بعدما عقد صلحاً معهم وأعيد الأسرى المسيحيون مع كل غنائمهم، ودخل هرقل مدينة "إيليا" حافياً حاملاً الصليب المقدس على كتفه من الباب الجنوبي للمدينة، ولكن لم تدم

القدس طمّ بلاً في بد الرومان إذ سرعان ما سقطت في يد العرب سنة ٦٣٨ م.

الفتح العربي للقدس

فتح العرب الأرض المقدّسة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وكان أبو عبيده الجراح وخالد بن الوليد على رأس جيشه، فحاصروا ألياً بجيش قوامه خمسة وثلاثين ألف جندي، ووجّه أبو عبيده إنذاراً إلى صفرونيوس بطريرك أورشليم آنئذٍ وخيّرهُ بين قبول الإسلام أو دفع الجزية أو القتال، فنشبت حرب طاحنة استمرّت عشرة أيام دام القتال بعدها لمدة أربعة شهور أخرى حتى حلّ الجوع بالمدينة لنفاذ المؤمن. فسلمّ البطريرك المدينة حيث فتح أبوها سنة ٦٣٨ م لعمر بن الخطاب، الذي زار كنيسة القيامة وكتب للبطريرك "العهد العمرية" على ورق من الجلد^(١٦)، وهي لا تزال محفوظة إلى الآن بالبطريركية اليونانية الأرثوذكسية بالقدس. وفيها يمنح عمر الأمان للمسيحيين من الرعايا والقسوس والرهبان والراهبات والكنائس وكافة الديار التي بيدهم. وكذلك احترام العقائد والشرائع مع دفع الجزية.

وأقام الخليفة عمر بن الخطاب يزيد بن أبي سفيان على بيت المقدس، فكان أول الولاة العرب بها، ودُعي اسمها "بيت المقدس"

المدينة من اليهود في تلك الفترة.

ثم خضعت القدس سنة ٦٤١م للدولة الأموية بعد أن اعتلى عرش الخلافة الأموية الخليفة معاوية بن أبي سفيان الأموي بدمشق. وفي عهد الخليفة عبد الملك بن مروان الأموي بدأ بناء مسجد الصخرة والمسجد الأقصى، وافتتح المسجد الأقصى في عهد الوليد سنة ٧٠٥م.

ودخلت القدس في عهد الدولة العباسية، وسمح هارون الرشيد سنة ٧٨٦م للإمبراطور شارلمان بترميم الكنائس وبناء كنيسة باسم العذراء.

وفي أثناء حكم الطولونيين (٨٧٨ - ٩٠٥م) فقدت القدس أهميتها الاقتصادية والسياسية، أما في عهد الأخشيديين فلم تكن للمدينة المقدسة أهمية تذكر، وتفوقت عليها الرملة التي أصبحت عاصمة فلسطين.

فتح الفاطميون القدس سنة ٩٧٢م، وفي هذا العصر تأسست أول كنيسة وأول دير لاتيني جنوب القبر المقدس، وامتاز الحكم الفاطمي باضطراد النشاط العمراني، فتأسس في المدينة بيمارستان (مستشفى) للعلاج المجاني.

ثم وقعت القدس في يد الأتراك السلاجقة سنة ١٠٧٢م، وكان السلاجقة قساة هدموا كثيراً من الكنائس والأديرة، وظلت القدس تعاني من ظلمهم حتى استردها الفاطميون مرة أخرى سنة ١١١٥م.

القدس تحت حكم الصليبيين

وقعت القدس تحت حكم الصليبيين إبان فترة الحروب الصليبية^(١٧).

١٧- تدور الحروب الصليبية حول شخصية بطرس الناسك الفرنسي الذي لم

ووصلت الحملة الصليبية إلى القدس سنة ١٠٩٩ م بعد أن تم فتح أنطاكية،

وحاصروا القدس نحو ستة أسابيع، ودخلوها وأعملوا القتل في المسلمين واليهود، وأسرعوا بتحويل بعض المساجد إلى كنائس، وبدأوا في تحويل الأرثوذكس الشرقيين إلى سلطة بابا روما بالقوة، وأقاموا بطريركاً لاتينياً للأراضي المقدسة رغم وجود البطريرك الشرعي سمعان حياً، فانتخبوا دايروتوس Dairotos، وكان فاسداً، فحدث خلاف شديد بينه وبين ملك القدس الصليبي فجرّده من رتبته الكهنوتية، ونفاه إلى إيطاليا، وأقيم بعده عشرون بطريركاً لاتينياً دخلوا جميعاً في نزاع مع حكومة بيت المقدس الصليبية بغية التدخل في السلطة الزمنية للاستيلاء عليها، وطردها حراس القبر المقدس. وأعطيت هذه الوظيفة للرهبان اللاتين، فحمل رئيسهم لقب "رئيس قبر السيد العظيم بنعمة الله"، واغتصبوا عدّة كنائس أرثوذكسية عربية ويونانية في القدس وخارجها، واستولوا على عدّة أديرة وأوقاف كثيرة. وبدأ سيل الإرساليات الكاثوليكية يتقاطر على المدينة المقدسة.

إن الاحتلال الصليبي الأول للقدس في منتصف يوليو سنة ١٠٩٩ م يشكّل أحد أعظم الكوارث الإنسانية التي حلّت بالمدينة المقدسة. فقد كان عدد الضحايا يُقدر بعشرات الآلاف. وبرغم أن المدينة قد تعرّضت لعدّة حملات تدميرية قاسية كان أعنفها أيام نبوخذ نصر سنة ٥٨٦ ق.م،

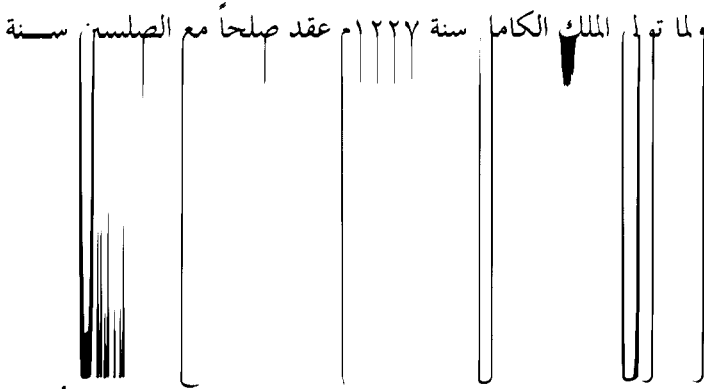
الأعلى في كل تاريخها.

القدس في عهد الأيوبيين

بعد مرور ٨٨ سنة على دخول الصليبيين المدينة المقدّسة، استطاع القائد صلاح الدين أن يطردهم منها بعد أن هزمهم في معركة حطين، وفتحت المدينة أبوابها للقائد العربي سنة ١١٨٧م بعد أن أهلكها الحصار، وتمّ الاتفاق على ترك القدس تحت حكم المسلمين على أن يُسمح للمسيحيين بالحج إليها. وانسحب من الإفرنج ستون ألفاً بعد فدية دفعوها، وخرج البطريرك اللاتيني بعد أن دفع الفدية المطلوبة عن كل رجل وهي عشرة دنانير. وفي خروج الصليبيين نهبوا ذخائر كنائس القدس، وأخذوا الأواني المقدّسة والقناديل والستور، وجمع البطريرك كل صفائح الذهب التي كانت تغطي القبر المقدّس، وفكّ صلاح الدين أسر الملك الصليبي، وسمح له بمغادرة القدس مع زوجته، وسمح لليهود بدخول القدس. وفي سنة ١١٧٠م كان بالقدس نحو ١٥٠٠ يهودي فقط، وكانوا أيام الصليبيين أسرتان يهوديتان ليس إلا.

أعاد صلاح الدين جميع الأماكن المقدّسة التي اغتصبها الصليبيون للروم الأرثوذكس، وكذلك منح الأقباط نصيباً في كنيسة القيامة وأبدى تسامحاً مع السريان والموارنة.

بعد وفاة صلاح الدين سنة ١١٩٣م انقسمت مملكته بين أولاده فكانت القدس من نصيب ابنه الأفضل الذي تنازل عنها لأخيه العزيز سنة ١١٩٥م. فمنع هذا الأخير تعيين أهل الذمّة في الوظائف الرسميّة في القدس، وأصبحت القدس تابعة للإدارة المصريّة منذ ذلك الوقت.



١٢٢٩م بقيادة ملكهم فريدرىك الثاني الألماني على أساس إخلاء القُدس، ووضعها تحت إدارتهم ما عدا الحرم القُدسي فيبقى بيد المسلمين، ولا يدخله الفرنجة إلا للزيارة، وتكون سائر قرى القُدس للمسلمين، وأن يقام قاضي مسلم ليحكم بين مسلمي القُدس، وقد استنكر العالم الإسلامي في ذلك الحين هذا العمل من الملك الكامل.

عادت القُدس ووقعت تحت حكم الصليبيين مرة أخرى مدّة عشر سنوات ونصف، وعاد اضطهاد الكنيسة الأرثوذكسيّة أكثر مما كان من قبل، إلى أن طردهم ناصر الدين داود أمير الكرك في شرق الأردن. وبعد موته خضعت المدينة لحكم السلطان الصالح أيوب المصري سنة ١٢٤٤م، فعادت القُدس إلى حكم العرب.

استطاع كرنول أخو الملك هنري الثالث ملك إنجلترا أن يفتح القُدس، وظل الصليبيون بفلسطين حتى أغارت عليها جيوش المغول. ولكن أحد ملوك المماليك وهو الظاهر بيبرس انتصر عليهم وأعاد القُدس للحكم المصري مرة أخرى.

استطاع الملك قلاوون المصري أن يطرد الصليبيين من الشام سنة

توطيد صداقاتهم مع ملوك القسطنطينية. وفي أواخر عهد دولة المماليك الأول (والتي يسميها المؤرخون بالبحرية أو التركمانية) نشطت العمارة بالقدس. ثم أسس الملك برقوق سنة ١٣٨٢م دولة المماليك الثانية في مصر (البرجية أو الشركسية). وحصل البطريرك ثاوفيلس الثاني سنة ١٤٠٦م على مرسوم من الملك الأشرف بموجبه يكون "للبطريرك الحق في التصرف في شؤون كنيسة القيامة وبقية الأماكن المقدسة، تصرف المالك بملكه كذي حق" وأن يفتح باب كنيسة القيامة بحرية تامة.

وفي عهد قايتباي (١٤٦٧ - ١٤٩٥) أقيمت عدة مدارس، وهُدِّمَ جانب من كنيسة القيامة بسبب كثرة الأمطار. وفي هذه الفترة ساءت علاقة المماليك بالأتراك، واستطاع السلطان سليم العثماني أن يحتل الشام ومصر ويشنق طومان باي آخر سلطان مملوكي. وأصبحت المدينة المقدسة تحت حكم العثمانيين.

القدس تحت حكم الأتراك العثمانيين

استولى السلطان سليم الأول على القدس سنة ١٥١٧م، وزارها ونظّم إدارتها، وقابله بطريرك الروم دروثيوس الثاني مع رهبانه، ومنحه السلطان فرماناً أن تكون الكنائس التي في داخل القدس وخارجها وأماكن الزيارة المقدسة تحت تصرفه، وفي ملكيتهم كطلب البطريرك. وأعفى الأساقفة والرهبان من دفع الجزية.

وجدّد السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٢٦م هذا فرمان الممنوح من أبيه للبطريرك، وكان هذا السلطان هو آخر من جدّد سور المدينة، حيث استغرق العمل خمس سنوات انتهت سنة ١٥٤٠م، وأصلح قبّة الصخرة، وجدّد جدران الحرم، وفتح باب ستي مريم، وأنشأ مسجداً

الطور في مكان كنيسة الصعود بجبل الزيتون، وأنشأ داراً للعجزة بالمدينة.

وفي عهد السلطان مراد الرابع سنة ١٦٢٢م كانت القدس تابعة لمصر، ووصل عدد سكانها إلى ٤٦,٠٠٠ نسمة أكثرهم عرب مسلمون.

وفي سنة ١٦٤٨م حدثت مذبحة لليهود في أوكرانيا، فهرب منهم عدد كبير إلى الأراضي المقدّسة، وسُمح لهم بالإقامة في الحي الذي يُسمى باسمهم، أي حي اليهود، وسمح العرب لهم أن يقيموا الصلوات عند حائط المبكى في يوم ٩ أغسطس من كل سنة، وهو تاريخ تدمير الهيكل على يد الرومان.

وخلال الفترة من سنة ١٦٨٦ - ١٧٥٦م وقعت الإدارات المقدّسة الدينيّة ومن بينها كنيسة القيامة وباقي كنائس المدينة تحت إدارة اللاتين نظراً لمحاولة تركيا الحصول على مساعدة فرنسا في حربها ضد ألمانيا. ولكنها عادت ثانية إلى إدارة الروم الأرثوذكس.

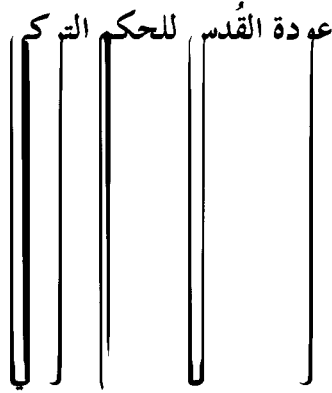
وفي عهد السلطان سليم الثالث سنة ١٧٩٩م غزا نابليون بونابرت يافا والرملة في فلسطين، وكان نابليون قد أرسل منشوراً سرياً لزعماء اليهود في آسيا وأفريقيا ليجمعهم تحت قيادته في أثناء زحفه على فلسطين لطرد الأتراك منها، ووعدهم بتعمير القدس وإسكانهم فيها. ولكن محاولته فشلت. لقد ظن الأتراك أنه سيتوجه إلى القدس لفتحها، فسجنوا

يطالبون به في المستقبل.

وفي سنة ١٨٢٠م منع السلطان العثماني الروم من تعمير كنائسهم لمناداهم باستقلال اليونان عن تركيا. وفي سنة ١٨٢٤م قامت ثورة في القدس ورفض أهلها دفع الضرائب، وطردها الجباة، فجاءهم حاكم عكا أحمد باشا الجزار الذي أذاق سكان القدس صنوفاً من العذاب، وكانت القدس آنئذ تابعة لعكا إدارياً، ولكن الأهالي تحصنوا في الجبال والأودية، وبعد رحيله ثاروا من جديد، فغضب السلطان محمود التركي وأصدر أوامره لقائده عبد الله باشا بأن يعمل على إخضاع الثائرين بأي ثمن، فزحف الجيش التركي على القدس، وأمطروا المدينة بوابل من القذائف، وبعد مقاومة شديدة من أهل المدينة من المسلمين والمسيحيين قرروا الاستسلام، إذ كانت ذخائرهم ومؤهم قد قاربت على النفاذ، ولكن كان شرط الاستسلام هو إلغاء الضرائب الجديدة، وإعلان العفو العام، فأجيب مطالبهم.

القدس تحت حكم محمد علي باشا

دخلت القدس وبقية الشام تحت حكم محمد علي سنة ١٨٣١م، وقام ابنه إبراهيم باشا بجمع السلاح من الأهالي، وفرض النظام بالقوة، وبعد فترة من القلاقل تطورت القدس في عهده تطوراً يؤرخ له، فمنع الرشوة، واهتم بطرق المواصلات، وألغى الضريبة التي كان حراس كنيسة القيامة يجبوها منذ أيام صلاح الدين، وشجّع الزراعة، وأسكن عدداً من العرب بالقدس، وساوى بين اليهود والمسيحيين والمسلمين، وأخذ الجزية من النصارى نظير إعفائهم من التجنيد، ورفض أن يؤجر لليهود خمسين فدانا، ومائتي قرية بفلسطين لمدة خمسين عاماً.



بعد أن تدخلت الدُول الأوروبيّة في الصراع بين محمد علي وألبان العالي (السلطان العثماني)، انسحب الجيش المصري من الشام سنة ١٨٤١م بعد حكم دام عشر سنوات، ورجعت القدس لحكم السلطان عبد الحميد، وضُمت لولاية صيدا (وكانت عاصمتها بيروت)، وكان عدد السكان قد انخفض إلى عشرين ألفاً فقط نصفهم من المسيحيين. وفي عهده انتظم المسيحيون في الجندية كالمسلمين.

وفي أيام السلطان عبد العزيز أصبحت القدس ولاية مستقلة تتبع الباب العالي مباشرة، فرُصفت شوارعها القديمة وأسواقها بالبلاط، ولبس الناس الطربوش لأول مرة، وأعيد تشييد المسجد العمري على مقربة من كنيسة القيامة، وبلغ عدد السكان ٦٨,٠٠٠ نسمة.

في سنة ١٨٥١م وُضعت بعض المزارات المقدّسة تحت حماية فرنسا التي كانت تحمي الكنيسة اللاتينية الكاثوليكية، بينما نالت روسيا حق السيطرة على أماكن أخرى بحجة أنها تحمي الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية، وساءت الأحوال وحدثت مصادمات بين الكيستن، فقام سفيرا فرنسا وروسيا برفع شكواهما إلى الباب العالي، فأصدر فرماناً يحدّد فيه حقّ كلّ من الكيستن. فثارت روسيا وغزت تركيا سنة ١٨٥٣م

العبادة والزيارة فقط شرط ألا يبقوا فيها أكثر من ثلاثة شهور.

وفي سنة ١٨٨٨م منحت تركيا امتيازات لألمانيا لتحقيق أطماعها في القدس، فأُنشئت أول كنيسة لوثريّة على أنقاض البيمارستان القديم، وبنى الكاثوليك الألمان كنيسة وديراً على جبل صهيون.

ومد السلطان عبد الحميد الثاني الخط الحديدي بين يافا والقدس سنة ١٨٩٢م لأول مرة.

وفي سنة ١٨٩٧م عُقد أول مؤتمر صهيوني في مدينة بال بسويسرا، وُضعت فيه أسس أول حركة سياسية يهوديّة عُرفت بالصهيويّة، وكان يحمل هدفها طرد العرب من فلسطين تدريجياً، وإقامة دولة يهوديّة عنصريّة دينيّة خالصة، يتجمّع فيها اليهود المشتتين في جميع أنحاء العالم، وجعل القدس عاصمة لها، وإعادة بناء هيكل سليمان.

وفي سنة ١٩٠٨م حاول الأوروييون عزل البطريرك الأرثوذكسي داميانوس، فقامت مظاهرة ضخمة تأييداً له اشترك فيها المواطنون المسيحيون وشاركهم المسلمون. وفعلاً لم يُعزل البطريرك وظل يمارس عمله حتى دخل الإنجليز القدس سنة ١٩١٧م.

القدس تحت الحكم البريطاني

دخل الإنجليز القدس بعد دكها بالقنابل وانسحاب الأتراك منها، وكان ذلك يوم الأحد ٩ ديسمبر سنة ١٩١٧م. وبعد يومين دخلها السير آدموند اللني Allenby قائد الحملة البريطانية عن طريق باب الخليل. كان اللني أول فاتح غربي للقدس منذ تحريرها من الصليبيين، وفتح اللني

القدس هذه المرة بالاتفاق مع العرب الذين كان يتزعمهم حسين بن علي

قائد الثورة العربية. وأقام النبي حكومة عسكرية في القدس.

لم يخف الاتفاق بين العرب والبريطانيين من غلواء اللواء البريطاني، فقد أدلى النبي مباشرة بتصريح إثر دخوله القدس بقوله: "الآن انتهت الحروب الصليبية"، فاستفز هذا التصريح مشاعر العرب، وكان أمير الشعراء أحمد شوقي قد ردّ على اللواء النبي بقصيدته الشهيرة التي بدا فيها مسيحياً أكثر من الفاتح البريطاني، قال فيها:

يا فاتح القدس خل السيف ناحية ليس الصليب حديداً كان بل خشبا
إذا نظرت إلى أين انتهت يده وكيف جاوز في علياته القطبا
أدركت أن وراء الضعف مقدره وأن للحق لا للقوة الغلبا

وكان ذلك لم يكن كافياً كي تزيح بريطانيا عن ساحة الشرق العربي هذا النبي، فعينته في مارس سنة ١٩١٩م مقيماً عاماً لها في مصر.

وفي ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧م كان وعد بلفور بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وكان هو هدف الاحتلال الإنجليزي للقدس، وتقرّر في إبريل سنة ١٩٢٠م تحويل فلسطين إلى محمية بريطانية. ووصل أول مندوب سامي في يوليو من نفس السنة، وهو السير هربرت صموئيل،

في سنة ١٩٢٩م قامت عدة اضطرابات بالمدينة المقدسة عندما تعدى بعض اليهود على الحرم الشريف بالقرب من حائط المبكى متجاهلين بذلك العرف السائد منذ قرون خلت. وبعد تحقيق في الأوضاع دام شهراً وضعت اللجنة التي شكلها وزير المستعمرات البريطاني في القدس تقريراً يقرّر ضرورة الاحتفاظ بالوضع الراهن في القدس.

تحدى اليهود القرار فقامت ثورة عربيّة عارمة دمّرت ست مستعمرات يهوديّة. وفي سنة ١٩٣٠م أصدرت عصبة الأمم المتحدة (هيئة الأمم المتحدة حالياً) قراراً لصالح العرب، ولكن لم يُنفذ منه شيء، فتكرّرت الثورة العربيّة سنة ١٩٣٥م، وتكهرب الجو بسبب سماح الإنجليز بهجرة أعداد كبيرة من اليهود إلى فلسطين، وبسبب بيع الأراضي لليهود، فاندلعت ثورة فلسطين الكبرى في إبريل سنة ١٩٣٦م.

في سنة ١٩٤٤م كان بالقدس حوالي ٣٢ ألف مسلم، و٢٨ ألف مسيحي، و٩٤ ألف يهودي، وحوالي ألفان من ديانات أخرى. وكان قد حُرّم على اليهود دخول المدينة منذ عهد هدریان سنة ١٣٥م. ومنذ ذلك التاريخ ظلّ دخولهم إليها محظوراً عليهم، وفي عهد الصليبيين طرد جميع اليهود منها. ولكن صلاح الدين الأيوبي سمح لهم بالمعيشة فيها، وسرعان ما تزايدت أعدادهم بسرعة كبيرة، نظراً للهجرة التي شجّعت عليها الوكالة اليهوديّة بمساعدة الغرب، لاسيّما إنجلترا.

في سنة ١٩٤٧م أحييت مشكلة فلسطين إلى الأمم المتحدة، فأصدرت الجمعية العامة (٥٦ دولة) قرار التّقسيم رقم ١٨١ والذي يقضي بإهاء الانتداب البريطاني، وإنشاء دولتين إحداهما عربيّة والأخرى يهوديّة، وتحويل القدس. ولكن مع الأسف رفض العرب القرار، ونشبت الحرب العربيّة الإسرائيليّة الأولى في سنة ١٩٤٨م وخسر العرب الحرب

وقامت الدولة اليهودية ولم تقم الدولة الفلسطينية، فطرد العرب من أراضيهم، وأعلنت دولة إسرائيل استقلالها. ولم يبق للعرب سوى القدس القديمة، وبعض الأجزاء الشرقية من القدس الحديثة.

في يناير سنة ١٩٥٠م قرّرت إسرائيل اعتبار القدس الجديدة (القطاع الغربي من القدس)^(١٨) عاصمة لها بدلاً من تل أبيب، وقد بلغ تعداد سكان القدس سنة ١٩٥٨م حوالي ١٤٩,٠٠٠ نسمة.

وظلّت القدس الشرقية في يد الإدارة الأردنية حتى فقدت هي الأخرى في حرب سنة ١٩٦٧م، ومنذ ذلك التاريخ وضعت إسرائيل يدها على القدس كلها. وأصدر الكنيست الإسرائيلي قراراً بضم القدس العربية وتوحيد شطريها وجعلها عاصمة لإسرائيل. وسُحبت العملة الأردنية من المدينة واستُبدلت بالليرة الإسرائيلية. وفي سنة ١٩٦٩م أعلن متحدّث إسرائيلي أن القدس أصبحت مدينة موحّدة، وأنها أصبحت مفتوحة لكل من ينتمي إلى العقائد الثلاث. وفي الحقيقة لم يعد وصول العرب إلى الأماكن المقدّسة المسيحية أو الإسلامية أمراً سهلاً.

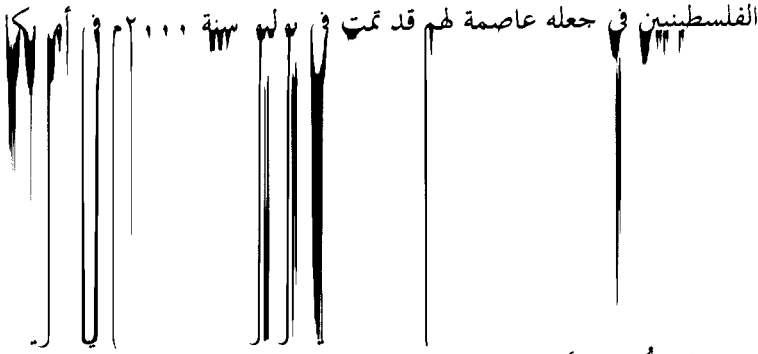
وفي مباحثات كامب ديفيد الأولى في سنة ١٩٧٨م عُرض على العرب ٣٠% من مساحة فلسطين، ورفض العرب، وكان المعروض

المخاوراة تحت إشراف الولايات المتحدة الأمريكية. وفي سنة ١٩٩٣م تم توقيع معاهدة سلام بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية، وبموجبها منحت إسرائيل للفلسطينيين غزّة وأريحا لإقامة حكومة فلسطينية ذات حكم ذاتي. وفي سنة ١٩٩٤م دخل الرئيس الفلسطيني إلى قطاع غزّة واستقبله شعبه استقبالاً حافلاً. وقبل نهاية سنة ١٩٩٥م تسلّم الفلسطينيون ست مدن في الضفة الغربية لإدارتها ذاتياً وكان من بينها مدينة بيت لحم. وقد خرج آخر جندي إسرائيلي من بيت لحم يوم ٢١ ديسمبر سنة ١٩٩٥م، أي قبل احتفالات أعياد الميلاد بالمدينة التاريخية العتيقة بأربعة أيام^(١٩).

وفي يناير سنة ١٩٩٧م وبعد مباحثات مرهقة تم انتزاع ٨٠% من مدينة الخليل من يد الإسرائيليين، وهي آخر مدينة في الضفة الغربية تُضم إلى الحكم الذاتي الفلسطيني قبل أفول القرن العشرين. ويعيش في الخليل ١٠٠,٠٠٠ فلسطيني، بينهم ٤٠٠ يهودي، ولا تتوقف أحداث الشغب بين الجانبين^(٢٠). ولكن ظلّت القدس بشطريها في أيدي اليهود، وكانت أول مباحثات بين الطرفين بخصوص القسم الشرقي منها ورغبة

١٩- كنيسة المهدي في بيت لحم هي من أشهر الأماكن الأثرية في المدينة، بنتها الملكة هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين (٣٢٨ - ٣٣٠م)، فوق الموضع الذي ولد فيه السيد الرب. وفي سنة ١٩٣٤م، قام العالم وليم هارفي بحفائر داخل الكنيسة فوجد تحت أرضيتها أجزاء من أرضية بالموزايكو الملون ترجع إلى عصر الكنيسة التي بنتها الملكة هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين. ووجد في الجانب الشرقي من هذه الأرضية بعض درجات إلى أسفل تؤدي إلى موضع مغارة الميلاد، وهي تقع على عمق ستة أمتار تحت أرضية الكنيسة. وفي هذه المغارة وفي الجانب الشرقي منها توجد حنية Niche مبطنة بالمرمر مثبت فيها نجمة من الفضة الخالصة مضاء حولها ستة عشر قنديلاً مصنوعاً من الفضة، والحنية محاطة بكتابة لاتينية تقول: "هنا ولد يسوع المسيح من العذراء مريم".

٢٠- عن تقرير يعود إلى سنة ١٩٩٨م.



دون التوصل إلى أي نتيجة في هذا الشأن، وهو ما أدى من جديد إلى نشوب انتفاضة شعبية في كل الضفة الغربية وغزة بدأت في سبتمبر من نفس هذه السنة، راح ضحيتها مائة فلسطيني بينهم أطفال أبرياء، عدا مئات الجرحى.

وفي مباحثات كامب ديفيد الثانية في يوليو سنة ٢٠٠٠م عُرض على العرب ٢٢% من مساحة فلسطين، وهو ما يمثل ٩٢% من مساحة الأراضي الفلسطينية المحتلة بعد سنة ١٩٦٧م، ومعظم القدس الشرقية، وعودة مائة ألف لاجئ إلى داخل إسرائيل الحالية، وعودة مليون لاجئ إلى أرض دولة فلسطين المرتقبة، واقتسام المياه، والاعتراف المتبادل بالدولة والحدود. ورفض العرب. وتوترت الأجواء وسرعان ما نشبت انتفاضة شعبية عُرفت "بانتفاضة الأقصى^(٢١)" أعادت القضية إلى نقطة الصفر، وسالت الدماء وكثرت أعداد القتلى والجرحى، وتفاقمت أعداد المشردين، واحتلت إسرائيل معظم مدن الضفة الغربية وقطاع غزة، مستخدمة الدبابات والمدرعات والطائرات ضد شعب أعزل.

وكلما كان الوقت يمضي كانت إسرائيل (٥ مليون) تزداد قوة ويزداد العرب (٢٨٠ مليون) - مع الأسف - ضعفاً وانقساماً. فإسرائيل في الألفية الثالثة صارت أقوى عسكرياً واقتصادياً وتكهن له جأ من العرب

ثانياً: الطوائف المسيحية في القدس

١- الأقباط الأرثوذكس

عاشوا في القدس منذ القرن الرابع الميلادي، وكانت شؤونهم تدار بمعرفة رجال الكنيسة الأنطاكية السريانية، ومنذ سنة ١٢٣٦م أقيم بالقدس أول مطران قبطي ليرعى شؤون الأقباط. ووصل تعداد الأقباط في القدس بحسب إحصائية سنة ١٩٧٥م إلى حوالي ٢٠٠٠ نسمة.

ولالأقباط بالقدس:

- دير السلطان وبه كنيسة، واحدة باسم رئيس الملائكة ميخائيل، والأخرى باسم الأربعة حيوانات غير المتحسدين. ويظن أن المقصود بالسلطان هنا هو السلطان صلاح الدين الأيوبي، وكان الدير بيد الأقباط قبل سقوط المماليك، ويقع بجوار كنيسة القيامة، ومساحته ١٨٠٠ متر مربع. انتزع الدير من الأقباط عندما احتله الرهبان اللاتين إبان الاحتلال الصليبي للقدس، ولكن صلاح الدين أرجعه إليهم بمجرد دخوله القدس. وحدث بسبب ملكيته خلاف طويل بين الأقباط والأقباش وهو الآن بحوزة الرهبان الأقباش.

- دير مار أنطونيوس شمال شرق كنيسة القيامة، وبه كنيسة، واحدة باسم الأنبا أنطونيوس والأخرى باسم الملكة هيلانة.

- دير مار جرجس في حارة الموارنة قرب باب الخليل.

- خان الأقباط للحج، وأنشئ سنة ١٨٣٩م، ويقع في حارة النصارى بين باب الخليل وكنيسة القيامة.

- كنيسة السيدة العذراء بالجسمانية بجبل الزيتون.

- هيكل على جبل الزيتون.

- هيكل صغير على اسم رئيس الملائكة ميخائيل، ملاصق للقبر

المقدس من الجهة الغربية، أقيم سنة ١٥٥٥م.

٢- الروم الأرثوذكس

وهي الطائفة القديمة التي عاشت في القدس منذ ما بعد منتصف القرن الخامس الميلادي، وهم ٢٨ ديراً، و ١٢ كنيسة. ويشكل العرب غالبية أعضائها، وكانوا قبل حرب سنة ١٩٤٨م مائة ألف من بينهم خمسة آلاف يوناني فقط، وأخوية القبر المقدس التي تسهر على الأماكن المقدسة، جميعها تحت إشراف يوناني. ولقد لعب تدفق الحجاج الروس دوراً مهماً في حياة الكنيسة الأرثوذكسية في فلسطين، إذ أقام قرابة عشرة آلاف منهم في المدينة المقدسة دفعة واحدة في غالب الأحيان، ولا يزال يوجد في القدس حتى الآن اثنان من الأديرة الروسية، ويستقبل هذان الديران مبتدئات عربيات.

ويبلغ تعداد الروم الأرثوذكس في القدس طبقاً لإحصائية تعود إلى سنة ١٩٧٥م حوالي ٧٢٥٠٠ نسمة.

وطائفة الروم الأرثوذكس هي الطائفة الوحيدة التي لديها بطريرك يقيم في أورشليم، ويحمل الجنسية اليونانية حتى اليوم. ومن المعروف أن

غضون مجمع نيقية المسكوني الأول سنة ٣٢٥م كان لأورشليم أسقف يمثلها، وقد حضر هذا المجمع، وهو مكاربيوس أسقف أورشليم. وقد دعيت المدينة في القانون السابع لهذا المجمع باسم "إليا" (٣٢). ومن أبرز أساقفة أورشليم هو القدّيس كيرلس الأورشليمي (٣١٥ - ٣٨٦م) الذي أنار العالم المسيحي بعظاته وتعاليمه.

فحتى القرن الخامس الميلادي كانت أورشليم تتبع كنيسة قيصرية، وظل أساقفة أورشليم في غضون هذا القرن يحاولون رفع كرسي أورشليم إلى رتبة بطريكية، لكي لا يظل خاضعاً لمتروبوليت قيصرية. وفي أثناء انعقاد مجمع أفسس المسكوني الثالث سنة ٤٣١م أعلن يوفيناليوس أسقف أورشليم ذلك الأمر صراحة، ولكن البابا كيرلس الأول الإسكندري رئيس المجمع استاء من هذا التصرف معتبراً أنه تصرف مخالف للتقوى، وملغياً لما حدده مجمع نيقية المسكوني الأول. ومع ذلك استطاع الأسقف يوفيناليوس بمساعدة لاون بابا روما أن يتقدم على متروبوليت قيصرية، ويشغل وظيفة نائب رئيس مجمع أفسس، أي أنه كان ثاني البابا كيرلس الكبير نفسه. معلناً أنه يتقدم أيضاً على بطريك أنطاكية ومدعياً أنه الثاني بعد أسقف روما. وإذ رأى الأساقفة هذه التصرفات في المجمع لم يكن أمامهم من وسيلة للاستهجان سوى الصمت.

وفي مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م طال الجدل واشتد حدة وعنفاً حول لمن تكون الأولوية بين كل من يوفيناليوس أسقف أورشليم، ومكسيموس أسقف أنطاكية؟ ومنذ ذلك التاريخ حازت أورشليم على لقب بطريكية أورشليم، ولكن ظلت المجمع المسكونية التالية تحفظ

٢٢- يقول نص القانون: "يكرم أسقف إليا ولكن له المقام الثاني في الكرامة (بعد أسقف قيصرية)".

لأنطاكية أسبقيتها على كرسي أورشليم.



وعندما احتل الصليبيون المدينة المقدسة في القرن الثاني عشر انتقل البطريك وعاش في القسطنطينية ولكن كان ذلك على فترات متقطعة، وبعد ذلك كان البطاركة يعودون إلى أورشليم كلما تحسنت الأحوال، ثم استقروا بصفة نهائية ومستمرّة في أورشليم منذ سنة ١٨٤٥م. ومنذ النصف الأول من القرن السادس عشر كان البطريك يوناني الجنسية دائماً بالرغم من غالبية المؤمنين كانوا ولا زالوا من العرب.

٣- الأحباش الأرثوذكس

جاءوا للقدس بعد القرن الرابع الميلادي، وكان لهم كنائس وأديرة كثيرة أضاعوا أكثرها، ولم يبق بأيديهم سوى كنيسة وديرين. وقد ساءت أحوالهم في القرن التاسع عشر وتناقص عددهم، ولم يبق منهم سوى سبعين شخصاً قبل سنة ١٩٤٨م، ولكن تعدادهم زاد في سنة ١٩٧٥م، إلى قرابة ١٥٥٠ نسمة تقريباً^(٢٣).

٤- السريان الأرثوذكس

جاءوا للقدس منذ القرن الأول للميلاد، وزاد عددهم أيام

٥- الأرمن الأرثوذكس

ويعيشون في القدس منذ أزمنة قديمة، كانوا سنة ١٩٤٥م حوالي خمسة آلاف أرمني، ولهم في القدس ديراً وأربع كنائس، وعدة جمعيات خيرية ودينية كثيرة.

٦- الروم الكاثوليك

أنشأ إيبارشيتهم البطريرك مكسيموس مظلوم سنة ١٩٤٨م، ويقع مقرها في حارة الموارنة، ولهم في القدس نائب بطريركي يتبع الروم الكاثوليك في دمشق. ولهم كنيسة، وتعدادهم قرابة ٨٧,٠٠٠ نسمة طبقاً لإحصائية تعود إلى منتصف السبعينيات من القرن العشرين.

٧- اللاتين

أُنشئت البطريركية اللاتينية سنة ١٨٤٧م، ولهم عدة رهبنة في القدس أنشئ معظمها خلال القرن التاسع عشر^(٢٤)، وتعدادهم في حدود ٨٠,٠٠٠ نسمة.

٢٤- فيما يلي بيان بأهها وتاريخ إنشائها.

الفرنسيسكان (١٢٩١م)، الآباء الكرمليون (١٦٣٦م)، راهبات مار يوسف (١٨٤٨م)، رهبان مار يوسف (١٨٧٩م)، راهبات صهيون، راهبات الكرمل (١٨٧٣م)، رهبان الآباء البيض (١٨٧٨م)، راهبات الوردية (١٨٧٩م)، رهبان السكريه كير (القلب المقدس) (١٨٧٩م)، الدومنيكان (١٨٨٢م)، راهبات مار فرنسيس (١٨٨٤م)، راهبات القديسة كلارا (١٨٨٤م)، راهبات المحبة (١٨٨٦م)، الرهبان الأغسطينيون (١٨٨٧م)، راهبات السجود (١٨٨٨م)، الرهبان العازريون (١٨٩٠م)، الرهبان الترابيست (١٨٩١م)، راهبات مريم الفرنسيات (١٩١٨م)، الرهبان الكيوسيون (١٩٣٥م)، الرهبان اليسوعيون (١٩٢٧م).



لا يُعرف بالتحديد زمن رحيلهم إلى القُدس، وهم يعيشون في دير
باسمهم في حارة الموارنة منذ سنة ١٨٩٥م. وكان تعدادهم سنة ١٩٧٥م
قراءة ٧٣٠٠ نسمة.

الباب الثالث

البطريكيّات البيزنطيّة

الخمسة الحديثة

الفصل الأول

بطريفة روسية

إحصائية عامة

تقطن روسيا مجموعات عرقية كثيرة، فالروس يمثلون ٨٣% من مجموع السكان، وهناك ٤% منهم من التتار، و٣% ذات أصول أوكرانية، والباقي ١٠% أعراق أخرى. واللغة الرئيسية في البلاد هي الروسية، ويتكلمها ٨٧% من السكان، ويتكلم لغة التتار ٣%، واللغة الأوكرانية ١%، وهناك ٩% من مجموع السكان يتكلمون لغات أخرى.

والأرثوذكسية هي الديانة الرئيسية في البلاد، وتوجد طوائف من الكاثوليك والبروتستنت، كما أن هناك ديانات أخرى هي اليهودية والإسلام، والبعض ملحدون.

وتبلغ مساحة روسيا أكثر قليلاً من ١٧ مليون كيلومتر مربع، وبلغ تعداد السكان سنة ٢٠٠٠ حوالي ١٥٧ مليون نسمة، ويتضاعف عدد السكان سنوياً بمعدل ٧%، ويسكن ٧٤% منهم في المدن، ونسبة المتعلمين تبلغ ٩٨% وهي نسبة عالية.

البحر الأسود وبلاد القرم^(١) منذ القرن السابع قبل الميلاد، وأنشأوا هناك مستعمرات مزدهرة. وغزا هذه البلاد غزاة من مختلف الشعوب منهم القوط الألمان في القرن الثالث، والهون الآسيويون في القرن الرابع، والأفار الترك في القرن السادس. وشيد الخازار الترك دولة قويَّة في جنوب روسيا في القرن السابع، وأسس البلغار الشرقيون إمبراطوريتهم في هذه المناطق في القرن الثامن. وفي القرن التاسع استوطنت قبائل السلاف الشرقيَّة غرب روسيا، وأخذوا يوسعون ممتلكاتهم، وهم أسلاف الروس الحاليين. وتنسب الروايات المتناقلة تأسيس الدَّولة الروسيَّة إلى سنة ٨٦٢م.

ففي منتصف القرن التاسع بدأ الاهتمام بقبائل السلاف الشماليَّة التي سكنت في منطقة روسيا الحاليَّة، فاهتم التجار الإسكندنافيون الذين اكتشفوا طريق التجارة مع بغداد عبر نهر الفولجا وبحر كاسبيان، والذي كان يمر على القبائل السلافيَّة في تلك المنطقة بتحويل الروس إلى أمة متحضرة. وساعد الإسكندنافيون بما لهم من حضارة في تأسيس كييف كعاصمة للأمة الروسيَّة في ذلك الوقت. فقد استولى السلافيون الشرقيُّون على "كييف - Kiev" سنة ٨٨٢م، وأصبحت هي عاصمة البلاد حتى سنة ١١٦٩م.

وفي نفس هذا الوقت اهتم البطيريك فوتيوس بطيريك القسطنطينيَّة بإرسال كارزين وإرسال أسقف إلى كييف، ولكن المهمة باءت بالفشل.

١- بلاد القرم هي شبه جزيرة، مساحتها ٢٦ ألف كيلومتر مربع، وسكانها قرابة ٢ مليون نسمة، وتقع جنوب روسيا الأوربيَّة، على الساحل الشمالي للبحر الأسود. وهي أرض زراعية خصبة، كما أنها تحوي ثروة معدنية وصناعية ثقيلة، ضمتها كاترين الثانية لروسيا سنة ١٧٨٣م، فوفد عليها كثير من الروس واليونانيين، واستوطنوا بها، وفي الحرب الروسيَّة الأهليَّة سنة ١٩٢٠م أصبحت الملجأ الأخير للروس البيض. وأعلنت جمهورية سوفييتيَّة مستقلة ذاتياً سنة ١٩٢١م، ثم ألغى هذا الوضع في الحرب العالميَّة الثانيَّة.

واحتياج الأمر إلى قرن آخر من الزمان حتى تدخل روسيا في الإيمان المسيحي.

وفيما بين سنة ٩٤٥م وسنة ٩٦٤م حكمت كييف الأميرة أولجا التي تولّت الحكم بعد وفاة زوجها إيجور. وامتاز حكم الأميرة بالعدل والمساواة. ولما انجذبت للتعاليم المسيحيّة ذهبت بنفسها إلى القسطنطينيّة وتعمّدت بيد البطريرك. وعند عودتها إلى بلادها واجهت مقاومة من أمراء المملكة، وانتهى الأمر أن قام ابنها سافيتوسلاف وعزّلها وتولى الحكم بدلاً منها. وناهض الابن التأثير المسيحي الذي تركته أمه الأميرة أولجا.

تولى الأمير فيلاديمير - حفيد الأميرة أولجا - الحكم سنة ٩٨٠م في كييف، وأرسل رسلاً إلى الكنيسة في ألمانيا والكنيسة في القسطنطينيّة ليختار أياً من الكنيستين. ولما جذبته عظمة الليتورجيا البيزنطيّة، قرر أن يتعمّد حسب الطقس البيزنطي، وتمت معموديّة الأمير فيلاديمير وشعب كييف سنة ٩٨٨م، وهو التاريخ الرسمي لتعميد روسيا. واستمر حكم الأمير فيلاديمير حتى سنة ١٠١٥م حيث امتد الإيمان المسيحي من كييف إلى كل موسكو، وأيضاً إلى نوفوجورد في الشمال، وسيم العديد من الأساقفة الذين كانوا من اليونانيين، واستمر هذا الوضع حتى القرن الخامس عشر حين تم رسامة أول مطران روسي لكييف. وقد عمل الأساقفة ورجال الإكليروس على نشر الإيمان المسيحي في جميع ربوع

الجنوب والشرق دامت حتى سنة ١٤٨٠م، وأكهرها الأمراء الروس على دفع الجزية، وسلبت مدينة كييف ونهبت وتعرضت للدمار، ونال كثير من النبلاء الروس إكليل الشهادة على يد التتار من أجل تمسكهم بيمانهم المسيحي.

وخرجت روسيا من فترة الاحتلال المغولي متغيّرة كل التغيير، ولم يعد من السهل أن تقوم لكييف قائمة بعد كل ما عانته المدينة من سلب ونهب وتدمير سنة ١٢٣٧م، فحلّت محلها في القرن الرابع عشر إمارة موسكو، وكان لأمرء موسكو الفضل في الحث على مقاومة المغول.

وفي سنة ١٥٨١م توغّلت إمارة موسكو العظمى في سيبيريا، وفرض إيفان الرابع حكمه الأوتوقراطي على جميع البلدان التي فتحها، ودعا نفسه بلقب "قيصر جميع الأراضي الروسية".

وفي بداية القرن السابع عشر مرت روسيا وكنيستها بفترة قلائل واضطرابات لعدة عوامل:

- حاولت جماعة البولونيين في لتوانيا، غزو البلاد وتحويلها إلى الديانة الكاثوليكية.
- تعرضت البلاد لعدة كوارث طبيعية.
- ظهور مطالبين كذبة بعرش روسيا.
- حاولت بولندا غزو روسيا كلها، وبالفعل دخلت موسكو، لكنها سرعان ما عادت أدراجها سنة ١٦١٣م.

وفي أواخر هذا القرن اجتاحت روسيا نهضة شاملة امتدت إلى كل نواحي الحياة الكنسية والمدنية أيضاً، وكان من أبرزها النشاط العمراني الذي انتشر في كل مكان.

وفي القرن الثامن عشر تحوّلت روسيا إلى دولة أوروبية عظمى

وخاصة تحت حكم القيصر بطرس الأول (الكبير)^(٢)، وكاترين الثانية، وأصبحت الإمبراطورية الروسية تشمل تقريباً كل المساحة التي كان يشغلها اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية، والتي عُرفت اختصاراً باسم URSS قبل أن يتفكك هذا الاتحاد بدءاً من سنة ١٩٨٥م.

ولقد تعرّضت الكنيسة والرهبنة في زمن بطرس الكبير قيصر روسيا إلى موجة من العنف والاضطهاد، فقد اتجه بطرس ببلاده نحو الغرب، وأنهى ميراث بيزنطة الروحي تحت قوة جذب العلم الحديث القادم من هولندا. فألغيت البطيركية، ونظرت الحكومة إلى الأديرة على أنها شوكة في جسمها يجب اقتلاعها. وأن هؤلاء الرهبان (الكسالي) هم مرض تجعل للفناء، فصدرت الأوامر بعدم قبول رهبان جدد في الأديرة، وحرّم عليهم التعلّم والدراسة. حتى أن أي راهب (مجرم) يُضبط في قلايته قلم أو حبر، كان عقابه أن يدوق ألواناً من التعذيب الجسدي!

واستمرت كاترين الثانية في سياسة سلفها، فأمرت بإغلاق الأديرة كلها في أنحاء الإمبراطورية، وإذا لم يتحقّق لها هذا الأمر تماماً سرت موجة قاسية من الاضطهاد راح ضحيتها كثير من الضحايا الأبرياء. ومع كل ذلك لم تستطع الاضطهادات العنيفة التي تعرضت لها الكنيسة الروسية في

وفي سنة ١٨٥٣م وعلى مدى ثلاث سنوات تالية تواجحت روسيا مع بريطانيا العظمى وفرنسا وتركيا في حرب القرم الشهيرة، وكانت سلسلة الحروب الروسية التركية (١٦٩٦ - ١٨٧٨م) التي أعلنتها روسيا ضد تركيا المتداعية قد حققت لروسيا توسعها العظيم الذي وصل إلى سواحل البحر الأسود، وكان هو الهدف الأول لبطرس الكبير قيصر روسيا، ثم تحول الهدف إلى فتح بلاد القوقاز والسيطرة على دول البلقان المسيحية.

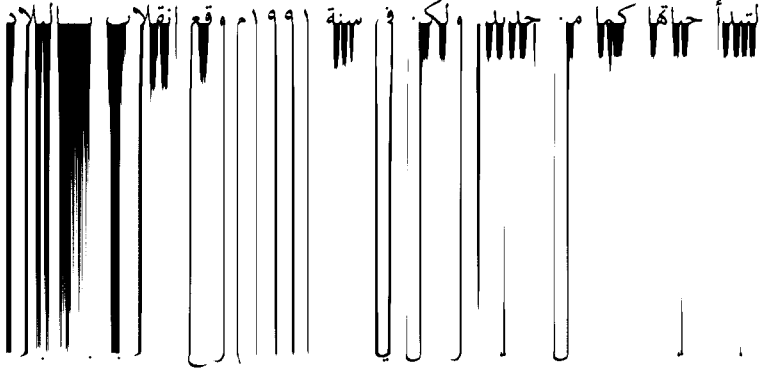
وبينما كانت روسيا القيصرية ترفل في التوسع والرخاوة، وقعت البلاد كلها بدءاً من أكتوبر سنة ١٩١٧م ولمدة سبعين سنة كاملة تحت وطأة الحكم الشيوعي.

وأخذت الدولة السوفيتية الجديدة اسم "جمهورية روسيا الاشتراكية الفيدرالية السوفيتية - RSFSR" (٣). وتعُدّل الاسم إلى اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية، والتي عُرفت اختصاراً باسم URSS.

فنكرت جهود البلاد في محو الدين وتدريس الإلحاد، وكان على المدرسين الذين يرغبون في المشاركة في المستقبل العظيم الذي أوهم به نيكيتا خوروشوف شعبه، أن يزيلوا الخرافات الدينية التي يعتنقها الشعب، وكانت التمثيليات المدرسية تصوّر الكهنة كمجموعة من السذج والحمقى. ومن المدهش حقاً أنه برغم مرور أربع وستين سنة على نشر المعتقدات الشيوعية، لم تذب تلك التي دعواها خرافات دينية، بل ذابت خرافة الشيوعية نفسها كالهشيم أمام نيران محرقة.

ففي سنة ١٩٨٩م بدأت روسيا تخلع عنها ثوب الشيوعية البغيض

٣- انكشئت هذه الجمهورية بظهور جمهوريتي أوزباكستان وتركمانستان سنة ١٩٢٤م، وفي سنة ١٩٢٩م، ظهرت جمهورية تاجاكستان، وفي سنة ١٩٣٦م، ظهرت جمهورية كازاخستان وكيرجيزية Kyrghizie .



قادة الشيوعيون المتشدّدون، وكانوا يهدفون إلى الإطاحة بالرئيس ميخائيل جورباتشوف وإعادة الحكم الشيوعي كسابق عهده، ولكن الرئيس أحبط محاولة الانقلاب الفاشلة، ثم أعلن في ٢٠ أغسطس في نفس هذه السنة تنحيه عن الحكم كآخر رئيس للاتحاد السوفيتي. فكان هذا التاريخ هو التاريخ الرسمي لاحتفال روسيا باختيار الاتحاد السوفيتي.

وأعقب انهيار الاتحاد السوفيتي تطبيق إصلاحات اقتصادية راديكاليّة أدّت إلى تراجع رهيب في مستويات المعيشة وارتفاع معدّل الجريمة وانتشار الفساد، كما خاضت روسيا حربين في الشيشان.

ومع حلول سنة ١٩٩٦م بدأ ظهور قلق الحكومة الروسيّة المتزايد أمام احتمال عودة الحزب الشيوعي للظهور على مسرح السياسيّة الروسيّة مرة أخرى، وفي هذا الشأن أشار ألكسندر باكوفليف رئيس لجنة استعادة حقوق ضحايا القمع السياسي بقوله: "إنه بعد هدم ٤٠,٠٠٠ كنيسة، وأكثر من نصف المساجد والجامع اليهوديّة في البلاد، بالإضافة إلى قتل عدة ملايين من المؤمنين بالرصاص، يبحث الشيوعيون اليوم عن وسيلة لتحسين صورتهم المشوّهة بمحاولة التقرّب إلى الكنيسة، ولكن دون أن يُبدوا أقل مشاعر الندم على ما اقترفوه في حقها مما يدل على

السابع من نوفمبر من كل سنة يوم وفاء ومصالحة.

وفي عبارة لها مغزاها قال رئيس البلاد: ”إن الوقت الذي كنا فيه قوّة عظمى، بينما يعيش الشعب في بؤس كبير قد ولّى“.

روسيا المسيحية

في سنة ٨٦٤م أرسل بطريك القسطنطينية ”فوتبوس“ أسقفاً إلى كييف ليكرز بالمسيحية في روسيا، وكان فوتبوس هو أول بطريك على القسطنطينية يعد لهذا النشاط التبشيري على نطاق واسع بعد أن تحررت الكنيسة البيزنطية من صراعها الطويل مع محاربي الأيقونات، فتمكنت من توجيه طاقتها نحو دعوة السلافيين إلى الإيمان، وهم الذين كانوا يقيمون بمحاذاة الحدود الشمالية والشمالية الغربية للإمبراطورية، وهم المورافيين^(٤)، والبلغار والصرب والروس.

ومن المعروف أن أول ترجمة للكتاب المقدس إلى اللغة السلافية بدأت في سنة ٨٦٤م أو قبلها بقليل على يدي الأخوين كيرلس وميثوديوس. وأن هذا الأخير واصل العمل فيها بعد وفاة كيرلس. وقد قاما بها لفائدة أهل البلقان السلافيين. ويجب التمييز بين هذه الترجمة السلافية وبين الترجمة الموجودة باللغة الروسية الأصلية والتي بدأت أولاً في سنة ١٥١٧م ثم أُعيد تنقيحها في عصور مختلفة، ثم تُرجمت ترجمة حديثة ممتازة نُشرت كاملة لأول مرة في سنة ١٨٧٦م^(٥).

لقد هلك الأسقف الذي أرسله فوتبوس إلى كييف مع الجماعة

٤- تقع مورافيا في نفس مكان تشيكوسلوفاكيا اليوم تقريباً.

٥- دائرة المعارف الكتابية، الجزء الثاني، دار الثقافة، ١٩٩٠م، ص ٣٥٤، ٣٥٥.

المسحّة الـ افقته سنة ٨٧٨م علم يد حاكم كيف. ورغم ذلك ظلّت

روسيا تتعرّض لتبشير مسيحي مكثف قادم إليها من بيزنطة وبلغاريا واسكندنافيا. وفي سنة ٩٤٥م تأسست كنيسة في كييف، واعتنقت الأميرة "أولجا" الدين المسيحي سنة ٩٥٥م. ولكن ابنها سافيتوسلاف رفض المسيحيّة مخافة التعرّض لسخرية رجال البلاط. وفي سنة ٩٨٨م تعمّد فيلاديمير (٩٨٠ - ١٠١٥م) حفيد أولجا، واقرن بأنّا شقيقة إمبراطور بيزنطة، ولكي يقرب روسيا بالأكثر إلى أوروبا، أحضر كهنة من الإمبراطوريّة البيزنطيّة وأسس طغمة من الكهنة تحت رئاسة متروبوليت، وأصبحت الأرثوذكسيّة منذ ذلك التاريخ هي الدين الرسمي لروسيا أي منذ سنة ٩٨٨م.

عمل فيلاديمير بجهد كبير لتنصير مملكته، فأقيمت الكنائس وازدهرت الأديرة. ومنذ البداية كانت اللغة السلافيّة هي لغة العبادة، وتدرجياً أحلّ الإكليروس الروس اللغة اليونانيّة محلها.

وسرعان ما اتّجهت البلاد إلى العناية بالفقراء والمرضى، وكانت الوصيّة التي تركها الأمير فيلاديمير مونوماخوس (١١١٣ - ١١٢٥م) لأبنائه هي "قبل كل شيء، لا تنسوا الفقراء، ساعدوهم بأقصى ما تسمح به إمكانياتكم، أعطوا اليتيم والأرملة...".

الكهوف في كييف، وقد تأسس سنة ١٠٥١م على يد الراهب أنطونيوس^(٦) وتلميذه تيودوسيوس. وصار هذا الدير هو أساس الرهبنة الروسية التي قاومت هجمات التتار فيما بعد. ومع حلول القرن الثاني عشر كان في كييف نفسها سبعة عشر ديراً.

وفي الانفصال الكبير الذي حدث بين الشرق والغرب سنة ١٠٥٤م انحازت روسيا إلى الشرق المسيحي، ولكن الإمبراطورية الكييفية انقسمت إلى إمارات عدة سنة ١١٥٤م، وأدى القتال المستدم بين الأمراء إلى هجرات واسعة النطاق إلى الشمال الشرقي، ولكن كان هناك أمراء يتصفون بروح مسيحية حقيقية، مقتدين بوصية الإنجيل حتى إلى تقلص ذواتهم حتى الموت مثل بوريس، وغليب، ومنهم أيضاً فيلاديمير و تيودوسيوس، وهذا الأخير هو خليفة القديس أنطونيوس مؤسس الرهبنة في كييف، حيث توفي سنة ١٠٧٤م.

وظلت الكنيسة الروسية طيلة فترة ازدهار كييف خاضعة للقسطنطينية حتى سنة ١٢٣٧م حيث كانت "كييف" هي قلب الكنيسة الروسية، وهو تاريخ تدميرها على يد المغول سنة ١٢٣٧م. وحتى سنة ١٢٣٧م كان متروبوليت روسيا من أصل يوناني غالباً.

وفي الوقت الذي كانت فيه مدينة موسكو لا تزال صغيرة ضئيلة الأهمية، قرّر بطرس متروبوليت روسيا (١٣٠٨ - ١٣٢٦م) الإقامة فيها، وظلت موسكو منذ ذلك الحين مقراً لأعلى سلطة دينية في البلاد. وبذلك انتقل مركز المتروبوليت من كييف Kieve إلى موسكو Moscow، وبدءاً من سنة ١٣٢٥م أقام متروبوليت كل روسيا في موسكو.

٦- هو راهب روسي عاش في جبل آتوس، انتقل إلى كييف وأسس لنفسه مغارة بالقرب منها، مهتماً بذلك لتأسيس الدير الكبير بها.

ومن بين أهم الشخصيات العظيمة التي ظهرت في روسيا إبان



الاحتلال المغولي شخصيّة القديس سرجيوس (١٣١٤ - ١٣٩٢م) رئيس دير ردونيج Radonezh . وهو من كبار القديسين الروس، ويمثّل عند الروس ما يمثله القديس أنطونيوس الكبير عند المصريين. وقد دُعي القديس سرجيوس بلقب "باني روسيا"، وشجّع انطلاقة موسكو ومقاومتها للتتار، وشجّع الرهبان على الانطلاق عبر الغابات للخلوة والعبادة. ونتيجة لانتشار خبرته الصوفيّة جعل الحياة الداخليّة لكنيسة روسيا أكثر عمقاً، وبفضل أثره مع زميله جرمانوس، وأثر تلاميذه، كان القرنان الممتدان من سنة ١٣٥٠م إلى سنة ١٥٥٠م، بمثابة العصر الذهبي للروحانيّة الروسيّة، وللفن الروسي الديني، حيث ازدهر رسم الأيقونات. وقد أسّس سرجيوس وجرمانوس أشهر دير في فالامو Valamo على جزيرة في بحيرة لادوجا Ladoga . وأسّس القديس سرجيوس أيضاً دير الثالوث القدوس في سرجيفو Sergievo .

وبعد ٦١ سنة من وفاة سرجيوس سقطت الإمبراطوريّة البيزنطيّة في يد الأتراك، فأخذت روسيا مكان بيزنطة، كحامية للعالم المسيحي البيزنطي، لأن الأتراك كانوا قد استولوا على القسم الأكبر من بلغاريا وبلاد الصرب ورومانيا.

وفي سنة ١٤٤٨م قرّر مجمع الأساقفة الروس انتخاب المتروبوليت

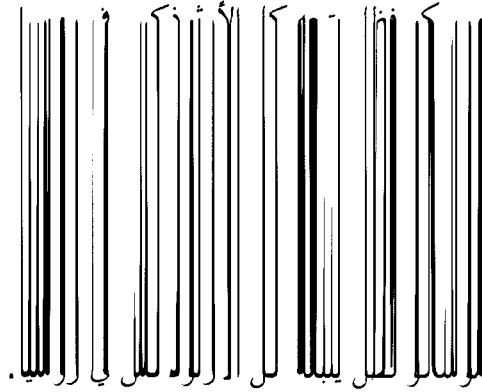
وحتى أوائل القرن السادس عشر كانت الأديرة تملك حوالي ثلثي أراضي روسيا، مما سبّب انقساماً بين مؤيدي هذه الملكيّة وبين معارضيها، ودام النزاع قرابة قرن من الزمان.

وفي أواخر القرن السادس عشر إبان فترة حكم ثيودور (١٥٨٤ - ١٥٩٨م) حققت كنيسة روسيا أمنيته في إقامة بطريك موسكو بموافقة إرميا الثاني بطريك القسطنطينيّة.

وفي سنة ١٥٨٩م، وبرضى بطريك القسطنطينيّة، رقي رئيس الكنيسة الروسيّة من رتبة متروبوليت إلى رتبة بطريك، وكان هو البطريرك يعقوب (١٥٨٩ - ١٦٠٥م)، واحتل بطريك روسيا المرتبة الخامسة في العالم البيزنطي بعد القسطنطينيّة والإسكندريّة وأنطاكية وأورشليم، ولكن قبل بطريركيّة صربيا على الرغم من أنها أقدم من بطريركيّة موسكو.

وتزعّم حركة الإصلاح في داخل الكنيسة الروسيّة سرجيوس رئيس دير الثالوث، وفيلاريت بطريك موسكو (١٦١٩ - ١٦٣٣م)، وأنشئت في موسكو مطبعة بطريركيّة أصدرت كتباً طقسيّة، حتى كانت سنة ١٦٥٠م عندما أصبح من الممكن أن يُقال "روسيا المقدّسة"، فالبلاد بأسرها بدت كأنها "بيت كبير للعبادة"، فهناك مراعاة الصوم، وطول الخدمات الكنسيّة وعظمتها، بل إن مادب القصر كانت مصحوبة بقراءات من حياة القديسين وسيرهم كما في الأديرة.

كانت روسيا في القرن السابع عشر لا تزال دولة وسيطة شبه شرقيّة، وفي سنة ١٦٤١م انفصل جزء من الكنيسة الروسيّة، حين انضوى متروبوليت كييف تحت ضغط وتأثير الغرب، أما متروبوليت (بطريك)



وفي سنة ١٦٥٨م أرجع البطيريك نيكون الليتورجية الروسية إلى الطقوس اليونانية، وإذ رفض بعض من شعب الكنيسة هذا التعديل وأنكره نتج عن ذلك انقسام في الكنيسة برئاسة الأسقف آفاكوم، وأدين أولئك الذين دعوا أنفسهم "المؤمنين الحقيقيين" أمام المجمع المقدس لكنيسة موسكو سنة ١٦٦٦م.

في القرن السابع عشر تعرّضت الكنيسة والرهبنة للاضطهاد، فمنع بطرس الكبير رسامة بطيريك لروسيا، وأحلّ محلّة لجنة مكوّنة من اثني عشر عضواً، بينهم ثلاثة أساقفة، وأصبحت الكنيسة إدارة من إدارات الدولة، واعتُبرت الرهبنة مصدراً للفوضى والعديد من الاضطرابات، فمُنِع إنشاء أي أديرة جديدة بدون الحصول على ترخيص خاص، ومُنِع الرهبان من العيش كنسك، ومنعت النساء من التهرب قبل سن الخمسين. لقد فكّر بطرس الكبير أنه لكي يجعل من روسيا دولة حديثة، فعليه أن يسحق معارضيهِ من الطبقة النبيلة من الأشراف وكبار الموظفين، والكنيسة أيضاً، ويجعل الجميع خداماً مطيعين للدولة.

وعامل خلفاء بطرس الأول الأديرة والكنيسة معاملة أشد،

اللاهوت الروسي والفن والموسيقى للتأثير الغربي، واكتسب اللاهوت الروسي طابعاً علمياً عالياً ولكنه في ذات الوقت تأثر كثيراً بالفكر الغربي، ومع ذلك استمرت الحياة الأرثوذكسيّة العميقة بدون انقطاع، متمثلة في الرهبان والرعاة الحقيقيين.

وكان القرن التاسع عشر بالنسبة للكنيسة الروسيّة فترة نهضة حيث تحرّرت الأرثوذكسيّة سواء في لاهوتها أو روحانيّتها من عقدة تقليد الغرب، وكان لجبل آتوس الدور الرائد في هذا التحرُّر.

وحصلت نهضة رهبانيّة في كل البلاد الروسيّة، وترسّخ وجود الأديرة القائمة كما أمكن إنشاء أديرة جديدة. وفي سنة ١٨١٠م كان يوجد في روسيا ٤٥٢ ديراً، وصل عددها في سنة ١٩١٤م إلى ١٠٢٥ ديراً.

وظهر في القرن التاسع عشر آباء قديسون كان من أهمهم الأب سيرافيم ساروفسكي (١٧٥٩ - ١٨٣٣م) وبعد وفاته تابعت عمله جماعة رهبانيّة في منسك أوبتينو (١٨٢٩ - ١٩٢٣م) عندما أُغلق الدير على يد البلاشفة.

وعلى غرار الأب سيرافيم ساروفسكي توالى عدد من الشيوخ (ستارتز) حملوا عبء الإرشاد الروحي، وامتد نفوذهم الروحي والرعوي ليشمل كل روسيا. لقد أحدثت النهضة الرهبانيّة التي حققها هؤلاء الشيوخ تأثيراً كبيراً في حياة كافة أبناء الشعب الروسي، ومن أبرزهم الأب سلوان، وتلميذه الأب صفروني^(٧).

كما شهدت روسيا في القرن التاسع عشر تجديداً مدهشاً في العمل

التبشيري، وكان هذا النشاط قد تضاءل في القرنين السابع عشر والثامن عشر

لاسيما بعد أن أقدمت كاترين الثانية على إغلاق عدد كبير من الأديرة.

وافُتحت أكاديمية كازان سنة ١٨٤٢م للدراسات التبشيريّة، وقد تُرجم فيها الكتاب المقدس والقُدّاس الإلهي إلى لغات عديدة، ففي ضواحي كازان وحدها كان يُحتفل بالقُدّاس الإلهي بأثنتين وعشرين لغة ولهجة محليّة!.

بلغت الكنيسة الروسيّة في مستهل القرن العشرين قمّة إزدهارها، ولكن الخسائر الجسيمة التي أصابت الجيوش الروسيّة في الحرب العالميّة الأولى سنة ١٩١٤م كانت سبباً في نشوب ثورة فبراير سنة ١٩١٧م التي أسقطت الحكم القيصري، وكانت الثورة الشيوعيّة من العام نفسه. فخضعت البلاد والكنيسة لحكم شيوعي رهيب دام سبعين سنة، فاختفت روسيا القديمة تحت أنقاض الثورة البلشفيّة.

ففي منتصف شهر أغسطس سنة ١٩١٧م وبعد مرور ستة أشهر على تنازل الإمبراطور نيقولا الثاني عن العرش إثر معارضة شعبيّة له، وخلال فترة الحكومة المؤقتة، عُقد في موسكو مجمع لكل الكنيسة الروسيّة استمر منعقداً حتى سبتمبر من العام التالي، ضم ٢٥ عضواً من الأساقفة والإكليروس، و٣١٤ علمانياً. ولكن بحسب القانون الكنسي،

تدك الكرملين، وقد بات من المؤكّد نجاح ثورة البلاشفة بقيادة فلاديمير لينين. وقبل يومين من انتخاب البطريرك الجديد أصبح لينين وأعوانه أسبداً لموسكو وخضعت روسيا للحكم الشيوعي، وقبل إنهاء أعمال المجمع بيومين قُتل فيلاديمير متروبوليت كييف، حيث كان اضطهاد الكنيسة قد بدأ للتو.

كان البلاشفة^(٨) قد استولوا على السلطة في أكتوبر سنة ١٩١٧م، ووجدت الكنيسة الروسية نفسها أمام حكومة شيوعية لا تكفي بمجرد فصل الكنيسة عن الدولة، بل تعمل بصورة مباشرة وغير مباشرة على هدم حياة الكنيسة، وانتراع كل إيمان ديني من أبنائها.

٨- البلشفية والمنشفية هما فرعان رئيسيان في الإشتراكية الروسية الأهلية (١٩١٧ - ١٩٢٠م) وكان حزب العمال الإشتراكي الديموقراطي قد نظم تنظيمًا سرياً سنة ١٨٩٨م، على أساس نظام الخلايا، واعتمد على مبادئ ماركس. وفي مؤتمر سنة ١٩٠٣م، انقسم فريقين: الفريق الأكبر تزعمه لينين وسمى البلاشفة، أي أعضاء الغالبية، ونادى بالقضاء العاجل على النظام القائم في روسيا، وأنشأ نظام "دكتاتورية البروليتارية". أما فريق الأقلية فتزعمه بليخانوف وسمى "المنشفيك" أي أعضاء الأقلية، ونادى أن روسيا لا يمكن أن تنتقل من حالتها المتخلفة مباشرة إلى حكم البروليتاريا، بل لابد من قيام مرحلة انتقالية أولاً هي الديمقرراطية البرجوازية، كما كان الحال في أوروبا الغربية. وفي الحرب العالمية الأولى اتضح الانفصال بين البلاشفة والمنشفيك، ورجوع لينين إلى روسيا سنة ١٩١٧م، نال البلاشفة الأغلبية في مؤتمر الحزب الإشتراكي. وفي سنة ١٩١٨م، انفصلوا نهائياً عن المنشفيك وكونوا الحزب الشيوعي الروسي الذي صفى العناصر الباقية من المنشفيك في خلال سنين قليلة. أما البروليتاريا في النظرية الإشتراكية فهي طبقة العمال الخاضعين للإستغلال الذين يعيشون من أجورهم ويعتمدون في وجودهم على أعمالهم. وفي روما القديمة كان "البروليتاري" هو المواطن الذي لا يملك شيئاً، وليس له دخل مضمون، لذلك اقتصر فائدته للدولة على إيجاب الذرية. وتقول النظرية الماركسية التي فصلها وتوسع فيها "لينين" أن "البروليتاريا" يجب أن تنتزع السلطة من الطبقة الرأسمالية، وبعد فترة من حكم البروليتاريا المطلق (دكتاتورية البروليتاريا)، يجب أن ينشأ مجتمع لا طبقياً.

وكتب ستالين يقول: "لا يمكن للحزب أن يكون محايداً تجاه الدين،



بل سيتابع حملته ضد كل المزايم الدينية". فانتشر تعليم الإلحاد في كل مدرسة، ومع كل أستاذ، وأصبح النشاط محموداً في الدعوة إلى عدم وجود الله، وكان محظوراً على الكنيسة المضطهدة إعداد أي حلقات للنقاش أو الدراسة، فكان كل ما يستطيع الكاهن عمله هو المثابرة على الوعظ في الكنيسة، وحتى هذه أيضاً لم يفلت منها الكهنة الذين اعتقلوا سرّاً وعلانية، وزُج بهم في غياهب السجون والمعتقلات، أو تعرضوا لأنواع شتى من التعذيب.

في سنة ١٩٢٠م ألغيت عطلة الأحد، وحُرم حدّام الشعائر الدينية وعائلاتهم من حقوقهم، وفي سنة ١٩٢٢م نظم ليينين حملة تفتيش للاستيلاء على ممتلكات الكنائس مستتراً وراء زعم إغاثة شعوب الفولجا المنكوبة التي تعرضت لمجاعة رهيبة. فتم تخصيص مليون روبل فقط لشراء المواد الغذائية، بينما تحول الباقي إلى الخارج ليودع في البنوك الأجنبية لحساب رؤساء الحزب، أو لتغطية نفقات الحرب العالمية. وكان مجموع المبالغ التي تم الاستيلاء عليها من ممتلكات الكنائس ٢,٥ مليار روبل ذهبي.

وفي أثناء هذه الحملة استشهد الأب بنيامين مطران بتروجراد Petrograd حيث حُكم عليه بالإعدام رمياً بالرصاص في شهر أغسطس

المسلمون.

لقد كان محظوراً على الكنيسة أن تجهز لأبنائها مكتبة للإطلاع، فالكتب الوحيدة المسموح بها في الكنيسة هي كتب الصلوات الطقسية، وحتى المنشورات الدينية أصبح محظوراً توزيعها على الشعب، وحتى الكتاب المقدس نفسه أصبح غير متوفر في كل مكان.

وفي سنة ١٩٥٦م أُعطي للكنيسة الروسية الإذن ولأول مرة منذ سنة ١٩١٧م بطبع الكتاب المقدس، ولكن بعدد نسخ لا يتجاوز خمسين ألفاً فقط، بيع جزء كبير منها خارج روسيا، ونفذت الطبعة خلال أسابيع، ولم يُطبع غيرها مرة أخرى. وكان قانون البلاد يمنع تعليم الأولاد في حلقات تضم أكثر من ثلاثة أولاد، وكل من يحاول ممارسة التعليم الديني في المدارس كان عقابه حسب القانون الجنائي السجن لمدة اثني عشر شهراً. وكان محظوراً أي تعليم ديني لأي فتى دون الثامنة عشر من عمره. وفي كثير من الأماكن يُمنع الكهنة من مناولة الأطفال والتلاميذ.

وتحوّلت بعض الكنائس إلى "متاحف للدين والإلحاد"، أُقفل الكثير منها اليوم. وفي سنة ١٩٥٤م أُلقيت في الاتحاد السوفيتي أكثر من ١٢٠ ألف محاضرة ضد الدين، وارتفع هذا العدد في سنة ١٩٥٨م إلى ٣٠٠,٠٠٠ محاضرة، وبرغم ذلك كانت الصحافة السوفيتية تبرز باستمرار احتجاجاً على عدم الاهتمام الكافي بالدعاية المضادة للدين.

لقد كانت الشوارع في أعياد الميلاد والفصح تشهد مسيرات معادية للدين، قابلها المارة بسكوت ممل، فكان سكوتهم أبلغ تعبير عن رفض كل رافض لله، ولكن الوقت لم يكن يسمح آنذ بإعلان هذا الرفض. وكل ما سبق ذكره كان بمثابة أساليب غير مباشرة لمحاربة الدين.

أما الاضطهاد المباشر الذي لجأ إليه الشيوعيون، فكان سافراً،

فحدث أن اعتُقل ١٥٠ أسقفاً دفعة واحدة، وخلال عامي ١٩١٨م و١٩١٩م لقي ٢٨ أسقفاً مصرعهم، وخلال سنوات ١٩٢٣م و١٩٢٦م قتل البلاشفة خمسين آخرين. ويقرّر الكتاب الروس المهاجرون أنه منذ سنة ١٩١٧م مات على الأقل ١٢ ألفاً من الكهنة، إما قتلاً أو بسبب سوء المعاملة، أما عدد العلمانيين الذين سُجنوا وانتزعت ملكيتهم وماتوا من أجل الإيمان، فليس بالإمكان معرفة عددهم.

كان أمراً مؤلماً أن تُجبر الكنيسة وتتعهّد بتقديم الدعم الفعلي للسياسة الشيوعيّة ودعايتها داخل البلاد وخارجها. ولكم أثار دهشة الأرثوذكسين في العالم رؤيتهم وسماعهم لبطريركيّة موسكو التي حُمّلت حملاً على الكلام لصالح الشيوعيين، بينما الشيوعيون يدسّون الكنائس ويصلبون كهنتها.

ولقد تحمّل البطريرك تيخون الذي عاصر الشيوعيّة منذ بدايتها الكثير في سبيل فصل الكنيسة عن الدولة برغم المحاولات التي بذلتها الشيوعيّة لاختراق الكنيسة وضربها من الداخل. وإذ يتقن قبل مماته أنه يتعذّر جداً انعقاد مجمع كنسي آخر بمثل الحرّيّة التي عُقد بها سنة ١٩١٧م لكي يتولى من يأتي بعده على السدّة البطريركيّة، أقدم على تعيين ثلاثة

فأرى أنني أخطأت“. وحملت الدولة سرجيوس على تقديم تنازلات مهينة من بينها إشاعة الأنباء غير الصحيحة عن ”الحرية الدينية“، وبالفعل صرَّح سنة ١٩٣٠م لبعض الصحفيين الأجانب أن الاتحاد السوفيتي لم يعرف أنواع الاضطهاد الديني على الإطلاق!

وسرعان ما تشكلت كنيسة روسيا في المنفى^(٩)، ورأسها المتروبوليت ”أنستاسي“، وقد عبَّر عن رأيه بقوله: ”سيشعر أحفادنا بالخجل حين يقارنون في المستقبل بين لغة رؤسائنا الروحيين الحاليين في توجيههم لأصحاب السلطان، وبين اللغة التي توجه بها المسيحيون الأوائل لأباطرة الرومان وممثليهم...“، وبرغم تنازلات سرجيوس فقد استمر تصفية الإكليروس وإغلاق الكنائس.

في يونيو سنة ١٩٤١م وإبان الحرب العالمية الثانية اجتاحت الجيوش الألمانية الحدود الروسية بقيادة هتلر، وكان ذلك في يوم أحد جميع القديسين في روسيا المقدسة، بعد حصار دام ٨٧٢ يوماً احتمل خلاله الشعب الروسي آلاماً رهيبية. وفي سنة ١٩٤٢م وحدها مات أكثر من ٦٥٠,٠٠٠ من أهل ليننجراد^(١٠) وحدها، مات معظمهم من الجوع أو المرض، أو طلقات الرصاص.

ودخل هتلر إلى روسيا دون سابق إنذار، وأعاد الحياة الدينية إلى سابق عهدها، وبمرور سنة على الاحتلال جرى افتتاح ٧٠٨ كنيسة، ولم يتم لروسيا النصر إلا بعد أن تكبدت خسائر كبيرة في الممتلكات والأرواح، وخوفاً من انحياز المزيد من هذه الفئات إلى النازيين رأت

٩- سنشير في نهاية هذا الفصل إلى محاولة راب الصدع، واسترجاع هذه الكنيسة إلى حضن الكنيسة الأم مرة أخرى.

١٠- لننجراد هي المدينة التي تُسمى الآن ”سان بطرسبرج“.

الحكومة السوفييتيّة بعد عامين من اشتعال الحرب، أي في سنة ١٩٤٣م،

أنه من اللائق سياسياً معاملة الكنيسة بالحُسن كما فعل الألمان، فأقدم ستالين (+ ١٩٥٣م) على ملء السدة البطريركيّة التي شغرت منذ وفاة تيوخون سنة ١٩٢٥م، فقابل ثلاثة من أكبر رؤوس الكنيسة الأرثوذكسيّة من بينهم المطران سرجيوس، وكانت تلك أول مرة تتقابل فيها الحكومة السوفييتيّة مع الكنيسة الروسيّة وجهاً لوجه، وأعلنت صحيفة الإزفستيا في اليوم التالي أن الحكومة قد صرّحت بدعوة مجلس لاختيار البطريرك.

وانتُخب سرجيوس بطريركاً سنة ١٩٤٣م بعد أن كان نائباً للقائمقام بين سنتي ١٩٢٥م و١٩٣٦م، ثم قائمقام رسمي منذ سنة ١٩٣٦م، ولكنه إذ كان متقدماً في السن توفي في العام التالي. وانتُخب بعده ألكسي في سنة ١٩٤٥م واقتفى إثر سرجيوس في مبدأ التعايش الذي كان سائداً بين سرجيوس والحكومة.

وفي عهد البطريرك ألكسي انضمت كنيسة روسيا وهي في عمق محنتها إلى مجلس الكنائس العالمي سنة ١٩٦١م^(١١)، وكان لهذا الحدث أهميته في خروج كنيسة روسيا من عزلتها التي ألمت بها عن باقي الكنائس.

١١ - جدير بالذكر أنه في سنة ١٩٦١م، كان الاتحاد السوفييتي يتكون من ١٦

جمهورية أكتوبر ١٩٥٥ جمهورية بوسيا أما الجمهورية التي ألت بها عن باقي الكنائس

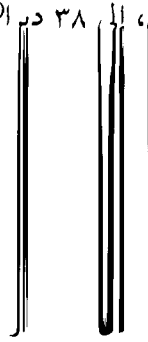
وفي سنة ١٩٦٢م أرسل البطريرك ألكسي بطريفة مفاجئة وغير منتظرة، مراقبين إلى مجمع الفاتيكان الثاني، فتحسنت العلاقات بين الكنيستين الروسية والرومانية الكاثوليكية. وفي سنة ١٩٦٣م احتفل البطريرك ألكسي بيوبيله الكهنوتي الذهبي، وحضر الاحتفال وفد خاص من الكنيسة الكاثوليكية، ومن مجلس الكنائس العالمي، ومن مختلف الكنائس المسيحية. وقبل وفاته بوقت قصير أصدر السنودس قراراً باستقلال الكنيسة الروسية في المهجر في الولايات المتحدة الأمريكية وفي اليابان^(١٢).

في عهد الرئيس خروتشوف، وبالتحديد في سنة ١٩٦٣م بلغت حملة الاضطهاد ضد الكنيسة حداً لا مثيل له، لأن خروتشوف بعد أن اعتبر أن الاشتراكية كمسيرة قد انتصرت، قرّر في سنة ١٩٥٩م إجراء التصفية الحاسمة ليلغي من الوجود أي بقاء للمؤمنين، وهبئاهم. وعلى مدى ثلاث سنوات كان قد أغلق ٢٠,٠٠٠ كنيسة أرثوذكسية، وأبعد ١٤,٠٠٠ كاهن ومُنوعاً من خدمتهم الدينية، ونقصت الأديرة إلى اثني عشر ديراً. وخلال الفترة من سنة ١٩٦٠م إلى سنة ١٩٦٤م أغلقت السلطات أكثر من نصف الكنائس التي كانت لا زالت باقية من مجموع الكنائس التي صودرت.

وفي سنة ١٩٦٦م لم يبق سوى ثلاث مدارس إكليريكية في موسكو وليننجراد وأوديسا، واثني عشر ديراً من أصل ٨٠ ديراً كانت قائمة سنة ١٩٤٧م، وكان عدد الأديرة سنة ١٩١٤م قد بلغ ١٤٩٨ ديراً هبط في

١٢- كانت الكنيستان الروسيان في هذين البلدين تحت سلطة بطريرك روسيا، وقد حُير المؤمنون فيهما بين البقاء تحت سلطة بطريرك موسكو، أو اتباع السلطة المحلية المستقلة فاخاروا الاستقلال.

سنة ١٩٤١م، ٣٨ د (١٣).



وعندما تولى ليونيد بريجينيف السلطة سنة ١٩٦٧م تم تنظيم اضطهاد مستمر يطارد من تبقى من الجماعات المسيحيّة تحت الأرض، وأصبح اضطهاد الكنيسة في السر والعلن.

في أواخر السبعينيّات من القرن العشرين أصبح عدد الكنائس لا يزيد عن ٧٠٠٠ كنيسة في حين كان عددها في منتصف الخمسينيّات يتراوح ما بين ٢٢,٠٠٠ كنيسة، و٢٥,٠٠٠ منها. وكان مجموع الكنائس العاملة في سنة ١٩١٤م ٥٤,٤٥٧ كنيسة، وواضح هنا التدهور السريع في عدد الكنائس.

انتقل البطريرك ألكسي سنة ١٩٧٠م، فانتخب بيمن بطريركاً خلفاً له سنة ١٩٧١م. وظل محافظاً على صيغة التعايش بين الكنيسة والدولة، وهي الصيغة التي وضعها من قبل البطريرك سرجيوس.

وفي أواخر السبعينيّات وأوائل الثمانينيّات وعلى مدى عشر سنوات طُبِعَ ١٣٠ ألف كتاب مقدّس بعهديه، وكذا ١٢٥ ألف عهد جديد.

وكم كانت دهشة السلطات التي لم تكن تصدق عيوفها ولا آذاها، إذ أن طلاباً وطالبات كانوا يتجمعون دهماً لدراسة العقائد والسيدات

أقوال آباء الكنيسة كما لو كانت أقوالهم ورسائلهم تعنيهم شخصياً.

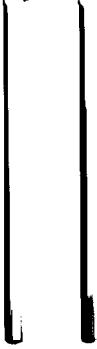
كتبت تاتانيا جورتشيفا تقول: "إننا نكتشف تقاليد تبدو لنا حرية جداً. نحن نقرأ في جماعاتنا عن آباء الكنيسة وندرسها ونعيد نساختها بأيدينا... إننا نكتشف عبر هذا الماضي السحيق وفي إطار الاحتفالات الدينية الأولى، حيناً لا يُعبّر عنه كمصدر حياة وقيامة. ومع أن هذا الشباب اليافع لا يتردد على الكنيسة، فهم يرجعون إليها، لأنهم لم يدخلوها قط، ولا يحتفظون لها بأيّة ذكريات طفولية، إن عائلاتهم صارت ملحدة منذ جيلين على الأقل".

وظلّت الحكومة تتساءل ولا تفهم. كيف حدثت هذه المسيرة الجديدة تماماً للتاريخ والبعيدة عن كل توقعاتها؟ لقد كذّبت الوقائع كل التوقعات.

لقد عبرت كنيسة روسيا وعلى مدى سبعين سنة أتون التجربة، وكم تزكى الإيمان، وكم لمعت صفحة الاستشهاد من أجل المسيح والكنيسة، مضيئة بنور النعمة التي فاضت حيث طغى السيف والنار. إن قصص الإيمان التي جازها الشعب الروسي الأصيل قد ملأت أرجاء المسكونة بعد أن زال كابوس الشيوعية فجأة وبلا مقدمات، كشمعة أمام نار محرقة^(١٤)، وهي تكشف لنا عن أعجب صفحات الكنيسة الروسية التي صمدت واحتملت وتمسكت بمسيحها، وصرخت إليه فسمع صراخها، وخرجت الكنيسة من محتتها أنقى من الذهب المصفى في النار لتتال

١٤- كانت سرعة انهيار الشيوعية مثار استغراب العالم كله، بل روسيا نفسها، وكانت سرعة الأحداث أكبر من ملاحقة وسائل الإعلام لها برغم التقدم الكبير في هذا المجال، وكان الرب أمر بأن تُطفأ النار فأطفئت في الحال، هذه النار الذي لم يكن يُظن أن مياه الطوفان نفسه تكفي لإخمادها.

مكافأة من عبّر الضيقة متمسكاً بالاسم الكريم الذي لربنا يسوع المسيح.



لسنا نشك أبداً أن البيت الروسي كان له الدور البالغ الأهمية في حفظ الإيمان لهذه الأجيال الصاعدة، فكان يُسلم من الأم لأبنائها في صبر وسريّة كاملين، منذ أن يصبح من الممكن بذر بذور الإيمان المسيحي في اللاشعور عند الطفل، قبل أن تتنبّه ملكات العقل لتعقل ما تسمع. وقصّة موسى في العهد القديم دليل واضح على ذلك، فكيف استطاعت أمه في سني سنواته الأولى أن تزرع فيه بذرة الإيمان اليهودي، حتى أن مهاج قصور المصريين وعبادتهم الجذّابة لم تستطع أن تطمس ما وعيه في صدره منذ أن كان صغيراً.

عندما عجزت الكنيسة حيناً عن تلقين الدين لأبنائها الصغار، توّلت كنيسة البيت المهمة بكل اعتناء، ونجحت. كانت جذوة الإيمان لا زالت تومض من داخلها برغم ما توقّعت السلطات الملحدة التي ظلّت أمّا استطاعت أن تطفئ لهيبها بسيل من الدمار والدماء، ولم تكن تدري أنّها بذلك تزيدها توهجاً وضياءً.

في سنة ١٩٨٧م انهار النظام الشيوعي في روسيا، وبدأت روسيا تستعد للاحتفال بمرور ألف عام على دخول المسيحية إلى روسيا وتعميد الشعب الروسي. ألكسندر الثاني في سنة ١٨٨٨م مع فلاديمير أمبروسيوس، وشانكت

وفي سنة ١٩٨٨م أعيد افتتاح ٧٢٣ كنيسة في الاتحاد السوفيتي، وتلقّت الكنيسة تصريحاُ بفتتاح ٤ معاهد لاهوتية جديدة، واحتفلت روسيا احتفالاً بهيماً بدخول المسيحية إليها منذ عشرة قرون خلت، وحضر الاحتفال كثير من بطاركة الكنائس في أنحاء العالم، أو مندوبون عنها، وكان قداسة البابا شنودة الثالث بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية من بين البطاركة الذين شاركوا في هذا الاحتفال.

ولأول مرة يُسمح في الاتحاد السوفيتي بإنشاء محطة إذاعة مسيحية تبث البرامج الدينية في روسيا. وخصّص التلفزيون الروسي لأول مرة برنامجاً جديداً يسمى "أفكار حول الأبديات" وهو يلي مباشرة نشرة الأخبار المسائية ولمدة عشر دقائق.

كان الرئيس السوفيتي ميخائيل جورباتشوف الذي تولى الحكم في سنة ١٩٨٥م - وهو نائب رئيس المخابرات الروسية سابقاً، وعضو اللجنة التنفيذية للحزب الشيوعي - واضع بذرة النهاية للشيوعية، مؤيداً بقوة علوية، وكأنه يعيد بالحرف الواحد قصة الملك كورش ملك فارس كما نقرأها في الكتاب المقدس في سفر عزرا، فكان أداة استخدمتها السماء لتغيير وجه العالم.

في عيد أول مايو سنة ١٩٩٠م بدأ الاستعراض الرسمي المعتاد لإبراز قوة إتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية، والذي يضم الدبّابات والصواريخ والقوّات، وهم يجيئون صفوة الحزب الشيوعي. وفجأة اندفعت حشود ضخمة من المحتجين، وهم يهتفون أمام ميخائيل جورباتشوف: "الخبز! ... الحرية! ... الحقيقة!".

وما أن مرَّ هذا الحشد مباشرة أمام القائد السوفيتي الواقف في منصة

الشرف، حج قام كاهن. أرثوذكس برفع صليب ثقيل على كتفه باتجاه

السماء، ارتفاعه ثمانية أقدام، وسأل كاهنا آخر بجواره: هل هو مستقيم أيها الأب؟ فرد عليه: نعم، إنه مستقيم. وبرز الصليب من بين الحشد. وما أن حدث ذلك حتى حجبت صورة يسوع المسيح بريق اللوحة العملاقة التي تصور وجوه كارل ماركس وفريدريك أنجلز، وفيلاديمير لينين التي كانت تشكل خلفية منصة جورباتشوف التي يشرف منها على الاستعراض. وهتف أحد الكاهنين بصوته العميق الذي غطى على هدير المحتجين، وشق طريقه مباشرة إلى القائد السوفيتي الغاضب: "يا ميخائيل سيرجيفيتس، يا ميخائيل سيرجيفيتس، المسيح قام!". وفي ظرف شهر قليلة بعد هذا الاحتفال الأخير بالأول من مايو، تفكك الاتحاد السوفيتي رسمياً. فالمسيح بالحقيقة قد قام، وهو يبني كنيسته.

وفي نفس هذا الشهر (مايو ١٩٩٠م) انتقل إلى السماء غبطة البطيرك ييمن بطيرك موسكو وكل روسيا بعد أن قضى عشرين عاماً في رئاسة الكنيسة، عاصر خلالها أشد أنواع العسف في علاقات الكنيسة بالدولة.

وفي ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٩٠م صدر تشريع جديد ينهي سياسة تعليم الإلحاد في المدارس حيث وافق مجلس السوفيت الأعلى بأغلبية ٣٤١ صوتاً مقابل صوت واحد معلناً أن كل الأديان متساوية أمام القانون، وحرّم

وقال أيضاً في مجلس نواب الشعب الروسي في يناير سنة ١٩٩٢م: "الكنيسة الروسية ليس لديها أي مطمع في أن تعود المسيحية دين الدولة في روسيا (كما كان في عهد القيصرية)".

وقال أيضاً في تصريح هو الأول من نوعه: "إن كل أحاديّة دينية مثيرة للاضطراب في مجتمع متعدّد الأديان".

وقال أيضاً وهو يناهز بالكنيسة عن التورط في أي عمل سياسي: "إنه من قصر النظر أن يرى المرء العمل الأبدي للكنيسة وهو صنع السلام، وقد دخل فيه العمل السياسي".

وفي سنة ١٩٩٢م بدء في طبع ونشر مجلة فيستنيك Vestnik أي "حامل الرسالة - Le messenger" في روسيا علناً، وهي مجلة كانت تُنشر في باريس منذ سنة ١٩٢٥م باللغة الروسية، وكانت تُرسل سراً إلى الاتحاد السوفيتي متضمنة العديد من المقالات والأبحاث المسيحية اللاهوتية والروحية والتاريخية، ليقرأها المسيحيون وراء الستار الحديدي الذي حرّمهم من كل غذاء روحي. وكان يصدرها من فرنسا جمعية تُدعى "جمعية العمل المسيحي للطلبة الروس - Action Chrétienne des étudiants Russes". وقد وجّه البطريرك ألكسي الثاني رسالة إلى رئيس تحرير المجلة "نيكيئا ستروف" الأستاذ بجامعة باريس يحميه فيها على العمل الذي أجزته المجلة خلال ما يقرب من سبعين عاماً.

وإزاء المحنة السياسية التي مرّت بها البلاد في سنة ١٩٩٣م والتي تصاعدت بين مؤيدي الديمقراطية ومؤيدي الحكم الشيوعي السابق، وقفت الكنيسة موقفاً مشرفاً محايداً، فلم تنضم لحزب دون آخر. وفي حديث صحفي لأحد المراسلين قال البطريرك ألكسي الثاني: "إن رسالة الكنيسة على الأرض هي أن تقود رعيتها إلى الخلاص

وإلى ملكوت السّموات، وإلى الكمال الروحي والأخلاق تحت آية

ظروف وفي ظل أي شكل سياسي للدّولة“.

ولقد أكسب هذا الموقف المحدّد احترام الجميع للكنيسة ولرجالها.

ثم أصبحت الديانة المسيحيّة من جديد هي الديانة الرسميّة للدّولة، والكنيسة الآن تشهد حركة روحيّة عميقة هي ثمرة احتمال آلام واضطهاد دامت سبعة عقود.

وفي مايو سنة ١٩٩٥م طفا على السطح الخلاف الذي ثار بين الكنيسة الروسيّة الأرثوذكسيّة وبين الكنيسة الكاثوليكيّة التي استفادت من الأوضاع السائدة في البلاد إبان خروج البلاد منهكة من فترة الحكم الشيوعي باقتصاد متدهور، لتجذب الشباب الروسي الأرثوذكسي إلى الكتلّة، حيث صرّح البطريرك ألكسي الثاني في جنيف:
”إن الكنيسة الروسيّة الأرثوذكسيّة بذلت كل ما بوسعها لتظهر نواياها الحسنة ورغبتها في التعاون مع الكنيسة الكاثوليكيّة“.

وأضاف أنه يأمل بشدة أن تزول الصعاب الباقية سريعاً، ولكن ظل الخلاف قائماً خصوصاً في أوكرانيا الغربيّة حيث تم طرد المسيحيين الأرثوذكس من كنائسهم، وأيضاً في بولندا.

ساعات إرسال في التليفزيون“.

وفي هذا الصدد قال ”كونراد رايسر“ سكرتير عام مجلس الكنائس العالمي: إن مجلس الكنائس العالمي يرفض عملية اجتذاب الأعضاء من الكنائس الأخرى Proselytism وأكد أننا دائماً نساند خدمة وشهادة الكنيسة المحليّة كاستعلان للكنيسة كلها في منطقتها.

وجدير بالذكر أن الكنيسة الروسية الأرثوذكسيّة هي أكبر عضو في مجلس الكنائس العالمي، وفي اتحاد الكنائس الأوربيّة، وهي أيضاً أكبر كنيسة أرثوذكسيّة في العالم.

وفي حديث للبطريرك ألكسي الثاني سنة ١٩٩٥م مع قادة الكنائس العالميين في جنيف، أشار إلى النمو الواضح والملموس للكنيسة الروسيّة الأرثوذكسيّة منذ نهاية الاتحاد السوفيتي سنة ١٩٩١م، إذ تضاعف عدد الكنائس إلى ١٤٠٠ كنيسة، وتم افتتاح ١٣ معهد إكليريكي منذ سنة ١٩٩١م، وأعيدت حوالي ١٨ حياة رهبانيّة في ٣٢٣ ديراً، وبُعد في إعادة بناء كاتدرائيّة المسيح المخلص في موسكو، والتي تتكلّف حسب التقارير الصحفيّة حوالي ١٥٠ مليون دولاراً أمريكياً، وذلك برغم الصعوبات الاقتصادية الموجودة. ويضيف البطريرك ألكسي الثاني: ”نحن الآن نقيم ١٢٠٠٠ كنيسة، والمال اللازم لبناء كاتدرائيّة المسيح المخلص يأتي إلينا من كل أنحاء روسيا، ولم نطلب أي اعتمادات ماليّة من الحكومة أو من مدينة موسكو“.

ويضيف البطريرك ألكسي الثاني: ”إنه منذ توقف الشيوعيّة، فإن الكنيسة بدأت في ممارسة العمل الاجتماعي وتقديم خدمة روحيّة في صفوف الجيش، وخدمة للمساجين، وخدمة في التعليم الديني، وبذل

جهود السلام في الشيشان^(١٥)، وفي باقي مناطق الاتحاد السوفيتي (سابقاً)

التي تعاني من الاضطرابات .

تقرير يرصد ضحايا النظام الشيوعي السابق بالأرقام

ولقد أصدر ألكسندر ياكوفليف Alexandre Iakovlev رئيس لجنة استعادة حقوق ضحايا القمع السياسي، أصدر بياناً خلال مؤتمر صحفي عقده في روسيا أوجز فيه بالأرقام ضحايا النظام الشيوعي السابق، جاء فيه: "تم إعدام نحو ٢٠٠,٠٠٠ شخص من رجال الإكليروس تحت وطأة النظام السوفيتي في الفترة ما بين عامي ١٩١٧م و١٩٨٠م، وقراية ٥٠٠,٠٠٠ آخرين ألقوا في السجون، وأرسلوا إلى معسكرات جولاغ". وقال البيان: "إن رجال الدين هم أكثر من استهدفوا لعمليات القتل، والتي نفذت بطرق وحشيّة حيث صُلب بعض الكهنة، وعُلقوا على أبواب كنائسهم، والبعض أُعدم رمياً بالرصاص، والبعض الآخر ماتوا شنقاً، في حين أُلقي بعدد آخر منهم أحياء في مجاري المياه الثلجيّة، حيث تجمّدت جثثهم، وتحوّلت إلى تماثيل من الثلج. على أن أعمال العنف والقمع قد بلغت ذروتها في نهاية الثلاثينيّات من هذا القرن، ففي سنة ١٩٣٧م، تم القبض على ١٣٦,٩٠٠ شخص من بين رجال الدين، وُرُجَّ

إعدام ٢١,٥٠٠ آخرين“.

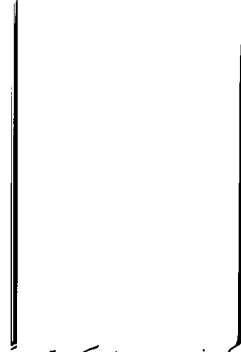
ويؤكد التّقرير على ”أنه حتى الوقت الذي سمح فيه ستالين جزئياً بإعادة تشكيل البنية الكنسيّة خلال الحرب العالميّة الثانية، كان يقتل سنوياً أكثر من مائة كاهن“. واعترف التقرير أيضاً بأن حدّة الاضطهاد قد هدأت قليلاً فيما بعد، إلاّ أنه لم يتوقّف تماماً سوى في نهاية الثمانينيات. وأوضح البيان أن الرئيس الروسي يلتسين بصدد إصدار قرار يقضي بإعادة جميع أماكن العبادة القديمة المغتصبة إلى الكنيسة الأرثوذكسيّة وباقي الطوائف الأخرى. وهو ما حدث بالفعل.

في أكتوبر سنة ١٩٩٨م طلبت روسيا من السوق الأوروبيّة المشتركة مساعدات إنسانيّة تتمثّل في معونات غذائيّة، لأن روسيا قبل انهيار الروبل في أغسطس من نفس هذا العام كانت تستورد ثلث احتياجاتها من الطعام من الخارج. وفي محاولة لطمأنة الشعب الروسي أعلنت الحكومة الروسيّة أنه يوجد لديها طعام يكفي للشقاء القادم باستخدام المقايضة مع روسيا البيضاء وأوكرانيا!.

إيبارشيّة موسكو

توجد في إيبارشيّة موسكو وحدها ١٩٧ كنيسة داخل المدينة نفسها. وبعد سقوط الحكم الشيوعي في روسيا كانت الخدمات الكنسيّة لا تتم إلاّ في ١٣٢ كنيسة منها فقط حتى أمكن إخلاء باقي الكنائس من شاغليها القدامى. وفي الكرملين وحده توجد سبع كنائس، أعيدت بكاملها إلى الكنيسة الروسيّة في نوفمبر سنة ١٩٩٢م، بالإضافة إلى ٢٣ كنيسة قائمة في ٤ أديرة افتتحت في المدينة. وتعداد سكان المدينة حوالى ٨ ملايين نسمة.

وتدار شؤون إيبارشيّة موسكو بواسطة مجلس كهنة الإيبارشيّة



المكون من ١٠ كهنة يعين منهم البطريرك ثلاثة، ويُنتخب الباقون بالاقتراع السري، ويجتمع هذا المجلس بانتظام مرة كل شهر على الأقل ليعاون البطريرك في خدمة رعاية وإدارة الإيبارشيّة.

هجرة المثقفين الروس إلى الغرب صارت كرازة بالأرثوذكسيّة

من جرّاء الثورة الشيوعيّة في البلاد سنة ١٩١٧م هاجرت مجموعة كبيرة من نخبة المثقفين الروس إلى أوروبا وأمريكا، وكونوا جالية روسيّة كبيرة. وقد أحسوا بأنهم قد تشتتوا عن بلادهم بقصد أن تكون لهم رسالة تجاه كنائس الغرب، أي أن يبشّروهم بالأرثوذكسيّة في عمقها وجمالها وصفاء تعاليمها المستقاة من الإنجيل وتعاليم آباء الكنيسة بأعظم تعبير.

ولقد أثمر هذا العمل الكرازي الذي حمّله هؤلاء المهاجرون الروس على أعناقهم تحت وطأة الاضطهاد الشيوعي في بلادهم، فصار للأرثوذكسيّة صوت قوي وحضور مؤثّر في الجامعات والمعاهد اللاهوتيّة الغربيّة، وتأثير في الأفكار والعلوم اللاهوتيّة في الكنائس الغربيّة، مما جذب إلى الكنيسة الأرثوذكسيّة رجالاً عظماء مثل الأب ليف جيليه

قال عنه البروفيسور ياروسلاف بيليكان ”كان أكثر من أي إنسان آخر - فيما خلا والدي الراحل - هو الذي علّمني أن أنشد لحن اللاهوت^(١٦) ... إنه صديقي العزيز ومعلمي ... وهو آخر معلمي والشخص الذي أنا أدين له بالكثير“.

وقد خلف فلوروفسكي في عمادة معهد القديس فيلاديمير اللاهوتي الأرثوذكسي الشهير الأب ألكسندر شيمان (+ ١٩٨٣م)، الذي قال في سنة ١٩٧٥م في محاضرة إفتتاح العام الدراسي: ”إن أصعب شئ عليّ أن أقوله عن البروفيسور بيليكان هو: لماذا هو ليس أرثوذكسياً حتى الآن؟“.

وكان البروفيسور بيليكان صديقاً للأب ألكسندر شيمان، وجون مايندورف الأستاذ المعروف بالمعهد.

فمن هو البروفيسور ياروسلاف بيليكان، ذلك الصيد الثمين الذي اصطادته شبك الأرثوذكسية؟ إن اهتمام الكنائس الأرثوذكسية بهذا الرجل يرجع إلى رسالته التي قدمها لنوال درجة الماجستير المكوّنة من خمسة مجلدات عن ”التقليد المسيحي“^(١٧)، وهو شرح نمو العقيدة. وهذه المجلدات تحوي رسداً تاريخياً أميناً ودقيقاً لمراحل نمو العقيدة المسيحية منذ حياة السيد المسيح قم القرون الخمسة الأولى وما بعدها، دونما تحيُّز أو انحياز لطائفته التي نشأ فيها وهي اللوثرية والتي أعلن من على منبرها لأعضاء طائفته في نيوهافن في مارس سنة ١٩٩٨م انضمامه إلى الكنيسة

١٦- لحن اللاهوت هو أحد كتب البروفيسور ياروسلاف بيليكان، وقد أهدها إلى الأب جورج فلوروفسكي أول عميد لمعهد سانت فلاديمير.

١٧- وصف البروفيسور مارك أ. نول Mark A. Noll أستاذ التاريخ في كلية ديتون بأنه كتاب ”عن تاريخ التقليد المسيحي علي درجة لم يبلغها أحد آخر في القرن العشرين“. وكان بيليكان قد ألّف ٣٢ كتاباً، بالإضافة إلى مئات المقالات اللاهوتية والتاريخية.

الكنيسة الأرثوذكسية خارج روسيا

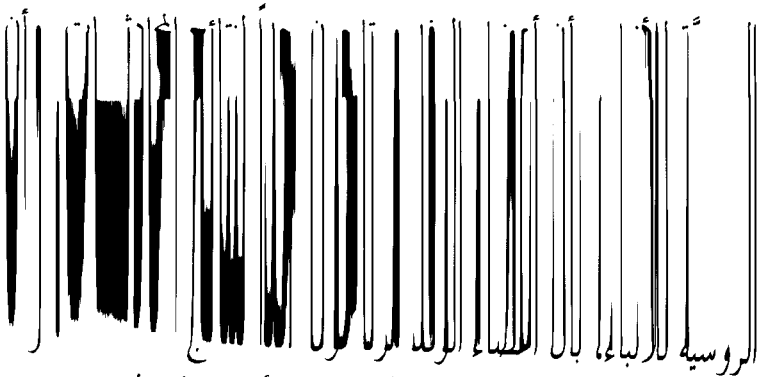
بعد قيام الثورة البلشفية (الشيوعية) في روسيا سنة ١٩١٧م انشقت عن رئاسة الكنيسة الروسية في موسكو بعض الكنائس الروسية خارج روسيا بمطاراتها وأساقفتها بعد أن لاحظت خضوع الكنيسة الأم للزعماء السياسيين الشيوعيين، كما سبق أن أشرنا في بداية هذا الفصل. وقد تراشق الطرفان بالحرومات. وحدثت قطيعة بين الطرفين.

وقد اجتهد البطريرك أليكسي بعد إقامته بطريركاً سنة ١٩٩١م بمحاولة رأب الصدع الذي حدث، فبعث برسالة ودية إلى هذه الكنائس يدعوه إلى الرجوع عن انفصالها بعد أن اثمار النظام الشيوعي على يد جورباتشوف، وعادت للكنيسة الروسية حريتها.

وبعد ١٢ سنة من توجيه هذه الدعوة استجاب رؤساء هذه الكنيسة خارج روسيا لنداء البطريرك أليكسي، حيث عبر الطرفان عن رغبتهما في تأسيس شركة صلاة وشركة إفخارستيا. واتفقا على تشكيل لجان تسهّل حل المشاكل المتراكمة على مدى السنين.

وفي نوفمبر سنة ٢٠٠٣م رأس البطريرك أليكسي رئيس الكنيسة الروسية الأرثوذكسية اجتماعاً مع وفد ينوب عن "الكنيسة الأرثوذكسية خارج روسيا"، وذلك في المقر البطريركي في دير القديس دانيال. وقد حضر الاجتماع أعضاء الجمع المقدس الدائم للكنيسة الروسية، مع سكرتير العلاقات الخارجية في الكنيسة الروسية.

وقد عبر أعضاء وفد الكنيسة الروسية خارج روسيا عن ارتياحهم الكامل للمحادثات التي تمت مع الرئاسة البطريركية في موسكو. وقد صرّح ممثل مندوبين، وهو كبير الكهنة بيتر هولودني لوكالة نوفوستي



المحادثات كانت تدور بروح من المحبة والفهم الأحموي المتبادل.

وقد استمرت الزيارة الرسميّة للوفد القادم من خارج روسيا ستة أيام (١٧-٢٢ نوفمبر) حيث تقابل أيضاً مع الرئيس الروسي بوتين، كما زار الأديرة الروسيّة، وبعض الكنائس الروسيّة.

وفي اليوم الثاني من المحادثات صرّح رئيس الأساقفة مارك، وهو أحد أعضاء الوفد القادم من خارج روسيا، قائلاً: "إننا لا نريد أن نسترجع ثانية ولا أن نكرر تلك التصريحات والأحاديث العدائيّة السابقة".

وتقرّر في هذه المحادثات أن تكون زيارة رئيس مجمع أساقفة الكنيسة الروسيّة خارج روسيا المتربوليت لافروس إلى موسكو في أوائل سنة ٢٠٠٤م. وهي الزيارة التي سيتم فيها توقيع اتفاق بين الطرفين تحدّد فيه الأسس القانونيّة والرعوويّة والعملية للوحدة داخل الكنيسة الروسيّة سواء في روسيا ذاتها أو في خارجها.

فمباركة هذه الخطوة التاريخيّة في حياة الكنيسة الروسيّة لاستعادة الوحدة بين أعضاء هذه الكنيسة العظيمة المجاهدة^(٢٠).

وُلد الأب صفروني سنة ١٨٩٦م في موسكو من عائلة متوسطة الحال. وبعد دراسته فن الرسم ترك روسيا سنة ١٩٢١م ليستقر في باريس وليلمع نجمه هناك في الصالونات الأدبية. وإذ استرعت انتباهه الأفكار الروحانية للأديان الشرقية الآسيوية، وكان ما يزال شاباً حديث السن، ترك الأرثوذكسية لينضم إلى هذه الحركات. وحوالي سنة ١٩٢٤م عاد إلى الكنيسة، وسرعان ما انضم إلى معهد القديس سرجيوس اللاهوتي بباريس، ليحضر دراساته التمهيديّة.

وإذ أحسّ بمحاخته إلى التغيير الجذري الشامل، رحل في سنة ١٩٢٥م إلى جبل آثوس باليونان. وهناك التحق بالدير الروسي المسمى على اسم القديس بندلاييمون، حيث قدّم نذوره الرهبانية. وفي هذا الدير اتخذ لنفسه أباً ومرشداً روحياً هو الأب سلوانس المعروف في كل العالم، وهو راهب بسيط من أصل ريفي، وقد أعلنت قداسته سنة ١٩٨٧م. وإذ صار تلميذاً للأب سلوان كان يعاونه كتلميذ وسكرتير له. وحين تنيح الأب سلوان سنة ١٩٣٨م بدأ صفروني بجمع أوراق معلمه ومذكراته، ثم اعتزل بعد ذلك كناسك متوحد في مغارة بجبل آثوس لمدة سبع سنوات، عاش في خلالها في ظروف صعبة بسبب الحرب العالميّة التي كانت دائرة آنذاك. وبعد ذلك اختير الأب صفروني ليكون كاهناً وأباً روحياً للدير اليوناني بالجبل والمسمى على اسم القديس بولس.

وبسبب الاضطرابات السياسيّة في اليونان بعد الحرب، ولرغبته في نشر كتابات الأب سلوان التي في حوزته، عاد صفروني إلى باريس سنة ١٩٤٧م. وقد كتب مقدمة طويلة لهذه الكتابات ليُظهر القيمة الروحيّة المنطوية على هذه الكتابات. وقد أصدر الطبعة الأولى بالروسية في العام

التالي تحت عنوان: "الستار تز^(٢١) سلوان". ثم صدرت ككتاب مطبوع

على آلة الطباعة سنة ١٩٥٢م، ثم صدرت طبعة بالفرنسيّة سنة ١٩٦٩م من دير السيسترسيان في بيلفونتين بفرنسا. ثم صدرت ترجمات بالإنجليزيّة والألمانيّة والعربيّة واليونانيّة والإيطاليّة والصربيّة لهذا الكتاب.

وكان من نتيجة الجهود الذي بذله الأب صفروني في إخراج هذه الترجمات أن تأذى في صحته، وأُجريت له عمليّة جراحية، مما منعه من التفكير بأي حال للعودة إلى جبل آتوس. وقد التف حوله نواة صغيرة من التلاميذ مما جعله يفكر في تأسيس دير. وانتهى به الأمر سنة ١٩٥٩م إلى تحويل كنيسة أنجليكانيّة صغيرة في إنجلترا في قرية إسكس (على بعد ٨٠ كيلو متراً من لندن) إلى دير أسماه على اسم القديس يوحنا المعمدان، بدأ بأربعة رهبان، تزايد عددهم حتى بلغ قبل وفاته ٢٥ راهباً، و١٥ راهبة في دير خاص بهن. وكلهم جنسيات مختلفة. وفي سنة ١٩٨٨م، تكرّست في الدير كنيسة على اسم الأب سلوان، تزينت بلوحات حائطيّة بريشة الأب صفروني وتلاميذه.

وفي سنة ١٩٧٤م (وكان قد بلغ الثامنة والسبعين) اعتزل رئاسته للدير لكنه استمر حتى اللحظة الأخيرة يرشد الجماعة باعتباره الأب الروحاني لها، ويستقبل الزوار والحجاج بأعداد كبيرة فأصبح كالأب

الفصل الثاني

بطريكة صربيا

جمهورية صربيا هي واحدة من الجمهوريات الست التي تتكوّن منها يوغوسلافيا، بمقتضى دستور سنة ١٩٤٦م، وهي صربيا، وكرواتيا، وسلوفينيا، والبوسنة والهرسك، ومقدونية، والجبل الأسود (مونتيجرو).

في التاريخ

الاسم القديم ليوغوسلافيا هو "مملكة الصربيين والكرواتيين والسلوفيين"، وهي المملكة التي أُعلنت في سنة ١٩١٨م في نهاية الحرب العالمية الأولى، وقد حوت هذه المملكة الأقاليم الستة السابق ذكرها، ونودي ببطرس الأول ملك صربيا ملكاً عليها.

إن تاريخ يوغوسلافيا هو واحد من أحفل التواريخ بالحروب والمآسي في القارة الأوروبية، فقد خسرت يوغوسلافيا في الحرب العالمية الأولى مليون نسمة بين مدنيين وعسكريين، أي خمس سكانها تقريباً آنئذ، مات الكثيرون منهم بسبب الجوع أو المرض.

وهي بلد من أكثر بلدان أوروبا تعقيداً، فبجانب احتوائها على ست جمهوريات، فهي تحتوي على مجموعات عرقية كثيرة تربو على ١٥ أصل

ومجموع السكان بلغ حوالي ١٨ مليون نسمة سنة ٢٠٠٠م، يتضاعف كل ١١٦ سنة، حيث يبلغ معدل زيادة السكان ٦% ويسكن ٤٦% من السكان في المدن، ونسبة المتعلمين تبلغ ٩٠%.

ويتألف الشعب اليوغوسلافي من صربيين ٤٣%، وكرواتيين ٣٤%، وسلوفينيين ٧%، ومقدونيين ٧%، وتتألف البقية ٩% من مجر وإيطاليين وبعض أقليات أخرى. ويعتق حوالي ٤٩% من مجموع سكان البلاد المذهب الأرثوذكسي، و٣٧% المذهب الكاثوليكي (كرواتيون وسلوفينيون)، و١١% الإسلام.

وفي سنة ١٩٤١م قامت القوات الألمانية والهنغارية والإيطالية والبلغارية بغزو يوغوسلافيا، فهرب الملك بطرس الثاني إلى خارج البلاد، فقسمت الجمهوريات بين الغزاة. غير أن بعض الكتائب الوطنية بقيادة الجنرال ميخايلفتش والمارشال تيتو ناصبت القوات المحتلة حرباً عواناً، بيد أن حرباً أهلية بدأت سنة ١٩٤٣م، بين أنصار الزعيمين المتنافسين، وتم النصر للمارشال تيتو. وفي سنة ١٩٤٤م انضمت قوات الاتحاد السوفيتي والحلفاء إلى تيتو، وطردهوا الألمان من البلاد فصار تيتو رئيساً لمجلس الوزراء سنة ١٩٤٥م، ومن ثم خلع الملك وحول يوغوسلافيا إلى دولة شيوعية.

وكانت النتيجة أن قطعت العلاقات بين يوغوسلافيا والفاشيكان سنة ١٩٤٦م. وانفصل تيتو عن تبعية روسيا في سنة ١٩٤٨م، وأبرمت يوغوسلافيا مع تركيا واليونان معاهدة عسكرية دفاعية سنة ١٩٥٤م، ورفضت يوغوسلافيا الاعتراف بزعامه روسيا السوفيتية، وأقامت نظاماً شيوعياً خاصاً بها. وظل الوضع قائماً حتى موت تيتو في سنة ١٩٨٠م.

بانهيار الشيوعية في الاتحاد السوفيتي سنة ١٩٨٥م انهارت جمهورية

يوغوسلافيا، وحاولت كل دولة الاستقلال بذاتها. وفي سنة ١٩٩١م

ظهرت نزاعات بين ممثلي مقاطعات يوغوسلافيا بشأن مستقبل البلاد. فالكروات والسلافيون يريدون حكومة كونفدراليّة^(١) أكثر مرونة، أما الصرب والجبل الأسود فيريدون حكومة مركزيّة، بينما يفضّل شعب البوسنة والهرسك ومعهم المقدونيّون تسوية، وبعد إخفاق المباحثات بدأت حرب أهليّة شرسة. وقد تدخلت هيئة الأمم المتحدة لوقف القتال، وبرغم صدور قرار وقف إطلاق النار إلّا أن القتال استمر حتى أغسطس سنة ١٩٩٦م.

وإن ما يُعرف اليوم باسم "يوغوسلافيا الفيدراليّة" هو في الحقيقة دولة يوغوسلافيا التي نشأت بعد انفصال كرواتيا وسلوفينيا سنة ١٩٩١م وسنة ١٩٩٢م، وهي تشمل صربيا، ومقدونيا، والبوسنا والهرسك، والجبل الأسود (مونتيجرو). وفيما يلي نوجز تاريخ كل جمهوريّة من الجمهوريات التي كانت تكون دولة يوغوسلافيا.

الجمهوريات التي تكوّن دولة يوغوسلافيا

١- صربيا

تحتل الجزء الشرقي من يوغوسلافيا القديمة وسكانها حوالي ٧ مليون نسمة، وعاصمتها بلجراد وهي ذات تاريخ يعود إلى ألف عام تقريباً.

الخصيب، ومعظم السكان يشتغلون بالزراعة، ويتميز الصربيون عن الكرواتيون والسلفونيون الشديدي القرابة إليهم بارتباطهم التاريخي بالكنيسة الأرثوذكسية الشرقية، وسنعود إلى تفصيلات أكثر عنها.

بلغت صربيا ذروة اتساعها تحت حكم الملك ستيفن دوشان في القرن الرابع عشر، حيث توج قيصرًا على الصرب ورومانيا الحاليّة، وازدهرت النهضة الأدبيّة الصربيّة بعد عهده.

بعد موت ستيفن دوشان تدهورت صربيا، تعرّضت لهجمات الأتراك العثمانيين الذين أوقعوا بها هزيمة فاصلة سنة ١٣٨٩م، وفرضوا عليها الجزية، ثم ضمّوها إلى سلطنتهم سنة ١٤٥٩م فصارت صربيا ولاية تركية. وكان الحكم التركي في صربيا أكثر ضيماً منه في سائر الولايات التركية الأخرى.

وفي سنة ١٨٢٨م أكرهت روسيا السلطان التركي على الاعتراف بصربيا إمارة خاضعة لسيطرته الشكلية فقط. وبمساندة روسيا أخذت صربيا تظفر رويداً رويداً بالاستقلال وبزعامة الشعوب السلافية في البلقان. وفي سنة ١٨٦٧م، جلت آخر الكتابات التركية عن صربيا، ومنح الأمير ميلان البلاد سنة ١٨٦٩م دستوراً حراً. وأيد ثورة البوسنة والهرسك ضد الحكم التركي وأعلن سنة ١٨٧٦م الحرب على تركيا. واعترف مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨م باستقلال صربيا.

وفي سنة ١٨٨٢م نادى الأمير ميلان بنفسه ملكاً على صربيا، وأدى ضم البوسنة والهرسك إلى ازدياد التوتر بينها وبين صربيا.

ونشبت الحرب العالمية الأولى بسبب فلاح صغير عمره ١٩ سنة، واسمه جبريل برنشيب، من صربيا، ينتمي إلى منظمة "اليد السوداء"،

والتي قرّرت مقاومة الاحتلال النمساوي لبلادهم. وكان أن قتل جبريل

برنشيبي ولي عهد النمسا فرانتس فردناند برصاصتين في يوليو سنة ١٩١٤م في سراييفو. فأعلنت النمسا الحرب على الصرب، وعلى روسيا، وانضمت إليها ألمانيا. فأعلنت فرنسا وبريطانيا واليابان الحرب على ألمانيا... وأعلنت الدولة العثمانيّة الحرب على روسيا... واقتسمت بريطانيا وفرنسا الإمبراطوريّة العثمانيّة، وفرضت بريطانيا حمايتها على مصر... واشتعلت النيران في كل الدّنيا، ومات في الحرب العالميّة الأولى تسعة ملايين نسمة. وخلفت الحرب من ورائها كل النزعات الوطنيّة المتطرّفة، مثل الفاشيّة في إيطاليا، والنازيّة في ألمانيا، والشيوعيّة في روسيا، حيث برز الاتحاد السوفيتي نموذجاً للحركات الشيوعيّة في العالم. كما خلّفت أيضاً تطوير صناعة الحرب وأسلحة الدمار بأشكالها الجديدة الذريّة والهيدروجينيّة والبيولوجيّة والكيميائيّة.

في سنة ١٩١٧م أعلن مؤتمر الشعوب السلافيّة الجنوبيّة اتحاد صربيا وكرواتيا وسلوفينيا والجبل الأسود تحت راية الملك بطرس الأول ملك صربيا. واتخذت هذه الدولة فيما بعد اسم "يوغوسلافيا". وبعد الحرب العالميّة الثانية جعل الدستور اليوغوسلافي صربيا إحدى جمهوريات الاتحاد الذي يكون يوغوسلافيا. وسلخ عنه مقدونية والجبل الأسود والبوسنة والهرسك.

وكانت الحرب العالميّة الثانية التي راح ضحيتها تسعون مليون

للحرب العالمية الأولى في بداية القرن العشرين، وفيها عبر القرن العشرين على بحر من الدماء، بدءاً من سرايفو، وانتهاءً بـكوسوفا. وفي ظل حكم الدكتاتور الشيوعي سلوبودان ميلوسيفيتش^(٢) الذي ترأس البلاد لمدة ١٣ عاماً نشبت خلالها أربعة حروب أدت إلى تحجيم صربيا لتصبح دولة فقيرة منبوذة دولياً. وفي سبتمبر سنة ٢٠٠٠م تلقى الدكتاتور الشيوعي هزيمة انتخابية على يدي الديمقراطي الشاب فويسلاف كوستونيتشا، الذي صار رئيساً للبلاد، فانهى بذلك عصر الحكم المستبد للدكتاتور المهزوم. وفي مارس سنة ٢٠٠١م نُقل ميلوسيفيتش إلى سجن بلجراد المركزي بعد حصار لمزله دام ٣٦ ساعة، ثم جرى ترحيله إلى لاهاي حيث محكمة العدل الدولية، ليحاكم باعتباره مجرم حرب. فشهدت المنطقة هدوءاً لم تعهده كثيراً من قبل، وهي من أكثر المناطق انعداماً للاستقرار على مستوى العالم.

٢ - كرواتيا

تحتل الجزء الشمالي الغربي من يوغوسلافيا سابقاً، وسكانها حوالي ٤ مليون نسمة، ومساحتها حوالي ٦٠% من مساحة صربيا. نزل بها الكرواتيون والسلافيون الذين اعتنقوا المسيحية في القرن التاسع، وبسبب اعتناقهم المذهب الكاثوليكي انفصلوا عن جرائهم الصربيين الذي يؤلفون هم أيضاً أقلية في كرواتيا. وأصبحت كرواتيا مملكة منذ القرن العاشر، ارتبطت في القرن الثاني عشر بالبحر حتى آخر القرن السابع عشر عندما خضعت كرواتيا للحكم التركي. وفي أوائل القرن التاسع عشر كانت مقاطعة خاضعة لنابليون، واتخذت موقفاً عدائياً من ثورة المجر سنة

٢- من مواليد سنة ١٩٤١م، وصار رئيس الحزب الاشتراكي في بلغراد سنة ١٩٨٤م، ورئيس الحزب الاشتراكي الصربي سنة ١٩٨٧م، ورئيس جمهورية صربيا سنة ١٩٨٩م، ورئيس جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية (صربيا ومونتينيغرو) سنة ١٩٩٧م.

١٨٤٨م فأُلغى استقلالها الذاتي سنة ١٨٤٩م، ولكنها في سنة ١٨٦٨م

توصّلت إلى اتفاق مع النمسا، فاتحدت مع سلافونيا، وأصبحت مستقلة ذاتياً، وتابعة للعرش النمساوي. وفي سنة ١٩١٨م اتحدت مع صربيا وكونتا "مملكة الصرب والكرواتيين والسلوفينيين"، غزاها الألمان سنة ١٩٤١م وأعلنوا استقلال كرواتيا تحت حكم زعيمهم الكرواتي الدكتاتور أنتي بافليش. وبعد انتصار الحلفاء في الحرب العالميّة الثانيّة نص الدستور اليوغوسلافي الجديد سنة ١٩٤٦م على أن كرواتيا هي إحدى الجمهوريات الشعبيّة الست التي تؤلف يوغوسلافيا.

٣- سلوفينيا

تحتل الجزء الشمالي الغربي من يوغوسلافيا السابقة، وتتاخم النمسا شمالاً وإيطاليا غرباً. عاصمتها ليوبليانا، وسكانها حوالي ٢ مليون نسمة، ومساحتها أقل من ربع مساحة صربيا. وأغلب سكانها من السلوفانيين، وهم من الرومان الكاثوليك. قُسمت في الحرب العالميّة الثانية بين ألمانيا وإيطاليا والنمسا، وحصلت على استقلالها بقيادة المارشال تيتو سنة ١٩٤٥م.

وهم من الصرب والكروات ويدينون بالإسلام والكاثوليكية والأرثوذكسية.

أقام الصرب بالبوسنة في القرن السابع، ولكنها صارت بلاداً مستقلة حيناً من الزمن في القرن الثاني عشر، ثم اعترفت بسيادة المجر عليها. وفي أواخر القرن الرابع عشر أصبحت مرة أخرى مملكة مستقلة. ثم ضُمت الهرسك إلى صربيا. وكان النزاع الديني بين الكاثوليك والأرثوذكس فيها قد أضعفها كثيراً. وفي سنة ١٤٦٣م استولى عليها الأتراك وأسلم النبلاء وكثير من السكان. وفي أواخر القرن التاسع عشر وُضعت تحت إدارة النمسا والمجر. وفي الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨م، ضُمت صربيا والبوسنا والهرسك، وجعل الدستور اليوغوسلافي سنة ١٩٤٦م الإقليم جمهورية من الجمهوريات الشعبية يوغوسلافيا.

وبعد تفكك الاتحاد السوفيتي والتهيار الشيوعية نشبت حرب شرسة بين صربيا والبوسنة والهرسك، لإخضاع هذه الأخيرة التي طالبت بالاستقلال، وتعرضت البوسنة والهرسك لكل أنواع القهر والإذلال دون جدوى حتى أعلنت البوسنا والهرسك جمهورية مستقلة يرأسها رئيس مسلم هو عزت بيجوفيتش في سبتمبر سنة ١٩٩٦م ضمن مجلس رئاسي يضم ثلاثة أعضاء، واحد من البوسنة والهرسك، والآخر من صرب البوسنا، والثالث من الكروات.

٥- مقدونية

ينقسم هذا الإقليم من الناحية السياسية إلى مقدونية اليونانية، وعاصمتها سالونيك، وجمهورية مقدونية اليوغوسلافية التي تتمتع بالحكم الذاتي، وعاصمتها سكوبلي، ومقدونية البلغارية.

وتقع مقدونيا جنوب شرق أوروبا، وسطحها جبلي تسوده المراعي

والمزارع. أما جمهوريّة مقدونية اليوغوسلافيّة فعدد سكانها ١,٥ مليون

نسمة، وهم أقل قليلاً من سكان مقدونية اليونانيّة، وأكثر من سكان مقدونية البلغاريّة الذين يبلغون ربع مليون نسمة فقط.

وكانت مقدونية في العصور الوسطى خاضعة للأباطرة البيزنطيين، وكان حكمهم لها مضطرباً، فكانت فريسة باستمرار للغزاة وخاصة البلغار. فتحها ستيفن دوشان ملك صربيا في القرن الرابع عشر، وبعد موته فتحها الأتراك، وصارت مقدونية رقعة خليطاً من الأديان والقوميات، من المسيحيين والمسلمين واليهود، ومن الصرب والبلغار واليونانيين. وحينما أخذت الإمبراطوريّة العثمانيّة في التفكك في القرن التاسع عشر ادّعت كل من اليونان وصربيا وبلغاريا حقها في تملكها، ولكن مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨م أعاد الحكم التركي المباشر لها. فتكونت منظمات سرّيّة إرهابيّة للعمل على تحرير مقدونيا من نير الأتراك بتأييد بلغاريا التي ظفرت بنصيب كبير من مقدونيا سنة ١٩١٢م في حرب البلقان الأولى، ولكن بلغاريا هزمت في حرب البلقان الثانية سنة ١٩١٣م، بواسطة اليونان وصربيا، وحصلتا على حدودهما الحالية تقريباً. ووقعت مقدونية في الحرب العالميّة الثانية في قبضة البلغار فترة قصيرة (١٩٤١ - ١٩٤٤م) لكن معاهدة الصلح سنة ١٩٤٧م أعادت الحدود السابقة.

والجبل الأسود جمهورية مستقلةً ذاتياً، ووسطحها جبلي والوصول إليها عسير. بها غابات ومزارع وتربي فيها الأغنام والماعز. وأهل الجبل الأسود هم من الصرب، ويعتق معظمهم المذهب الأرثوذكسي. وكان الجبل الأسود ملاذاً للأشراف الصربيين الذين هربوا من النير التركي. وقاوم سكان الجبل لمدة خمسة قرون جميع محاولات الترك لإخضاعهم. وفي النصف الأول من القرن الثامن عشر بدأ التحالف بين روسيا والجبل الأسود إبان حكم دنيلو الأول سنة ١٧١٥م. وحكم دنيلو الثاني (١٨٥١ - ١٨٦٠م) وجعل الحكم علمانياً في الإمارة، ونقل واجباته ووظيفته الدينية ليد رئيس أساقفة. وظفر خلفه نيقولا بالاعتراف باستقلال الجبل الأسود سنة ١٨٧٨م، ونادى بنفسه ملكاً سنة ١٩١٠م.

احتلت القوات الألمانية النمساوية الجبل (١٩١٥ - ١٩١٨م)، وفي سنة ١٩١٨م اتحد الجبل الأسود مع صربيا، ولكن بعض الأراضي الساحلية حصلت على الحكم الذاتي بمقتضى الدستور الجديد لجمهورية يوغوسلافيا سنة ١٩٤٦م.

والآن وبعد هذه المقدمة التي لا بد منها نعود للحديث عن كنيسة صربيا، وهي الكنيسة الأرثوذكسية التي تقع في جمهورية صربيا.

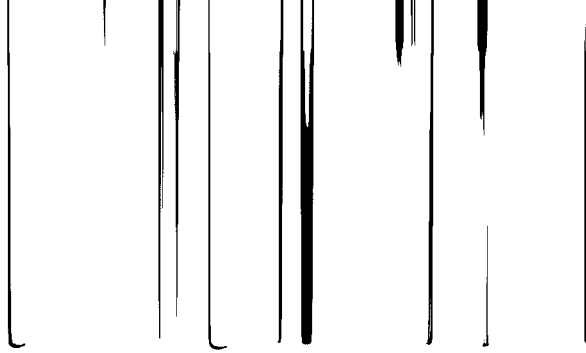
كنيسة صربيا

قدّم الصربيون من إقليم جاليسيا^(٣) الحالي واستقروا في شبه جزيرة

٣- هناك إقليمان باسم جاليسيا:

الأول: منطقة تقع شمال غرب أسبانيا، مساحتها حوالي ٢٨,٥ كيلومتر مربع، ويسكنها حوالي ٣ مليون نسمة، وهي تقع شمال البرتغال. وهي بلاد جبلية عموماً، ويشغل سكانها بصيد السمك وتربية المواشي، والزراعة. ومن أهم مدنها سانتياجو

الملقان^(٤) في القرنين السادس والسابع، وفي القرن التاسع اعتنقت صربيا



المسيحيّة، وخضعت لسيادة الإمبراطوريّة البيزنطيّة. وقد اختار فوتيوس بطريك القسطنطينيّة شقيقين يونانيين من تسالونيكي هما قسطنطين^(٥) (٨٢٦ - ٨٦٩م)، وأخيه ميثوديوس (٨١٥ - ٨٨٥م)، وأرسلهما للكراسة فتمكنا من تبشير السلافيين من المورافيين والبلغار والصرب والروس.

وقصد تلاميذ ميثوديوس إلى بلاد الصرب حيث كان الأمير "موتيمير - Mutimir" (٨٦٠ - ٨٩١م) قد اعتنق المسيحيّة في نهاية القرن التاسع تقريباً، فأصبحت المسيحيّة هي الديانة الرسميّة للبلاد.

وكانت صربيا تابعة للإمبراطوريّة البيزنطيّة، فأدخلت الصيغ والألقاب البيزنطيّة في البلاط الصربي، واتبعت قواعد الدبلوماسية البيزنطيّة، كما أن الجيش الصربي كان يمنح أفراده أراضي ليعيشوا منها

دي كوموستيلا. ولللهجة الجاليسية - القريبة من اللغة البرتغالية - ماضي أدبي عظيم. الثاني: هو أحد مستعمرات التاج النمساوي سابقاً، وهو جزء من أوكرانيا حالياً، وآل إلى بولندا سنة ١٣٦٦م، وإلى النمسا سنة ١٧٧٢م، وتمتع سكانه البولنديون بقدر محدود من الحكم الذاتي خلال السنوات ١٨٦١ - ١٩١٨م. وكان من ميادين القتال في الحرب العالمية الأولى. وقع في أيدي البولنديين سنة ١٩٢١م، ومنحته بولندا لروسيا سنة ١٩٤٥م، ومن هذه المستعمرة قدم الصربيون وسكنوا صربيا.

٤ شبه جزيرة الملقان هي شبه جزيرة كبرية جنوب شرق أوروبا، بين البحر

كما في النظام البيزنطي. وتأسست في صربيا أسرة حاكمة في القرن الثاني عشر على يد ستيفان نيمانيا Nemanija الذي استقل سنة ١١٨٠م عن الإمبراطوريّة البيزنطيّة، وتكونت مملكة مستقلة تماماً سنة ١٢١٧م.

بعد فترة من التردد بين كنيسة القسطنطينيّة وكنيسة روما حذت كنيسة صربيا الممتدة عبر منطقة وسطى بين الشرق والغرب حذو كنيسة بلغاريا، وتبعت كنيسة القسطنطينيّة في بداية القرن الثالث عشر، وأدخلت كتب الطقوس السلافونيّة إلى هناك، فانتشرت الثقافة السلافونيّة البيزنطيّة. لقد أنثرت بيزنطة في الفن الصربي، فالكنائس اتبعت أسلوب كنائس سالونيك وأديرة جبل آثوس فخلت من التماثيل، وكانت الأيقونات مرسومة على الخشب المغطى بالذهب والفضة، وكان الأدب الصربي يعتمد على بيزنطة. وبالرغم من كل ذلك، فإن العداوة والخلاف كان متبادلاً بين الصرب والبيزنطيين.

حظت كنيسة صربيا باستقلال جزئي من عهد كبير قديسيها الوطنيين وهو القديس سابا (١١٧٦ - ١٢٣٥م) الذي سيم رئيساً لأساقفتها بواسطة البطريرك المسكوبي في نيقيا سنة ١٢١٩م، فأصبحت كنيسة صربيا منذ ذلك الحين كنيسة تحكم نفسها حكماً ذاتياً. وتحولت كنيسة صربيا سنة ١٣٤٦م إلى بطريركيّة مستقلة حصلت على اعتراف كنيسة القسطنطينيّة سنة ١٣٧٥م مع كل من بلغاريا ورومانيا.

وبلغت صربيا شأواً عظيماً في القرن الرابع عشر، ولكن سرعان ما وقعت تحت سلطة الأتراك العثمانيين فصارت ولاية تركيّة سنة ١٤٥٩م، وبالتالي فقدت كنيسة صربيا استقلالها تدريجياً. ففي إبان فترة حكم العثمانيين كانت كنيسة صربيا تحت تأثير طاع لبطريركيّة القسطنطينيّة حتى سنة ١٧٦٦م حين أصبحت صربيا تتبع البطريرك المسكوبي مباشرة، وتلاشى بالتالي تأثير البطريرك الصربي ونفوذه في كنيسته. ولكن في

القسطنطينيّة، تقبّلت
 التسعة عشر، فتمّ انحسار
 السلطة التركيّة، تقلصت

البطريركيّة القسطنطينيّة ولم تعد البلدان التي تحررت من النير التركي تريد الاستمرار في خضوعها كنسياً لسلطة بطريرك مقيم في العاصمة التركيّة، وملتزم بالنظام السياسي التركي.

رحلت تركيا عن صربيا سنة ١٨٦٧م، وصار للبلاد دستوراً حراً سنة ١٨٦٩م، واعترف باستقلال صربيا رسمياً سنة ١٨٧٨م، وفي السنة التالية مباشرة أي سنة ١٨٧٩م استعادت كنيسة صربيا سيادتها.

وفي العصر الحديث استعادت كنيسة صربيا حكمها الذاتي مرة أخرى سنة ١٩٢٠م، وانتقل مقر البطريرك إلى بلجراد، وكان سابقاً في بيك Péc. وبعد أن أصبحت صربيا ضمن الجمهوريات الست التي تكون جمهورية يوغوسلافيا الشيوعيّة سنة ١٩٤٦م أصبحت كنيسة صربيا من بين الكنائس الموجودة في البلدان الشيوعيّة، فعرضت لقدر كبير من الصعوبات الداخليّة، ولم يتوفر بها العدد الكافي من المرشحين للكهنوت. ونقص عدد المقبلين على الرهبنة من الشباب، بينما شهدت البلاد هفظة في الحياة الرهبانيّة لدى النساء. وقد تحسن هذا الوضع بشكل ملحوظ في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات، وقد حاولت الدولة إضعاف الكنيسة عن طريق التجزئة. وفي سنة ١٩٦٧م انشئت كنيسة مستقلة في مقدونيا رغم معارضة البطريرك الصربي.

وشهد أواخر القرن العشرين حرباً رهيبه بين صربيا والبوسنة والهرسك، اقتصرت فيها الصربيون من الأعمال الوحشية ما تقشعر له الأبدان، مما حدا بالبطيريك بولس الأول رئيس الكنيسة الأرثوذكسية في صربيا سنة ١٩٩٣م أن صرّح بجملة "دوجا - Doga" الشهيرة التي تصدر في صربيا قائلاً: "إن الصربيين الذين ارتكبوا الجرائم ضد الإنسانية هم وحوش". وأكد أن الكنيسة تدين الجرائم أياً كانت هوية الشعب الذي ارتكبها.

ورداً عن سؤال وُجّه للبطيريك الصربي بشأن تقييمه للقاءات المختلفة التي تمت بين المسؤولين في الطوائف الكاثوليكية والأرثوذكسية والإسلامية في يوغوسلافيا السابقة في نهاية سنة ١٩٩٢م أبدى البطيريك التعاطف واحتفظ بالتفاؤل قائلاً: "حتى ولو كانت مساهمتنا لم تقدم سوى قيد أتملة في اتجاه السلام، وإنهاء المواجهات الدامية، إلا أنني سأظل دائماً إلى جانب تلك اللقاءات، وهذا هو واجبي".

ولم تهدأ نيران الحرب وما جرّته على البلاد من ويلات إلا في ديسمبر سنة ١٩٩٥م، بعد تدخل أمريكي بدعم من قوات حلف شمال الأطلسي، مجبرة أطراف النزاع على الاتفاق على إنهاء القتال، وإيقاف الحرب التي تسببت في تشريد ٢,٥ مليون لاجئ، و١٥٠ ألف قتيل.

وفي سبتمبر سنة ١٩٩٨م تعرض الانفصاليون من أصول ألبانية في إقليم كوسوفا لعدوان شرس من القوات الصربية، بغية تصفية عرقية للإقليم، وقد راح ضحية هذه الحرب آلاف المسيحيين الألبان. ولم تتوقف الحرب إلا بعد تدخل حلف شمال الأطلسي، فعرّضت صربيا لتدمير واسع النطاق في كثير من منشآتها الحيوية، حتى رضخت وانسحبت من كوسوفا. فهرب كثير من الصرب (الأرثوذكسيين) من الإقليم بعد أن انقلب عليهم الألبان الذين عادوا إلى ديارهم بمساعدة

حلف الناتو (حلف شمال الأطلسي). وفي أواخر سنة ١٩٩٨م كان قد

تشرّد قرابة نصف مليون نسمة في هذه الحرب عدا عشرات الآلاف من القتلى. وأكثفت أمريكا بتقديم معونة قدرها ٢٣ مليون دولار في شهر سبتمبر من هذه السنة للمتضرّرين الألبان من هذه الحرب الشرسة.

وفي يونيو سنة ١٩٩٩م غادر رئيس الكنيسة الأرثوذكسيّة بصربيا قداسة البطريرك بولس الأول^(٦) بلجراد متوجّهاً إلى كوسوفا (عاصمتها بريشتينا) لإقامة طويلة فيها، لكي يشدّد الشعب الصربي الموجود بها، والذي يعاني ألوان العذاب، ويحضه على البقاء في المقاطعة، وألاً يهجر الأماكن المقدسة التي تمتلكها الكنيسة الأرثوذكسيّة الصربيّة^(٧). وتوسّط البطريرك لدى السلطات الصربيّة وجميع المسؤولين الكبار في القوات الدوليّة بكوسوفا، من أجل حماية الشعب الصربي وكل مقدساته. وقد خاطب البطريرك الشعب الصربي قائلاً: "إذا بارحنا كلنا كوسوفا، فسوف يتحمل كل واحد منا مسؤوليّة ضياع المقاطعة وفقدانها"، وأقام البطريرك في دير بيك Péc الواقع غرب كوسوفا، وهو المقر التاريخي لكرسي البطريركيّة الصربيّة^(٨).

٦- شغل البطريركيّة بولس الأول الذي بلغ من العمر ٨٨ عاماً في سنة ١٩٩٩م، منصب أسقف إيارشية كوسوفا على مدى ٣٤ سنة متتالية، وذلك قبل اختياره ليصبح رئيساً للكنيسة الأرثوذكسية الصربية سنة ١٩٩١م. وكان قد تعرض لمحاولة

الفصل الثالث

بطريفة رومانيا

تقع رومانيا جنوب شرق أوروبا، وعاصمتها بوخارست، ويحدها شرقاً البحر الأسود وأوكرانيا ومولدافيا الروسية، وشمالاً أوكرانيا وهنغاريا^(١)، وغرباً يوغوسلافيا، وجنوباً بلغاريا.

إحصائية عامة

يسكن رومانيا مجموعات عرقية، الغالبية العظمى منها رومانية الأصل، حيث تمثل نسبة ٨٨% من مجموع السكان، إلى جانب ٨% من أصول مجرية، و٤% من أصول عرقية أخرى. واللغة الرئيسية في البلاد هي الرومانية ويتكلمها ٨٧% من مجموع السكان، بينما يتكلم ٩% منهم اللغة المجرية، و٢% اللغة الألمانية، والباقي لغات أخرى.

ومساحة البلاد ٢٣٧،٤٩٩ كيلومتر مربع، وبلغ عدد السكان سنة ٢٠٠٠م، حوالي ٢٤،٥ مليون نسمة، يتضاعف العدد كل ١٣٩ سنة حيث يبلغ معدل زيادة السكان سنوياً ٥،٥%. ويسكن ٥٤% منهم في

رومانيا منذ القديم

الاسم "رومانيا" لم يكن معروفاً لهذه المنطقة من العالم قبل سنة ١٨٦١م، وهي تشغل حالياً ما كان يُعرف باسم "داسيا" القديمة حيث سكنها قبل الميلاد شعب سماه الإغريق الجيتيين (جيتاي) وكانت لهم حضارة متقدّمة، ويخضعون للنظام القبلي. واضطر الإمبراطور دومتيان بعد فشل حملاته عليهم إلى دفع الأموال لهم اتقاء لخطرهم، وكان ذلك في سنة ٩٠م. ولكن في القرنين الثاني والثالث الميلاديين احتلتها روما واستعمرتها. وغزا تراجان الإقليم وأسس فيه مستعمرات رومانية سنة ١٠٥م، وتحولت "داسيا" بذلك إلى ولاية رومانية. وعندما غزاها القوط اضطر أورليانوس إلى سجن المستوطنين الرومان منها. وقد خلف أولئك المستوطنون في الإقليم لغتهم التي لا تزال يتكلمها الرومانيون. واللغة الرومانية مشتقة من اللغة اللاتينية.

ثم احتلها المغول وانسحبوا منها في القرن الثالث عشر، وخضعت لسلطان تركيا منذ القرن الخامس عشر، ولكنها احتفظت بقسط كبير من الاستقلال الذاتي، وحافظت رومانيا على ديانتها القومية وثقافتها بسبب ابتعاد رومانيا عن موقف أوروبا المعادي للأتراك.

وفي خلال الفترة من سنة ١٧٢١م إلى سنة ١٨١٢م شغل الكرسي الأسقفي أساقفة يونان، أدخلوا العادات اليونانية في الممارسات الكنسية.

رومانيا حديثاً

في القرن التاسع عشر كانت رومانيا إحدى ضحايا القوة العسكرية الروسية ثم التركية ثم النمساوية Austria ، ولكنها بدأت وجودها الفعلي

بحكم ذاتي لها منذ سنة ١٨٦٢م عندما اتحدت فلاحيا ومولدافيا واتخذت

لها اسم "رومانيا". وقبل ذلك بثلاث سنوات أي في سنة ١٨٥٩م أعلنت استقلالها كنسياً عن القسطنطينية. وفي سنة ١٨٨٥م تم التصديق على هذا الإعلان بالاستقلال بواسطة البطريك المسكوني ومجمعه. وفي سنة ١٨٨٦م اكتسب الحكم الدستوري شرعيته في حكم البلاد.

انضمت رومانيا إلى روسيا سنة ١٨٧٧م في حربها ضد تركيا، معلنة استقلالها عن تركيا، وظفرت رومانيا في مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨م بالاستقلال التام، وأعلنت مملكة سنة ١٨٨١م.

في سنة ١٩٤٠م تنازلت رومانيا عن أجزاء من أراضيها لروسيا وهنغاريا (الجر) وبلغاريا. وانضمت سنة ١٩٤١م للحلفاء في الحرب ضد روسيا. ذلك أنه عندما قسّم هتلر وستالين أوروبا الشرقية، أخذت روسيا المقاطعات الرومانية، وخلطت اللغة الرومانية بعدد من الكلمات الروسية، وجعلوا هذا الخلط اللغوي يكتب بالأبجدية السريالية الروسية بدلاً من الأبجدية اللاتينية، فقد كان الرومانيون هم الشعب الوحيد في شرق أوروبا الذي يستخدم الأبجدية اللاتينية، لكنهم منعوه من استخدام أبجديتهم الخاصة بهم.

تسلّم الدكتاتور نيقولا شاوشيسكو^(٢) سلطنة البلاد منذ سنة ١٩٦٧م، ولم يكن قائداً شيوعياً معتدلاً، فأثناء فترة حكمه من قصر ببوخارست - على طراز قصر فرساي بفرنسا لكنه غير جميل - سلب رومانيا بقسوة وأعاد تشكيلها وفقاً لخياله الشخصي السقيم. كانت الثّربة الرومانيّة أحصب تربة في أوروبا الشرقية قاطبة، لكن حكومة شاوشيسكو عملت على تجويع شعبها. ولقد طالب كل العائلات الرومانيّة بإنجاب خمسة أطفال، لكي يقوي قوّته العاملة، وأعلن أن "الجنين ملك المجتمع بأسره، وكل فرد يتحاشى إنجاب أطفال يعد منشقاً يكسر قوانين الاستمراريّة القوميّة". فارتفعت معدلات المواليد، وكذلك وفيات الأطفال، وأجبر الكثير من الآباء على التخلي عن أطفالهم بسبب عدم قدرتهم على إطعامهم، فانتشرت ملاحئ الأطفال تديرها الدولة بطول رومانيا وعرضها. وأصبح يُقدّر أن واحداً من كل أربعة مواطنين كان يعمل لصالح الشرطة السريّة، والذي كان يضايق ويسجن أي فرد لا يوالي النظام الحاكم.

وكانت قمّة تحمس شاوشيسكو للقمع والاضطهاد مكرّسة ضد المسيحيين، فبدأ بالسيطرة على العديد من الكنائس الأرثوذكسيّة الرومانيّة، ووضعت الكنائس تحت المراقبة الحكوميّة الصارمة. وفي الوقت الذي لم يكن الشيوعيون مهتمين كثيراً بالمتقدمين في السن، انصب اهتمامهم على الطلبة، يجب ألا تكون هناك علاقة بين الدين وبين هذا الجيل الصاعد في العقد الأخير من القرن العشرين.

وبرغم كل ذلك، ففي ديسمبر سنة ١٩٨٩م قامت مظاهرات من الشباب ضده، وكسروا نوافذ متاجر بيع الكتب، وأخذوا يجرون الكتب

٢- كان من قبل صانع أحذية، قضى معظم فترة الحرب العالمية الثانية في السجن.

التي كتبها شاوشيسكو أو تدور حوله، ويلقون بها في النيران، بينما

يهتفون: "العتق، الحرّية". وعندما هاجمت قوات الأمن الرومانيّة المتظاهرين، سارع الجيش بالوقوف إلى جانب الشعب منحازاً له. وتفجر الإيمان الذي كان مخبوءاً في قلوب الشباب، فصاروا يرددون الهتافات المسيحيّة مصحوبة بالألحان والتسايح الكنسيّة، فكان نصيبهم الإعدام رمياً بالرصاص، فاستشهد الآلاف منهم. وقد أُقيمت لهم مقبرة جماعيّة دُعيت باسم "مقبرة الشباب"^(٣). وقد بُنيت فيما بعد كنيسة كبيرة على المقبرة التي دُفِنوا فيها.

وأفضت هذه المظاهرات إلى قيام ثورة شاملة أطاحت بهذا الديكتاتور بعد معارك دامية في الشوارع بين الشعب والجيش من جهة، وبين قوات الأمن وحرس شاوشيسكو من جهة أخرى. وأفضت الأمور في النهاية إلى انتصار إرادة الشعب، وتم القبض على شاوشيسكو وزوجته وأعدما رمياً بالرصاص. وما أن زحف فجر عيد الميلاد على أرض رومانيا حتى قرعت أجراس الكنيسة لأول مرة منذ أربعين عاماً، وأضاءت الأخبار السارة الآتية من أجهزة التلفزيون بطول البلاد وعرضها "لقد حول الله وجهه نحو رومانيا مرة أخرى"، وقام المسيحيون الذين لم يستطيعوا إنشاد ترانيم الكريسماس علانية على امتداد عمرهم بإنشاد الأبناء السارة عن مجيئ المسيح: "عمانوئيل، الله معنا".

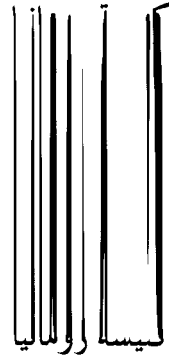
ومعاناة الكنيسة واحتمالها لنيران الآلام. كان شاوشيسكو يجمّث بلا هوادة على صدر أمّته، بينما يكابد المسيحيّون الاضطهاد. وكانت كل التّقارير التي خرجت من البلاد فيما بين سنة ١٩٦٧م وسنة ١٩٨٩م - وهي فترة حكم الديكتاتور شاوشيسكو - عن حال البلاد والكنيسة هناك هي تقارير يطغى عليها الجانب السياسي والتعتيم الإعلامي، حينما تكشّفت الأوضاع الداخليّة جلياً بعد هذا التاريخ.

لقد كانت رومانيا هي الدولة الوحيدة التي عانت من ثورة دمويّة لكي تتخلّص من الشيوعيّة في بلدها.

وفي الربع الأول من سنة ١٩٩٠م تناقصت القوى الإنتاجيّة والإنتاج المحلي بنسبة ٤٢% بالمقارنة بالسنة السابقة لها، وتجمّدت التجارة الدوليّة، ولم تكن توجد رؤوس أموال جديدة لتحسين الاقتصاد. وتعطلت كثير من المصانع لعدم وجود المواد الخام. وبرغم أنه أصبح مسموحاً بالملكيّة الخاصة، إلا أنه لم تكن توجد رؤوس أموال، ولا توجد بضائع تكفي حتى دكان صغير. وكانت محاولة الحصول على القوت اليومي من الخبز تستنزف قوة أكبر من قدرة الإنسان الطبيعي. وارتفعت الأسعار جداً، وقلّ دخل الفرد، وزحف شبح المجاعة على رومانيا^(٤). ومن تقرير شاهد عيان: "الدكاكين فارغة، وطابور شراء الخبز يبدأ في الرابعة صباحاً، وفي السابعة ينفذ الخبز، فتنتعش السوق السوداء. الأطفال الصغار يتسولون، وسادت الجريمة، وأصبح الاقتصاد في غيبوبة"^(٥). هذه ثمرة حكم الطاغية نيقولا شاوشيسكو.

٤ - ريتشارد ووميراند، معاناة فانتصار، ص ٧٥، ٨٠.

٥ - نفس المرجع، ص ١٧٠.



دخلت المسيحيّة رومانيا في القرن الرابع الميلادي أو قبل ذلك بقليل، في فترة وجود الجنود والقواد الرومان بها. أما ليتورجيتها المبكرة فكانت الليتورجيّة اللاتينيّة، وصار لها مركز أسقفّي في تومي Tomi وهي كونستانزا Constanza في القرن الرابع الميلادي. وبرغم أن أبناء رومانيا ينتمون لأصل لاتيني إلا أنهم أخذوا الكثير عن الكنائس السلافيّة المجاورة لهم بدون الرجوع عن ثقافتهم اللاتينيّة الأصليّة. ولا زالت المصطلحات الكنسيّة في كنيسة رومانيا مزيج غريب من السلافونيّة واللاتينيّة.

واعترف دستور البلاد سنة ١٩٢٣م بكنيسة رومانيا الأرثوذكسيّة كنيسة وطنيّة. ولم تعانِ الكنيسة هناك من قلة المتقدمين للكهنوت، حيث استمر إنشاء كنائس جديدة كل سنة في كل الإيبارشيات. فكنيسة رومانيا هي أكثر الكنائس الأرثوذكسيّة حيويّة في مظاهر حياتها الخارجيّة التي تحظى بأوسع دعم من قبل مؤمنّيها. وتستقبل الكنائس في رومانيا العديد من المصلين كما أن معظمها يظل مفتوح الأبواب النهار والليل. وقد تعدت الكنائس في بوخارست وحدها المائتي كنيسة. وهناك أكثر من ثمانية آلاف كنيسة في رومانيا تتبع ١٣ إيبارشيّة.

وبرغم الحكم الشيوعي للبلاد فقد عاشت كنيسة رومانيا

وفي منتصف الخمسينيات من القرن العشرين كان يوجد بالبلاد ٨ مدارس إكليريكية، ومؤسستان للدراسات اللاهوتية العليا، ينتظم في الواحدة منهما ما بين ٣٠٠ إلى ٦٠٠ طالباً. وفي سنة ١٩٥٧م صدرت ثماني نشرات دورية دينية يفوق المستوى اللاهوتي في بعضها كل ما نُشر في روسيا منذ سنة ١٩١٧م.

وكان البطريرك جوستينيان قد جدد المعهد اللاهوتي في بوخارست سنة ١٩٧٨م، أي بعد تنصيبه بطريركاً بسنة واحدة. وكان الأسقف العام على كرسي مولداڤيا، وهو ثيوكتيست، والذي سيم أسقفاً سنة ١٩٧٧م هو عميد هذا المعهد، وهو نفسه الذي اختير بطريركاً لرومانيا بعد نياحة البطريرك جوستينيان.

وتعدُّ كنيسة رومانيا الأرثوذكسية ثاني أكبر الكنائس الشرقية المستقلة التي تتبع بطريركية القسطنطينية.

في يوليو سنة ١٩٩٠م عقب اجتماع ضم بطريرك رومانيا وباقي أساقفة الكنيسة الرومانية الأرثوذكسية مع رئيس رومانيا "إلييسكو" وباقي المسؤولين الحكوميين، أعلنت الحكومة اختيار سكرتير دولة للشؤون الدينية يعمل في وزارة الحماية الاجتماعية، وقد كانت القيادة الكنسية قد حثت الحكومة على تعيين ضابط إتصال بين الكنيسة والدولة. وقد أفادت وكالة الأنباء الرومانية الرسمية بأن قادة الكنيسة أثاروا في هذا الاجتماع بعض المسائل المختصة باستقلالية رئاسة الكنيسة، ووضع إطار قانوني لأنشطتها، كما اقترحوا أن تتعاون الكنيسة في وضع القوانين المختصة بالحياة الدينية في البلاد والاحتفال بالأعياد الدينية على المستوى الوطني، وفتح الكنائس ذات القيمة التاريخية والمعمارية، وإعادة بناء الكنائس المتهدمة، واختيار المواقع المناسبة

للكنائس الجديدة.

وقد صرّح الرئيس إليسكو: "إنه الوقت المناسب الآن للكنيسة الرومانيّة الأرثوذكسيّة لأن تستعيد مكانتها ودورها في الحياة الاجتماعيّة لرومانيا، وأن تسهم في حركة البعث الأخلاقي والروحي لرومانيا الجديدة بما يتناسق مع رسالتها ودعوها".

وقد نُشرت في "بونخارست" العاصمة، البيانات الأولى لأول تعداد رسمي للدولة جرى في يناير سنة ١٩٩٢ م. وهي المرة الأولى منذ نهاية الحرب العالميّة الثانية التي تنشر فيها الانتماءات الدينيّة للشعب الروماني، وقد ظهر من هذا التعداد ما يلي:

مجموع الشعب الروماني ٢٢,٧٦٠,٤٤٩ أي قرابة ٢٣ مليون نسمة. وأعلن ٨٧% من الرومانيين انتماءهم الديني للكنيسة الأرثوذكسيّة (١٩,٨٠١,٥٩٠ مواطناً)^(٦)، و٥% للكنيسة الكاثوليكيّة على الطقس اللاتيني، و١% كاثوليك على الطقس البيزنطي، (أي أن عدد أعضاء الكنيسة الكاثوليكيّة حوالي مليون ونصف)^(٧) بينما أعلن ٣,٥% انتماءهم للمذهب البروتستنتي الإصلاحي، و١% للخمسينيين، و٥%

للمعمدانيين^(٨). وأظهر التقرير أن ١١,٠٠٠ مواطن يتمسكون بالإلحاد، و٢٥,٠٠٠ باللا دينية، بينما امتنع ١٥,٠٠٠ عن ذكر هويتهم الدينية.

وهذه الانتماءات الدينية أو اللا دينية تتحدّد ليس بناء على اسم الديانة في البطاقة الشخصية، إذ لا يوجد هناك هذا البند، ولكن بناء على الاعتراف الشخصي للإنسان.

وفي سنة ١٩٩٤م وبعد الزيارة الثانية التي قام بها قداسة البابا شنودة الثالث بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية لكنيسة رومانيا^(٩)، أعلن المطران دامسكينوس أن المجمع المقدس للكنيسة الرومانية الأرثوذكسية قد وافق على إلغاء النطق بالحرم التي تقال في طقوس هذه الكنيسة ضد آباء الكنائس الأرثوذكسية من عائلتنا، مع تغيير الكتب الطقسية في الطباعات الجديدة وإحلالها محل القديمة. وكذلك تغيير الكتب التي تتكلم عن الآباء بحيث تتناسب مع مفهوم الوحدة الأرثوذكسية، وإلغاء الهجوم ضد قديسي عائلتنا الأرثوذكسية.

وجدير بالذكر أنه في يوم الأحد الموافق ١٨ / ٩ / ١٩٩٤م أقيم القدّاس الإلهي في كنيسة القديس سبيريدون St. Spiridon ببوخارست، وقام بالخدمة فيه غبطة البطريرك بارثينوس بطريك الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية في مصر، وغبطة البطريرك ثيوكتست بطريك رومانيا، بحضور قداسة البابا شنودة الثالث بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة

٨- انشقت جماعة مسيحية عن الكنيسة الأرثوذكسية الأم سراً، ودعت نفسها باسم كنيسة جيش الرب، ولم يتكشف أمرها لا للكنيسة الأرثوذكسية الأم ولا للدولة إلا في سنة ١٩٩٠م، وكان عدد أعضائها قد بلغ ٨٠٠,٠٠٠ عضو. وهي كنيسة بمثابة اتحاد يضم بعض الطوائف البروتستنتية في رومانيا.

٩- كانت الزيارة الأولى في سنة ١٩٧٢م.

المرقسيّة، وقد ذُكر اسم الأخير ثلاث مرّات في القدّاس، بالإضافة إلى

نيافة الأنبا سرايون أسقف الخدمات الاجتماعيّة الذي رافق قداسة البابا في هذه الزيارة. وهي المرة الأولى في التاريخ منذ الانشقاق الذي حدث سنة ١٠٥٤م، أن يُذكر اسم بطريرك كنيسة أرثوذكسيّة غير خلقيدونية في صلوات قدّاس تقيمه كنيسة أرثوذكسيّة خلقيدونيّة.

وفي ذلك قال البطريرك ثيوكتست ”إننا نذكر اسم قداسة البابا شنوده في القدّاس الإلهي، لأنّ جمعنا المقدّس قد قبل الاتفاقية اللاهوتيّة بين الكنائس الأرثوذكسيّة“. وأضاف قائلاً: ”إنه لا توجد أمور لاهوتيّة معلّقة بيننا، وإنما بقيت أمور تنظيميّة وطقسيّة حتى تتحقّق الوحدة“. وقد قدّم قداسة البابا شنودة الثالث صليب اليد الذي يحمل هديّة للبطريرك ثيوكتست الذي قبله شاكرًا، وبدأ يستخدمه في مباركة الشعب به.

وفي مارس سنة ١٩٩٤م نشر قسم العلاقات الخارجيّة لبطريركيّة رومانيا مجموعة من الاحصاءات عن وضع الكنيسة الأرثوذكسيّة في رومانيا خلال سنة ١٩٩٣م جاء فيها: ”في رومانيا ٢١ إيبارشيّة للكنيسة الأرثوذكسيّة الرومانيّة، خمس منها مطرانيات، وخمس رئاسة أسقفيات، تضم كلها ٨٤٠٠ دائرة رعيّة، ويبلغ عدد الأساقفة ٣٢ أسقفًا والقسوس أكثر من ٨٠٠٠، ويتم متابعة بناء ٣٨٢ كنيسة كان قد بُدئ

تحت إشراف البطريركيّة فهناك ١١٢ كاهناً كمرشدين روحيين في المستشفيات، ٥١ منهم يزورون بيوت المسنين، و٧٦ يفتقدون بيوت الأيتام، وقد انضم إلى هؤلاء ١٥ كاهناً آخرين عام ١٩٩٤م كمرشدين في السجون ...“.

الرهينة في رومانيا في العصر الحاضر

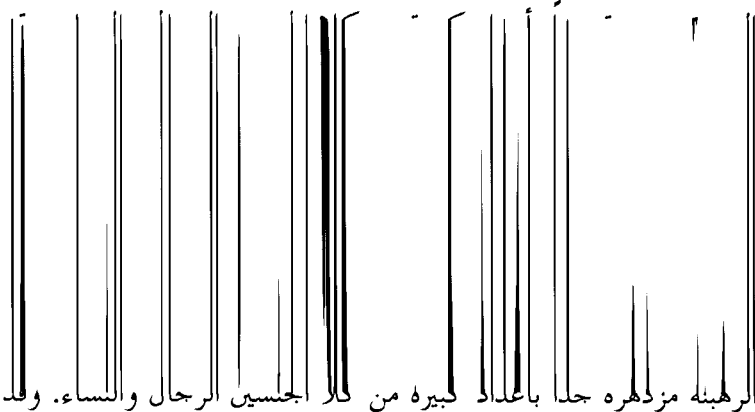
ازدهرت الرهينة في رومانيا بشكل يفوق جميع البلدان الأرثوذكسيّة في عصرنا الحاضر. وكان فيها سنة ١٩٥٨م ما بين سبعة إلى عشرة آلاف راهب وراهبة معظمهم من الشباب والمتقنين.

لقد أثارت هذه النهضة الرهبانيّة رد فعل من جانب الحكومة، فاستخدمت بحقها عدة تدابير قمعيّة. فعلى سبيل المثال أوقفت إصدار الفيلوكاليا الرومانيّة والتي ضمت حواشي طويلة ممتعة، وذلك في أواخر الأربعينيات من القرن العشرين، ولم يُرفع هذا الحظر إلا في سنة ١٩٧٦م، وقد صدر من هذه الفيلوكاليا تسعة مجلدات حتى أوائل الثمانينات.

في سنة ١٩٥٨م خُفض عدد الطلاب والمؤسسات اللاهوتيّة بنسبة الثلثين، وأغلقت مدرستان إكليريكيّتان، وسُجن ٢٥٠ راهباً، وأكثر من ٤٠٠٠ غيرهم أُرغموا على العودة إلى الحياة العلمانيّة. وبرغم انسحاب القوات السوفييتيّة من رومانيا في العام التالي (١٩٥٩م) إلا أن نفس السياسة قد استمر معمولاً بها في البلاد، حيث تلقت الأديرة الأوامر بعدم استقبال مبتدئين جددًا، خاصة الشباب منهم، فانخفض عدد الرهبان والراهبات في رومانيا حتى وصل إلى ما يقرب من ثلاثة آلاف فقط سنة ١٩٧٩م.

وفي مؤتمر للتربية الدينيّة عُقد في رومانيا في سبتمبر سنة ١٩٧٦م وحضره وفد من أربعة أعضاء من الكنيسة القبطيّة، قرّر الوفد القبطي بعد

عودته أن كنائس رومانيا مملوءة بالمصلين، وكثير منهم من الشباب. وأن



الرهينة مزدهره جدا باعداد كبيرة من كلا الجنسين الرجال والنساء. وقد قضى الوفد القبطي بعض الوقت في أديرة رومانيا الحارة بالروح.

وكان البطريرك الروماني جوستنيان^(١٠) (١٩٧٧ - ١٩٨٦م) قد قاد حركة تجديد للحياة الرهبانيّة في منطقة مولداڤيا، قبل تنصيبه بطريركاً، فعمّر أديرتها القديمة، وأشاع النشاط الروحي والليتورجي بين رهبانها.

من أعلام الكنيسة الرومانيّة في العصر الحديث

يعتبر الأب ديمتري ستانيلوي Fr. Dumitru Staniloae (١٩٠٣م - ١٩٩٣م) من أشهر علماء اللاهوت في كنيسة رومانيا، بل من أكثر علماء اللاهوت شهرة في العالم في علم اللاهوت العقيدي الأرثوذكسي. كان متزوجاً وأباً لاثنين من الأطفال، وراعياً ومرشداً روحياً ساهم في تجديد الحياة الروحيّة في رومانيا. كان الأب ستانيلوي متعمقاً في تراث آباء الكنيسة، وكان على دراية كاملة بتعليمهم، وعلى الأخص آباء البرية وتعليمهم عن السكون "المهيزنخيا". كما أسهم في التعرف على تعليم الآباء في اختبار النعمة وسر الخلاص.

وُلد الأب ستانيلوي، في ١٦ نوفمبر سنة ١٩٠٣م من عائلة ريفية في

الآبائيات وتاريخ الكنيسة. وفي سنة ١٩٢٩م، عُيّن أستاذاً في المعهد اللاهوتي الأرثوذكسي في رومانيا، ليدرّس تاريخ الكنيسة ثمّ العلم اللاهوتي العقيدي. وفي فترة عمله في المعهد، في سنة ١٩٣٢م، سيم كاهناً، ثمّ عُيّن عميداً للمعهد اللاهوتي الكبير في بوخارست عاصمة رومانيا.

وفي أثناء الحكم الشيوعي لاقى متاعب حمة. ففي سنة ١٩٥٨م قُبض عليه، وسُجن لعدة سنوات حتى سنة ١٩٦٣م بتهمة الترويج للمستكيّة، أي الحياة الروحيّة الباطنيّة.

وبعد انهيار الحكم الشيوعي سنة ١٩٩٠م قام بنشاط واسع في خدمة التعليم الروحي. وكان ينشر كل أسبوع مقالات عن الرعاية والحياة الروحيّة في الجرائد الرئيسيّة في رومانيا.

وإلى جانب تدريسه، تولى الأب ستانيلوي ترجمة ونشر كتاب "الفيلوكاليا" إلى اللغة الرومانيّة، وهو الكتاب الذي يحوي مقتطفات ونصوصاً للآباء الروحانيين في الشرق، والتي جمعها في القرن الثامن عشر رهبان جبل آتوس. وقد صدر الأب ستانيلوي هذه النصوص بمقدمات وذيّلها بتعليقات وملاحظات.

ويعتبر الأب ستانيلوي أن علم اللاهوت ليس مجرد مشغوليّة عقلانيّة، بل هو موهبة حقة في الكنيسة. وهو يقدم في مؤلفاته رؤية شاملة للأرثوذكسيّة تتجاوز القوميّات، وتستعيد ملء وكمال التقليد الأصيل. ومن عناوين مؤلفاته وأشهرها ما ترجمته: "علم اللاهوت العقيدي" في ثلاثة مجلدات، وقد تُرجم هذا الكتاب إلى عدة لغات، وكذلك كتب: "الروحانيّة الأرثوذكسيّة"، و"الله والحب"، و"صلاة يسوع واختبار الروح القدس"، وغيرها.

الفصل الرابع

بطريفة كية بلغاريا

تقع بلغاريا Bulgaria جنوب شرق أوروبا، وفي شبه جزيرة البلقان. يحدها شرقاً البحر الأسود، وشمالاً رومانيا، وغرباً يوغوسلافيا، وجنوباً اليونان. تخرقها سلسلة جبال البلقان، وبها أودية خصبة، وأهم أنهارها نهر الدانوب^(١). وعاصمة البلاد هي "صوفيا"، وهي أيضاً مقر البطريكية البلغارية، وكان مقر الكرسي البطريكى البلغاري في البداية في برسلاف Perslav ومنذ سنة ٩٧١م انتقل إلى أوكريد Ochrid.

إحصائية عامة

مساحة البلاد قرابة ١١١ ألف كيلومتر مربع، وسكانها وصل عددهم سنة ٢٠٠٠م، إلى أقل قليلاً من تسعة ملايين نسمة، وهي الدولة الوحيدة من بين الدول التي نعرض لها في هذا الكتاب التي لا يوجد لها تقريباً معدل لزيادة السكان سنوياً، بل على العكس هناك معدل تناقص

حيث يتبع الكنيسة الأرثوذكسيّة ٨٥% من مجموع السكان^(٢)، بينما يدين ١٣% منهم بالإسلام. ومن الغريب حقاً أنه في زمن الشيوعيّة كان في بلغاريا ٢٧% فقط من الأرثوذكس، إلى جانب ٧% إسلام، و٦٥% ملحدين، ١% ديانات أخرى.

واللغة الرئيسيّة في البلاد هي البلغاريّة، ويتكلّمها ٨٥% من الشعب، وهناك أيضاً اللغة التركيّة ويتكلّمها ٨% منهم، واللغة الرومانيّة ويتكلّمها ٣%، و٤% يتكلّمون لغات أخرى. ونسبة المتعلّمين من السكّان تبلغ ٩٣%، ويسكن ٦٧% منهم في المدن.

أصل البلغاريين

يرجع البلغاريّون إلى أصل آسيوي، سكنوا جهات الدّانوب، وتأثروا بالشعب السلافي^(٣)، وأصبحت اللغة السلافية هي لغتهم. نفذوا من حدود الإمبراطوريّة البيزنطيّة سنة ٦٨٠م، وخضع لهم الصقالبة، وأسست أسرة كوبارت Kubart أول مملكة بلغاريّة في أواخر القرن السابع،

-
- ٢- بحسب إحصاء الكتاب السنوي لمجلس الكنائس العالمي. وتذكر الموسوعة البريطانية أن حوالي ٣٠% فقط من الشعب هم أعضاء منتظمون في الكنيسة.
- ٣- السلافيون أو الصقالبة، هم شعوب تسكن بين جبال الأورال، والبحر الأدرياتي في أوروبا الشرقية والوسطى، ويتكلّمون بلغات تنتمي إلى العائلة الهندو-أوروبية. ويُقسمون عادة إلى ثلاثة أقسام كبرى:
- صقالبة الغرب؛ ويشملون البولنديين والتشيكيين والسلوفاكيين، وعناصر أخرى صغيرة في شرق ألمانيا.
 - وصقالبة الشرق؛ وهم الروس الكبار، والأوكرانيون (الروس الصغار)، والروس البيض (البيلوروسيون).
 - وصقالبة الجنوب؛ ويضمون الصربيين والكرواتيّين والسلوفينيّين والمقدونيّين والبلغاريّين.
- وينقسم الصقالبة ثقافياً إلى مجموعتين رئيسيتين: الأولى ترتبط بالكنيسة الأرثوذكسية الشرقية، والأخرى بكنيسة الروم الكاثوليك.

متخدين ابوبا - Aboba أو كما تُسمى بليسا - Pliska عاصمة لهم. غير أن الحرب الأهليّة كادت أن تعصف بوحدة تلك المملكة في أواخر القرن الثامن. إلا أن القائد البلغاري "كروم - Krum 813 - 802م) تمكّن من إعادة وحدة شعبه، واستولى على صوفيا سنة ٨٠٩م من البيزنطيين، وقتل الإمبراطور البيزنطي نيقوفوروس الأول سنة ٨١١م، وحاصر القسطنطينيّة سنة ٨١٣م، غير أن العاصمة تخلّصت من خطرته بموته أثناء الحصار. وفضّل ابنه أمورتاج (831 - 815م) Amurtag عقد هدنة مع الإمبراطور ليو الخامس لثلاثين عاماً. وجعل "برسلاف - Perslav" عاصمة له.

كنيسة بلغاريا

كان تلاميذ ميثودوس - الذي كرز بالمسيحيّة في مورافيا (تشيكوسلوفاكيا الحاليّة) - قد طردوا من تشيكوسلوفاكيا فلجأوا إلى بلغاريا، ونقلوا إليها المبادئ التبشيريّة التي استخدموها من قبل، فأدخلوا اللغة السلافونيّة عوض اليونانيّة، وقدموا للبلغار الثقافة الدينيّة البيزنطيّة بلغتهم، فاستطاع هؤلاء استيعابها بسهولة.

فتح الأمير بلاده لتلاميذ كيرلس وميثودوس بعد طردهم من مورافيا سنة ٨٥٨م، ففاعلت الظروف السياسيّة المستقرّة لبلغاريا مع كفاءة

حتى سنة ١٠١٨م عندما قضى الإمبراطور البيزنطي باسيلوس على استقلالها. ولكن الثقافة السلافية المسيحية التي وضع بذرتها كيرلس وميثوديوس ازدهرت في البلاد السلافية خاصة روسيا التي صارت إمبراطورية فيما بعد.

أصبحت المسيحية هي الديانة الرسمية في بلغاريا في عهد الملك بوريس (٨٥٢ - ٨٨٨م) عندما تعمد سنة ٨٦٤م، ومن ثم صارت الكنيسة البلغارية تابعة للقسطنطينية. وبسبب رغبة الملك بوريس في السيطرة على الأملاك والإدارة الكنسية في بلغاريا، اشترط أن تكون الكنيسة البلغارية مستقلة عن الكنيسة البيزنطية، وعندما جوبه بالرفض قرر اتباع كنيسة روما وعقيدتها، وأمر بشن حملة اضطهاد ضد الأرثوذكسية متهماً إياها بأنها تخالف المعتقد الأصلي حينما تسمح بزواج رجال الدين، وكذلك رأيها في قضية انبثاق الروح القدس، بالإضافة إلى ما يتعلق بسر الإفخارستيا... الخ، بغية استرضاء وجه روما، ليستقل بحكم بلغاريا كنسياً. وإذ لم ير بوريس في اعتناق الكاثوليكية فائدة لحكمه المركزي، لأن كنيسة روما رفضت استقلال كنيسة بلغاريا، ولم تكن مستعدة أن تمنح الكنيسة البلغارية استقلالاً ذاتياً، ولا بد لكنيسته أن تستخدم اللغة اللاتينية... الخ، عاد الملك بوريس فقرر في سنة ٨٧٠م، الرجوع إلى المذهب الأرثوذكسي، وأمر بطرد رجال الكنيسة الرومانية من بلغاريا.

وتوسعت الكنيسة البلغارية بسرعة، إلا أن المعتقد الأرثوذكسي لم ينجح بوريس من اتخاذ مواقف سلبية تجاه الإمبراطورية البيزنطية، إذ أخذ يحلم بالاستيلاء على القسطنطينية.

أما الملك البلغاري تسارسيمون (٨٩٣ - ٩٢٧م) أو سيمون الكبير، فقد اتخذ لقب إمبراطور البلغار والإغريق بعد أن كتب له

النصر على ايجيوس البيزنطية في موقعه ايجيوس AICHALOS سنة ١١٧٧ م. وكان نصف يونانيا، وأصبح يلم بعلوم عصره بعد أن درس في القسطنطينية كما أنه درس فلسفة أرسطو. ومن جهة أخرى كان شجاعاً محارباً، وقد تشكل بلاطه في العاصمة برسلاف Perslav حسب النموذج البيزنطي، فقد كانت العاصمة البلغارية في عهده تضاهي العاصمة البيزنطية أبهة وعظمة.

وانحصرت بلغاريا في البلقان لأن البشناق حالوا دون توسعها شمالاً. وبُنيت في بلغاريا القصور والكنائس وتزيّت بالرخام والصور الملونة، وليس الملك الأرجوان والثياب المرصعة بالأحجار الكريمة.

في أثناء حكمه أصبحت الكنيسة البلغارية تحكم نفسها بنفسها Autocephalous حيث أنشئت بطريركية بلغارية مستقلة نحو سنة ٩٢٤ م، ولكنها لم تحصل على اعتراف القسطنطينية بها كنيسة مستقلة إلا في سنة ٩٤٥ م. وهكذا تحقق حلم بوريس في إقامة كنيسة مستقلة، حيث تم ذلك بعد وفاته بنحو نصف قرن من الزمان، وتعتبر بلغاريا هي أول بلد بين البلدان السلافية تنشأ به كنيسة وطنية.

وكان عهد بطرس بن سيمون (٩٢٧ - ٩٦٩ م) عهد سلام مع بيزنطة، إذ تزوج الملك أميرة بيزنطية. وما لم يستطع بوريس تحقيقه

البلغار استقلالهم إلا في أواخر القرن الثاني عشر حينما قامت إمبراطوريّة بلغاريّة جديدة سنة ١١٨٦م، وتوج "إيفان الأول" ويُعرف باسم "إيفان آسن" قيصرًا في ترنوفو.

ووصلت بلغاريا إلى أوج قوّتها في عهد إيفان الثاني الذي امتد حكمه على شبه جزيرة البلقان كلها تقريباً ما عدا اليونان، ولكنه انهيار سريعاً بعد أن أصبحت بلغاريا تابعة لصربيا سنة ١٣٣٠م، حتى وقعت في يد الأتراك سنة ١٣٩٦م.

كنيسة بلغاريا أثناء الحكم التركي للبلاد

في أثناء حكم الأتراك لبلغاريا، والذي كان جدّ قاسياً، ابتداءً من سنة ١٣٩٦م بعد موقعة نيكوبول، ارتبطت كنيسة بلغاريا برباط وثيق مع كنيسة القسطنطينيّة، فقدت استقلالها الذاتي تماماً. ومنذ ذلك التاريخ وحتى سنة ١٨٧٠م كان كل أساقفة الكنيسة البلغاريّة من اليونان. وفي سنة ١٨٧٠م، عادت كنيسة بلغاريا لتستقل بأساقفتها حيث استطاع الروس تحرير إخواتهم الصقالبة من نير الحكم التركي وما اقترفه من فظائع في بلغاريا، وهو ما عُرف في التاريخ بـ "الفظائع البلغاريّة".

وفي سنة ١٨٧٦م ثار البلغاريون على الحكم التركي، وكانت الحرب الروسيّة التركيّة (١٨٧٧ - ١٨٧٨م). وفي سنة ١٨٧٨م وطبقاً لمعاهدة برلين صارت بلغاريا تحت سيادة اسميّة لتركيا، وأصبحت "صوفيا" عاصمة بلغاريا منذ سنة ١٨٧٨م.

في سنة ١٩٠٨م وفي ثورة تركيا الفتاة، انتهز الأمير "فرديناند أوف ساكس كوبورج جوتا" الفرصة وأعلن استقلال بلغاريا عن تركيا، واتخذ لنفسه لقب قيصر. ودخلت بلغاريا الحرب العالميّة الأولى إلى جانب ألمانيا والنمسا والمجر. وبنهاية الحرب انهارت الحكومة بعد أن خسرت

بلغاريا ساحل بحر إيجه، وهرب القيصر، فخلفه بوريس الثالث سنة

١٩١٨م، ولكنه مات في ظروف غامضة سنة ١٩٤٣م.

كنيسة بلغاريا تحت الحكم الشيوعي للبلاد

أعلنت روسيا الحرب على بلغاريا سنة ١٩٤٤م، واستولت قوى المعارضة في بلغاريا على الحكم، وكانت تتألف من الشيوعيين وضباط الجيش الموالين لروسيا، فتولى الشيوعيون الحكم. وفي سنة ١٩٤٦م ألغى النظام الملكي وأعلنت بلغاريا جمهورية شعبية اشتراكية.

صدر دستور جديد للبلاد في سنة ١٩٧١م، وفي سنة ١٩٨٠م أُعيدت العلاقات مع الدول الأوروبية.

لقد ظلّت القطيعة بين بلغاريا والقسطنطينيّة حتى سنة ١٩٤٥م، واقتضت الكنيسة البلغاريّة آثار بطريركيّة موسكو في علاقتها بالدولة، وذلك منذ سنة ١٩٤٥م. وبعد أربع سنوات أي في سنة ١٩٤٩م أصدرت الدولة قوانين بمحفة تبيح لها التدخل في شؤون الكنيسة على نطاق واسع.

وتناقص عدد الرهبان الشبّان بشكل كبير في كنيسة بلغاريا إبان الحكم الشيوعي، ومع ذلك فقد شهدت الكنيسة البلغاريّة في أثنائه إقبالاً على الرهبنة أكبر مما شهدته الكنيسة الصربيّة في نفس الفترة. وفي العصر الحديث نال متوهم لست صوفياً لقب بطريك كرئيس للكنيسة البلغاريّة،

أساتذة بلغاريون من جامعة صوفياً في هذه المناسبة مواضع عن "الإفخارستيا والوحدة الكنسية"، وأيضاً "الطابع الكاثوليكي الجامع للكنيسة"، و"الدعوى الدينية".

كنيسة بلغاريا اليوم

شهدت سنة ١٩٨٩ م بداية الحرية السياسية بعد انهيار الشيوعية. وفي رسالة وجهها بطريك بلغاريا، و١٢ متروبوليتاً يكوّنون المجمع المقدس للكنيسة البلغارية الأرثوذكسية، قدموا ٢٨ اقتراحاً بتغيير وضع العلاقات بين الكنيسة والدولة، وذلك كجزء من السياسة السائدة الآن في بلغاريا نحو إعادة بناء الدولة وديمقراطيتها، وذلك في عهد الدولة الجديدة.

تقول الرسالة: "إنه بالإشارة إلى الممارسات الخاطئة والتهديدات والعقبات فيما يختص بهذه العلاقات التي يسودها الشك حتى الآن، فإن الأساقفة يرون في المستقبل ألا يكون هناك أي تدخل من جانب السلطات المدنية في الحياة الداخلية للكنيسة"، ويقولون: إن الكثير من القرارات التي اتخذها سابقاً المجمع المقدس عُلفت من قبل الحكومة البلغارية السابقة. ويقترح الأساقفة أن يكون عيد الميلاد والقيامة مرة أخرى من الأعياد الوطنية للدولة، واستثناء أعضاء الكنيسة من الإجراءات المدنية التي كانت تجبر المواطنين على إعطاء أطفالهم أسماء غير مسيحية، وإعادة الكنائس والأديرة والمباني الكنسية الأخرى، والممتلكات الخاصة بالكنيسة والتي أخذتها الدولة بدون سند قانوني. كما طلبوا التصريح ببناء الكنائس في المناطق السكنية الجديدة، وطلبوا من الدولة أن تخصص مبالغ كافية للمعاونة في ترميم وصيانة المباني الكنسية".

وتضمّنت الرسالة أيضاً إعادة إنشاء دار النشر التي تمتلكها الكنيسة، وأن تكون في إدارتها مستقلة عن الدولة، أن يُسمح بتأسيس الجمعيات المسيحية للشباب، وأن يُعاد افتتاح ملاجئ الأيتام، وبيوت المسنين، ونقل

موضع الكليّة اللاهوتيّة في صوفيا العاصمة إلى موقع أفضل وإعادة تأسيس

المعهد اللاهوتي في بلوفديف ... الخ.

وقد استجابت الدّولة في عهدها الجديد لكثير من هذه الاقتراحات.

الأدب البلغاري

منذ استقلال الكنيسة ظهر الأدب البلغاري، وتكوّنت شبه جامعة بلغاريّة. وكان الأدب البلغاري أدب ترجمة وأدباً كنسياً قام به رجال الدين. ومن مواضيعه رسائل يوحنا الدمشقي (٦٧٥ - ٧٤٩م) اللاهوتيّة، ومواعظ يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧ - ٤٠٧م). واقتبس الأدب البلغاري مواضيع أجنبيّة وشرقيّة كما تُرجمت مجموعات القوانين البيزنطيّة. وهكذا تسربت الأفكار الرومانيّة الشرقيّة (البيزنطيّة) إلى القانون البلغاري. واحتلّط البلغار بالصقالبة، واتخذوا لغتهم، وبدأ الأدب السلافوني القديم في الانتعاش في عهد سيمون الأول.

ولم ينتعش الأدب السلافي (الصقلي) إلا في القرن الرابع عشر بعد تأسيس إمبراطوريّة جديدة، أصبحت عاصمتها ترنوفو Tirnovo وسادت الترجمات من اليونانيّة مرة أخرى، وكثرت الصلات بين بيزنطة وبلغاريا. وكانت البطريركيّة البلغاريّة قد استعادت وضعها ثانية خلال الفترة (١٢٣٥ - ١٣٩٣م) بعد أن صار مقرها في ترنوفو العاصمة.

الفصل الخامس

بطريكة جورجيا

وهناك عدد غير قليل بلا دين Non religieux . واللغة الرئيسيّة في البلاد هي الجورجيّة ويتكلّمها ٦٩% من السكان، والروسية يتكلّمها ١١% منهم، والأرمينية يتكلّمها ٧%، والأبخازيّة ٢%، و ١١% من السكان يتكلّمون لغات أخرى.

مساحة البلاد ٦٩,٧٠٠ كيلومتر مربع، ويصل عدد السكان سنة ٢٠٠٠م، إلى حوالي ٦ مليون نسمة، ويتضاعف عدد السكّان كل ٨٧ سنة حيث يبلغ معدّل زيادة السكان سنوياً ٨% و٥٦% من السكّان في المّدن، ونسبة المتعلّمين تبلغ ٩٨%.

كنيسة جورجيا

كنيسة جورجيا هي واحدة من أقدم الكنائس الأرثوذكسيّة الشرقيّة، وأصول المسيحيّة في جورجيا (والتي تُعرف أيضاً باسم إيبيريا Iberia) تعود إلى القرن الرابع الميلادي. ويقول تقليد الكنيسة الجورجيّة أن الكرازة بالمسيح دخلت جورجيا على يد اثنين من اليهود اللذين شاهدا صلب المسيح عند الجلجثة، وأتيا إلى مدينة متسخيتا Mtskheta العاصمة القديمة، يبشران بمجىء المسيح، ثم أتى إلى إيبيريا (جورجيا) الرسول أندراوس وسمعان القانوني، والذي يُقال إنه مدفون في سوخومي Sukhumi إحدى مدن جورجيا القديمة.

أما انتشار المسيحيّة في البلاد فكان على يد سيّدة مسيحيّة من كبادوكيا هي القديسة "نينا" التي بشرت الأسرة الحاكمة سنة ٣٣٠م، مما أدى إلى إيمان أهل القصر الملكي بالمسيحيّة، ومن ثمّ أصبحت المسيحيّة ديانة رسميّة للدولة. ويعود الفضل إلى كنيسة أنطاكية في دخول المسيحيّة إلى جورجيا. ويحتفظ تاريخ كنيسة جورجيا باسم الملك ميريان والملكة

نانا كأول مؤمنين في جورجيا. ولأن للأسرة المالكة صلوات قرابة بملوك

أرمينيا، فقد وقعت جورجيا تحت تأثيرات يونانيّة سوريّة أرمينيّة.

ومن وثائق مجمع نيقية المسكوني الأول سنة ٣٢٥م يتضح وجود أسقف لمدينة بيتسوند غرب جورجيا يُدعى ستراتيلات Stratilat، مما يدل على وجود مركز أسقفي في هذه البلاد منذ القرن الرابع الميلادي.

ومنذ ذلك التاريخ بدأ بناء الكنائس والأديرة ونسخ المخطوطات. ومن أشهر الآثار المسيحيّة الجورجيّة نسخة مخطوطة للكتاب المقدس (العهد الجديد) باللغة الجورجيّة ترجع إلى القرن السادس، وهي مكتوبة بالحروف الأبجديّة التي أُلّفها مسروب الأرمني، وهي نفس الحروف التي كتب بها نسخة أقدم منها ترجع إلى القرن الخامس الميلادي، مما يرجّح أن تكون النسخة الجورجيّة قد نُقلت عن النسخة الأرمينيّة.

وعلى مدى تاريخ جورجيا عانت الكنيسة من نتائج الاضطرابات السياسيّة التي أثارها أعداء البلاد العديدون، كما هو واضح من الآثار القائمة حتى الآن، وأخصها حصن بريس الذي وقف شامخاً يحمي العاصمة القديمة ميتسخيتا ضد غزوات القبائل الجبليّة المعادية. وهذه المدينة العاصمة كانت زاخرة بالقصور والحصون والكنائس، وأهمها كاتدرائيّة سامتافرو التي دُفن فيها جثمان أول مسيحي في جورجيا.

استتصال شأفة المسيحيّة وفرض ديانة عبادة النار حيث حكموا جورجيا في القرنين الثالث والرابع. ووقعت جورجيا تحت حكم إحدى الأسرات الأرمينية في غضون القرن السادس.

واعتمدت كنيسة جورجيا على بطريك أنطاكية الملكي والذي كان له حق الإشراف على كنيسة جورجيا، وذلك بعد أن سقطت جورجيا مثل جارها أرمينيا تحت الحكم العربي. وكان عدد كبير من الرهبان الجيورجين يقيمون في المناطق العربية قرب الأديرة الملكيّة في جبل سيناء، ودير الصليب بالقرب من القدس، وأديرة الجبل الأسود قرب أنطاكية، وقد ترجموا إلى لغتهم كتابات عدد كبير من الآباء اليونان والسريان، وحتى بعض المؤلفات العربية.

في القرن الثامن أصبحت كنيسة جورجيا كنيسة مستقلة Autocephalous وتبث استقلالها رسمياً أو أعيد تأكيده في مجمع أنطاكية المكاني الذي عُقد حوالي سنة ١٠٥٧م، ولقد ازدهرت المؤلفات الجورجية المسيحيّة بلغة البلاد لاسيّما خلال الفترة ما بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر، وهي الفترة التي ضعفت فيها القبضة العربية على البلاد عندما اتجهت جورجيا نحو البيزنطيين، وأسس القديسان يوحنا وأنتيموس

على الأحص الأهرال من جيوشهم الغازية. وخلف أردشير الأول ابنه شابور الأول الذي هزم الإمبراطور فاليريانوس وحكم حتى سنة ٢٧٢م. وشهدت فارس فترة زاهرة تحت حكم شابور الثاني (٣٠٩ - ٣٧٩م). استطاع الإمبراطور ثيودوسيوس أن يهزم بهرام الخامس (٤٢٠ - ٤٣٨م). واجتاحت جيوش الساسانيين أرمينيا في عهدي كل من يزيدجرد الثاني سنة ٤٥١م، وكسرى الأول (٥٣١ - ٥٧٩م) والذي غزا سوريا أيضاً. حكم كسرى الثاني (٥٩٠ - ٦٢٨م) وغزا أرمينيا وسوريا مرة ثانية، كما غزا مصر. ويعتبر غزو مصر هو آخر انتصار حققه الساسانيون في تاريخهم، كان آخر ملوك الأسرة الساسانية هو يزيدجرد الثالث، وفي عهده فتح العرب فارس.

في جبال آتس في القرن الحادي عشر دير إبيرون للجيورجيين، وأصبح

مركزاً هاماً للثقافة الدينيّة الجورجيّة والترجمات.

كنيسة جورجيا تحت حكم الأتراك

احتلتها الأتراك، وكان من نتيجة المصادمات والصراعات السياسيّة أن تجردت الكنائس من ممتلكاتها، وتهدمت الأديرة وخربت، واضطُهد المؤمنون إكليروساً وشعباً، واضطربت الحياة الطبيعيّة على وجه عام، وحتى النصف الأخير من القرن الثامن عشر لم يكن هناك تعليم لاهوتي لإكليروس كنيسة جورجيا، ولم تبدأ المعاهد اللاهوتيّة في الظهور إلا في أواخر القرن الثامن عشر حيث بُدئ في تدريس الفلسفة والقواعد اللغويّة والبلاغة واللاهوت، وذلك في مدينة تبليسي Tbilisi وتيلافي. وكانت هذه المعاهد قد دُمرت على يد الشاه عباس الفارسي (١٥٥٧ - ١٦٢٨م) والمُلَقَّب بشاه فارس سنة ١٥٨٧م.

كنيسة جورجيا تخضع لروسيا القيصريّة

دفعت الاضطرابات السياسيّة حكام جورجيا إلى طلب الارتباط بالإمبراطوريّة الروسيّة مما أدى أيضاً إلى دخول كنيسة جورجيا تحت إشراف الكنيسة الروسيّة، حيث ضُمت بالفعل إلى الكنيسة الروسيّة سنة

كنيسة جورجيا تحت الحكم الشيوعي السوفيتي

حتى زمن قيام الثورة البلشفية سنة ١٩١٧م عادت الكنيسة الجورجية إلى استقلالها المزيف، واعترفت الكنيسة الروسية بهذه الإدارة الذاتية فيما بعد. ولقد عوملت كنيسة جورجيا بعنف كما في سائر أنحاء الاتحاد السوفيتي حتى تقلص حجم الكنيسة بعد أن أصبحت جورجيا جمهورية ضمن جمهوريات الاتحاد السوفيتي سنة ١٩٢١م خاضعة للحكم الشيوعي. وكونت جورجيا مع أرمينيا وأذربيجان سنة ١٩٢١م ما كان يُعرف باسم "الجمهورية الاشتراكية الفدرالية السوفيتية عبر القوقاز". ووضع لهذه الجمهوريات الفيدرالية دستور جديد سنة ١٩٣٦م.

وعن حال الكنيسة في فترة الحكم الشيوعي للبلاد أمكن للكاثوليكوس كاليستراتوس أن يلخص الوضع الكنسي لصحفي أمريكي سنة ١٩٥١م، وهو مندوب نيويورك تايمز قائلاً له: "سأعطيك بعض الإحصاءات تستخلص منها بنفسك بعض الاستنتاجات: هناك ١٠٠ كنيسة فقط مفتوحة الأبواب من ضمن ٢٤٥٥ كنيسة موجودة، وهناك مثل هذا العدد من الكهنة العاملين (أي حوالي ١٠٠ كاهن) في خدمة شعب يزيد تعداده عن ٢ مليون نسمة. وفي كثير من الأماكن التي لا يوجد فيها كهنة يتجمع أبناء الشعب أمام أطلال كنيسة سابقة، ويقومون خدماتهم بأنفسهم بلا راع...".

كنيسة جورجيا اليوم

كانت الكنيسة الجورجية قد استعادت استقلالها عن الكنيسة الروسية في سنة ١٩٤٣م بقرار من الكنيسة الروسية. ولأول مرة يُطبع الكتاب المقدس في جورجيا سنة ١٩٨٩م، بعد أن انتهى الحكم الشيوعي

في روسيا، وتولى الرئيس ميخائيل جورباتشوف مهام رئاسته للاتحاد

السوفييتي (سابقاً).

واستعادت كنيسة جورجيا الأرثوذكسيّة حريتها ونشاطها بعد انهيار كابوس الشيوعيّة، بعد أن قدمت الكنيسة تضحيات حسام، من شهداء معاصرين كتبوا بدمائهم صفحة مضيئة من تاريخ كنيسة جورجيا في عصرها الحديث.

وفي سنة ١٩٩٠م نالت كنيسة جورجيا استقلالها الذاتي بقرار من البطريركيّة المسكونيّة في استنبول، وفي سنة ١٩٩١م أصبحت جورجيا بالفعل كنيسة مستقلة تماماً بعد تفكك الاتحاد السوفييتي في ديسمبر من نفس هذه السنة. ولم تشارك جورجيا في مجلس الجمهوريات المستقلة^(٣) C. E. I. بسبب أعمال العنف التي وقعت بين الرئيس جامساخورديا Ghamsakhurdia والمعارض، والتي انتهت في سنة ١٩٩٢م بعد أن أصبح تنجويز سيجا Tenguiz Sigua على رأس حكومة مؤقتة، وكان ينبغي أن تكون جورجيا هي العضو الثاني عشر في مجلس الجمهوريات المستقلة آنئذ.

ويرأس كنيسة جورجيا بطريرك كاثوليكوس، ويُسمى بطريرك كل جورجيا ورئيس أساقفة ميتسخيتا وتفليس. ويوجد الآن ٣ كليات

لكنائس مستقلة (٣) في جورجيا، وهي كنيستين أرثوذكسيّتين وكنيسة كاثوليكية واحدة.

شيفرنادزه^(٤)، وكان قد بلغ الرابعة والستين من العمر. وقال بعد عماده مباشرة: "لديّ في مكتبي دائماً أيقونة للسيدة العذراء" وألح إلى أن تخلّيه عن الإلحاد كان قد بدأ منذ زمن طويل.

وعن إحصائيّة تعود إلى سنة ١٩٩٤م توجد في الكنيسة الجورجيّة ١٥ إيبارشيّة يرأسها أساقفة. وبلغ عدد المؤمنين ٢,٥ مليون نسمة. وفي زيارة قام بها بطريرك القسطنطينيّة المسكوني لجورجيا في مايو سنة ١٩٩٤م، قال معرّاً عن ابتهاجه بأن اليوم وللمرة الأولى منذ قرنين من الزمان، فإن جورجيا تتمتع ليس باستقلالها فقط كدولة، بل وأيضاً بطريركيّة جورجيا أصبحت معروفة لدى الجميع، أما الإلحاد فقد أصبح منذ الآن فصاعداً مجرد ذكريات وإن كانت مخزنة.

وتُقام الصلوات في الكنائس باللغتين الجورجيّة والسلافونيّة، كما يصلى باليونانيّة في بعض المناطق. ويتخرج الآن الإكليروس الجيورجي في المعهد اللاهوتي في ميتسخيتا المسمى على اسم القديس أندراوس، وفي الأكاديميّة اللاهوتيّة في تفليس.

ولكنيسة جورجيا علاقات داخلية طيبة مع باقي الطوائف الدينيّة الأخرى غير الأرثوذكسيّة، وغير المسيحيّة أيضاً.

٤ - عمل وزيراً لخارجية الاتحاد السوفيتي السابق خلال الفترة من سنة ١٩٨٥م، إلى سنة ١٩٩٠م، ثم استقال من منصبه.

الباب الرابع

الكنائس البيزنطية

الست المستقلة

Autocephalous Churches

أولاً: كنيسة قبرص

إحصائية عامة

في قبرص مجموعتان عرقيتان رئيسيتان؛ اليونان ويمثلون ٧٧% من مجموع السكان، والأتراك ويمثلون ٢٢% من مجموع السكان، وهناك ١% جنسيات عرقية أخرى.

يدين ٧٣% من السكان بالأرثوذكسية، وهم اليونان، و ٢٣% بالإسلام، وهم من الأتراك، و ٤% يدينون بديانات أخرى. ويتكلم ٧٣% من السكان اللغة اليونانية، و ٢٣% اللغة التركية، وهما اللغتان الرئيسيتان في الجزيرة إلى جانب اللغة العربية.

تبلغ مساحة البلاد ٩٢٥١ كيلومتر مربع، وتعداد سكانها بلغ سنة ٢٠٠٠م، نحو ٧٥٥ ألف نسمة. ويتضاعف عدد السكان كل ٧٠ سنة حيث يبلغ المعدل السنوي لزيادة السكان ١%. ويسكن ٦٢% من السكان في المدن، ونسبة المتعلمين تصل إلى ٩٠%.

جزيرة قبرص ذات الحضارة القديمة

بالمشرق، ثم مع اليونان بعد سنة ١٥٠٠ ق.م. ويبدو أنه قد نرح إلى قبرص
سوريون حوالي سنة ١٠٠٠ ق.م، وفينيقيون حوالي سنة ٨٠٠ ق.م.
وخضعت قبرص لأشور سنة ١٧٠٩ ق.م، وكذلك سنة ٦٧٠ ق.م.

ولقد خضعت قبرص لمصر خلال الفترة من سنة ٥٦٩ ق.م إلى سنة
٥٢٥ ق.م. وخلال كل ذلك كان لكل مدينة من مدن قبرص ملك
عليها، وهذه الملكيات الصغيرة التي ترجع إلى العصر البرونزي استمرت
حتى إلى عصر البطالمة. وفي سنة ٥٢٥ ق.م وقعت قبرص في قبضة الفرس،
ثم مرة أخرى سنة ٣٨٧ ق.م إلى أن ثار ملوكها وحرروها منهم سنة
٣٥٠ ق.م. وفي سنة ٣٣٣ ق.م انحازت قبرص إلى جانب الإسكندر
الأكبر، واستولى عليها بطليموس الأول سنة ٣١٣ ق.م، وبقيت في حوزة
البطالمة إلى أن استولت عليها روما سنة ٥٨ ق.م. وخلال فترة حكم
البطالمة لها ظهرت بها جاليات يهودية، وكان لهم في سلاميس أكثر من
مجمع يهودي.

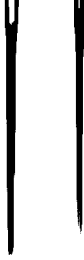
دخول المسيحية إلى الجزيرة

عندما كانت الجزيرة خاضعة لروما، وأصبحت جزءاً من ولاية
كيليكيا الرومانية، بُشرت بالمسيحية بواسطة الرسولين بولس وبرنابا.
وكثير من القديسين القبارصة الذين ذُكروا في السنكسار البيزنطي تؤكد
سيرهم أن المسيحية قد عرفت طريقها إلى هذه الجزيرة منذ زمن مبكر.

وفي مجمع نيقية المسكوني الأول سنة ٣٢٥م، مثل جزيرة قبرص
ثلاثة أساقفة كان من بينهم القديس سبيريدون Spyridon، وبعد ذلك
بقرن من الزمان تقريباً نسمع عن الأسقف الشهير القديس إيفانيوس
(٣١٥-٤٠٣م) أسقف سلاميس^(١) Salamis.

١- سلاميس مدينة كبيرة في شرق قبرص، يقابلها في غرب الجزيرة مدينة بافوس.

في هذه الفترة رُفعت مطالبات محدّدة باستقلال كنيسة قبرص عن



بطريركية أنطاكية الملكية، وبالرغم من معارضة البابا إينوسنت الأول (٤٠٢ - ٤١٧م) فإن مجمع أفسس المسكوبي الذي عُقد سنة ٤٣١م اعترف بمطالبات أساقفة قبرص في جلسته السابعة. وجاء في القانون الثامن للمجمع ”... أساقفة إيبارشية قبرص ... روال لنا ... أن أسقف أنطاكية قام برسامات في قبرص مع أن رؤساء الكنائس في قبرص لهم امتيازات يتمتعون بها بدون معارضة أو اعتداء من أحد حسب قوانين الآباء الطوباويين، والتقليد القديم في رسامة أساقفتهم ...“. فواضح أنه منذ سنة ٤٣١م، أصبحت كنيسة قبرص كنيسة مستقلة.

حكم العرب القبارصة فترة من الوقت، ولكنهم تحرروا في القرن العاشر الميلادي، وفي هذه الفترة بنيت أديرة كبيرة وكثيرة بالجزيرة. وفي فترة الحروب الصليبية على الجزيرة سنة ١١٩٦م تسبب إدخال اللاتينية في العبادة الكنسية إلى حدوث اضطرابات وقلقل، وشهدت القرون الأربعة التالية لهذا التاريخ نزاعاً بين اللاتينية واليونانية، ولكن الكنيسة اللاتينية أجمدت تماماً عندما احتل الأتراك الجزيرة.

كنيسة قبرص تحت حكم الأتراك

استولى الأتراك على قبرص سنة ١٥١٧م، وسمح الأتراك لليونان بإعادة تنظيم كنيستهم وإنشاء أربع إيبارشيات في أنحاء الجزيرة تتبع

العلاقات بين الأساقفة ومعهم الإكليروس من ناحية والسلطات الحاكمة من ناحية أخرى، لأن الأساقفة رغبوا أن يصبحوا قادة مدنيين للجزيرة في ذات الوقت. وعندما أصبحت قبرص مستعمرة بريطانية في سنة ١٩٢٥م استمر البريطانيون في اتباع النظام التركي في جعل رأس الكنيسة هو الزعيم المدني للجزيرة. وفي سنة ١٩٤٧م طالب سكان الجزيرة بالاتحاد مع اليونان التي يشترك القبارصة مع أهلها في العنصر واللغة والعقيدة الأرثوذكسية، فتلكأت بريطانيا في التحلي عن سيطرتها، وأثرت مشكلة الأقلية التركية، وتزعم الأسقف مكاريوس حركة القبارصة اليونانيين بعد سنة ١٩٥٠م. وخلال السنتين ١٩٥٥م و١٩٥٦م نشبت اضطرابات بين القبارصة اليونانيين الذين يرغبون في الاتحاد مع اليونان، والقبارصة الأتراك الذين يعارضون ذلك. وأخيراً وقعت بريطانيا واليونان وتركيا اتفاقاً سنة ١٩٥٩م يقضي بإقامة جمهورية قبرصية مستقلة ذات مجلس تشريعي، ثلثه من القبارصة الأتراك، وثلثاه من القبارصة اليونانيين. وانتخب الأسقف مكاريوس رئيساً للجمهورية في ديسمبر سنة ١٩٥٩م، ونالت قبرص استقلالها في أغسطس سنة ١٩٦٠م.

تقسيم الجزيرة بين اليونان والأتراك

في سنة ١٩٦٣م اشتد التنافس بين الطائفتين اليونانية والتركية، ولم يلبث أن تحول إلى معارضة دموية، وتدخلت هيئة الأمم المتحدة سنة ١٩٦٤م لإيقاف هذه الاضطرابات. وفي سنة ١٩٧٤م حاولت القوات القبرصية بقيادة ضباط من الجيش اليوناني فرض الاتحاد مع اليونان بالقوة المسلحة وتأزّم الموقف، واحتلت القوات التركية ٤٠% من شمال الجزيرة، فهرب الأسقف مكاريوس، لكنه عاد للظهور ثانية في الجزء اليوناني من الجزيرة. وفي ٨ يونيو سنة ١٩٧٥م، حاول القبارصة الأتراك تشكيل دولة مستقلة في شمال قبرص، وحوصر حوالي ٢٠٠,٠٠٠ يوناني مقيمون هناك

أصبحت أقاليم تحت تسلط الأتراك. وفي سنة ١٩٨٣م تأسست

جمهورية تركية في شمال قبرص، ولكن في سنة ١٩٨٤م شرعت الأمم المتحدة في مناقشات تهدف إلى الوصول لاتحاد فيدرالي للمناطق اليونانية والتركية في الجزيرة، وكانت النتيجة أن فشل المشروع.

وظل التوتر بين الطائفتين قائماً حتى التسعينيات من القرن العشرين، وخيم على الأفق شبح تقسيم الجزيرة العتيقة إلى جمهوريتين مستقلتين هائياً، واحدة لليونانيين والأخرى للأتراك.

وتضم كنيسة قبرص أكثر قليلاً من نصف مليون مسيحي أرثوذكسي، يخدمهم قرابة ٨٠٠ كاهن، وهي تضم أربعة إبارشيات تشكل السنودس المقدس الذي يحكم كنيسة قبرص.

لمحة عن الأقباط في قبرص

تم بناء كنيسة مار مرقس للأقباط الأرثوذكس في نيقوسيا في أغسطس سنة ٢٠٠١م، حيث عاد نشاط الأقباط فيها من جديد. ومن المؤكد أن الأقباط تواجدوا في قبرص منذ القرن الثاني عشر على الأقل، وكان بالجزيرة أربعة كنائس وثلاثة أديرة للأقباط على أقل تقدير. وآخر ذكر للأقباط هناك نجده في مخطوط تم نسخه في جزيرة قبرص، وهو محفوظ في دير القديس أنطونيوس، ويعود تاريخه إلى سنة ١٣٦٣ش/ ١٦٤٦م. وتفيد سجلات المكتبة الأهلّة بباريس أن الرّحالة فانسليب

ثانياً: كنيسة اليونان

تقع اليونان Greece جنوب شرق أوروبا، وتتألف من الجزء الجنوبي من شبه جزيرة البلقان، والجزر الواقعة في بحر إيجه، والبحر الأيوني. عاصمتها أثينا، ومن أشهر مدنها سالونيك. وبلاد اليونان جبلية تشيقها أنهار قصيرة، ولبعضها وديان خصيبة جداً.

إحصائية عامة

يمثل اليونانيون ٩٥% من مجموع الشعب، وإلى جانبهم هناك مجموعات عرقية أخرى، فالمقدونيون يمثلون ٢% من مجموع السكان، وهناك ١% أتراك، و ٢% جنسيات عرقية أخرى.

يدين بالارثوذكسية ٩٨% من مجموع السكان، و ١% بالإسلام، و ١% ديانات أخرى. واللغة اليونانية هي اللغة الرسمية ويتكلمها ٩٥% من السكان، بينما يتكلم المقدونية ٢% منهم، و ١% يتكلمون التركية، و ١% الألبانية، و ١% لغات أخرى.

ومساحة البلاد ١٣١,٩٤٤ كيلومتر مربع. ويبلغ تعداد السكان سنة ٢٠٠٠م أكثر قليلاً من ١٠ مليون نسمة، ويتضاعف العدد كل ٣٤٧ سنة إذ أن معدل زيادة السكان السنوي هو ٢% فقط. يسكن ٥٨% من السكان في المدن، ونسبة المتعلمين منهم تبلغ ٩٣%.

بلاد اليونان قديماً

عُرفت اليونان في عصر ما قبل التاريخ ببلاد الإغريق، فقد وفد عليها أول أفواج الإغريق حوالي سنة ٢٠٠٠ ق.م، وهم الذين عُرفوا باسم "الآحيين"^(١)، وتبعهم "الأيوليون"^(٢)، و"الأيونيون"^(٣)، حيث أسس هؤلاء الغزاة بعضاً من المدن الحصينة. وازدادت المدن اتساعاً وغمي^(٤). وحوالي سنة ١١٠٠ ق.م، وفدت آخر أفواج الإغريق الذين عُرفوا باسم "الدورين"، وكانوا لا زالوا في حالة البداوة، فتدهورت الحضارة الميكينية، وتفرق أهلها في أنحاء العالم الإغريقي أمام الغزاة الجدد. ومرت البلاد بفترة ركود دامت قرنين أي إلى حوالي أواخر القرن التاسع قبل الميلاد. وترتب على مجيء الدورين، ونظراً لطبيعة البلاد الجغرافيّة، أن قامت مئات من المدن الحرة المستقلة التي كانت شديدة الحرص على حريتها واستقلالها، فذبت بينها المنافسة، واشتعلت الأحقاد والحروب، وكانت أهمها أثينا واسبرطة وكورنثوس، إلا أن هذه المنافسة قد ساعدت على قيام الحضارة الإغريقيّة وتقدمها.

١- يري كثير من الباحثين أنهم من الجنس الهندي أوروبي، غزوا شبه جزيرة البلقان، وسيطروا على أهلها وخاصة في الجنوب، واصطغفوا بحضارة كريت. لكن روايات القدماء تقول إنهم سكان أصليون في شبه الجزيرة.

٢- نسبة إلى "أبوليس" أو "أبوليا"، وهو اصطلاح عام بطلية على مجموعة المدن القديمة

بعد أن خضع الإغريق للرومان وفقدوا حريتهم سنة ١٤٦ ق.م، وإزاء استقلال المدن الإغريقية بعضها عن بعض، تطورت نظم الحكم في كل منها تبعاً لظروفها الخاصة، ولكن ظلت اسيرطة فريدة في نظام حكمها.

وقبل العصر الذي خلده أشعار هوميروس، تطلع الإغريق إلى البحر، وخلال القرون من الثامن إلى السادس قبل الميلاد انتشر الإغريق في البحار وأسسوا على شواطئ البحر الأسود والبوسفور وبحر مرمرة والدرديل وتراقيا وجنوب إيطاليا وصقلية وجنوب فرنسا وأسبانيا وشمال إفريقيا عدداً كبيراً من المستعمرات، كانت مدناً حرة لا تربطها عادة بأمهاتها إلا روابط الدين والحضارة.

وكان لاتنصار المدن الإغريقية بمواردها المحدودة على الإمبراطورية الفارسية بمواردها الهائلة أكبر الأثر في شحذ هم تلك المدن، وخاصة أثينا، فبلغت حضارتها الذروة في عصر بركليس^(٥)، حيث ازدهرت الآداب والعلوم والفنون. لكن انتصار اسيرطة على أثينا في الحروب التي دارت بينهما^(٦)، قد سلب أثينا زعامتها السياسية، ولكنها ظلت زعيمة الحضارة الإغريقية، فهي التي أنجبت سقراط وأفلاطون وأرسطو.

وفي العصر الهيلينستي، حين كانت بلاد الإغريق نهباً للحروب والاضطرابات والفاقة، انتشرت الحضارة الإغريقية في ربوع الشرق والغرب، بل أصبحت عوالم الممالك التي قامت على أنقاض الإمبراطورية

٥ - زعيم أثيني (٤٩٥ - ٤٢٩ ق.م) عُرف باتساع أفقه وذكائه. كان هدفه أن يجعل أثينا زعيمة الحضارة الإغريقية، وتحت زعامته شهدت أثينا أزهى عصورها، فأقيم فيها أروع المنشآت، وأجمل التماثيل، وبلغت نظمها الديمقراطية أقصى مداها.

٦ - تُعرف بالحروب البلوبونيزية، واستغرقت السنوات ٤٣١ - ٤٠٤ ق.م.

المقدونية^(٧)، أهم مراكز الحضارة الإغريقية. وكانت الإسكندرية في

طليعة تلك المراكز. ومع أن الرومان قضوا على حرية الإغريق، إلا أنهم أقبلوا على اقتباس حضارتهم، والاعتراف من مناهلها، وعندما انقسمت الإمبراطورية الرومانية سنة ٣٩٥م، إلى الإمبراطورية الغربية والإمبراطورية الشرقية، كانت هذه الأخيرة قد اصطبغت تماماً بالصبغة الإغريقية.

اليونان في العصور الوسطى والحديثة

لم تقم بلاد اليونان بدور هام في التاريخ البيزنطي، وكثيراً ما غزاها البرابرة، ووقعت البلاد فُجأً للأتراك، والنورمان، والفرنسيين، والإيطاليين، إلى أن وقعت البلاد كلها في يد الأتراك سنة ١٤٥٦م. ولم تكن لبلاد اليونان أهمية في الإمبراطورية العثمانية. وعندما استيقظت الروح الوطنية لدى اليونانيين بدأوا ثورتهم سنة ١٨٢١م، وساندها أحرار الأوروبيين فحالفها التوفيق. وفي سنة ١٨٢٧م نالت البلاد استقلالها، وفي سنة ١٨٣٠م اعترفت بها فرنسا وإنجلترا وروسيا كمملكة مستقلة.

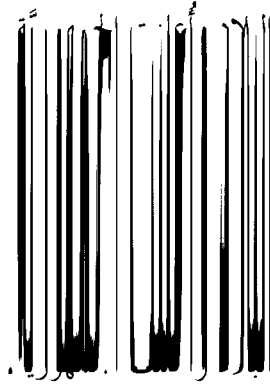
ولم تنجح اليونان في حربها مع الأتراك (١٨٩٦ - ١٨٩٧م) في الحصول على كريت، لكن أدى الضغط الدولي فيما بعد إلى إدماج كريت في بلاد اليونان سنة ١٩١٣م. وفي سنة ١٩٢١م غزا اليونانيون

آسيا الصغرى بتشجيع من الحلفاء، لكن الأتراك بقيادة كمال أتاتورك أنزلوا بهم هزيمة ساحقة سنة ١٩٢٢م، وبمقتضى معاهدة لوزان سنة ١٩٢٣م أعلن قيام جمهورية اليونان، ولكنها سرعان ما عادت إلى الملكية سنة ١٩٣٥م تحت حكم الملك جورج الثاني.

وفي الحرب العالمية الثانية التزمت اليونان الحياد إلى أن غزاها الإيطاليون من ألبانيا سنة ١٩٤٠م، وقد قاوم اليونان الغزو بشجاعة فائقة، ونقلوا مسرح الحرب إلى جنوب ألبانيا. وفي إبريل سنة ١٩٤١م غزت ألمانيا يوغوسلافيا واليونان، فسقطت اليونان في قبضتهم، وانتقلت حكومة اليونان إلى الخارج، واستقرت في القاهرة في سنة ١٩٤٣م. واشتدت مقاومة اليونان للألمان في شكل حرب عصابات، وبمساعدة البريطانيين طُرد الألمان من البلاد في سنة ١٩٤٤م، لكن النزاع الداخلي زاد حدة البلاء سوءاً.

في سنة ١٩٤٧م مات الملك جورج الثاني، وخلفه أخوه بولس الأول (١٩٤٧ - ١٩٤٩م) فعادت من جديد حرب العصابات التي قادتها هذه المرة الجماعات الشيوعية، حيث كانت البلاد قد وقعت تحت سطوة حكومة شيوعية، وبمساعدة أمريكا هُزمت القوات الشيوعية وعادت البلاد إلى الملكية. وفي سنة ١٩٥١م انضمت اليونان إلى حلف الأطلسي، وظلت مشكلة جزيرة قبرص سبب جفاء شديد بين اليونان وتركيا حتى اليوم.

في سنة ١٩٦٧م قاد الكولونيل جورج بابا دولوس انقلاباً عسكرياً، وأقصي الملك قسطنطين عن عرشه، ونُفي إلى إيطاليا. وفي سنة ١٩٧٤م ساند الجيش اليوناني الانقلاب العسكري الذي حدث في قبرص، وبسبب الفضيحة التي أعقبت هذا الانقلاب، أُسقطت الحكومة، وأجريت الانتخابات الشعبية، وتولى بموجب نتيجتها قسطنطين كارافانليس حكم



في سنة ١٩٨١م دخلت اليونان السوق الأوروبية المشتركة، وخسر الحزب الإشتراكي اليوناني قيادة الحكومة. وفي سنة ١٩٨٩م خسر الإشتراكيون تماما قوتهم وسطوتهم بعد اكتشاف تورطهم في فضيحة مالية.

كنيسة اليونان

تتمتع كنيسة اليونان بين كنائس الشرق المسيحي بمكانة فريدة، لأن اليونان هو البلد الوحيد الذي يعتنق الأرثوذكسية رسمياً، وأرثوذكسيته ليست اسمية فقط، لأن ٩٨% من مجموع السكان يدينون بها.

وبحسب دستور اليونان سنة ١٩٧٥م فإن الكنيسة منفصلة عن الدولة، ويحكمها تنظيمها الداخلي.

ويرعى الشعب الأرثوذكسي في اليونان حوالي ٨٠ أسقفاً، و٩ آلاف كاهن يخدمون الاحتياجات الروحية للشعب في ٨ آلاف دائرة رعوياً.

واليونان هو أحد البلاد القلائل التي تلقت أخبار البشارة بالمسيح في السنوات الأولى بعد صعود الرب إلى السماء. وقد دخلت المسيحية إليها

وعلى ذلك تعتبر كنيسة اليونان أول كنيسة تأسست في أوروبا. ولغة اليونان هي اللغة التي كُتبت بها أسفار العهد الجديد، وهي اللغة التي تستخدمها كل الكنائس البيزنطية تقريباً في خدماتها الليتورجية، ومن هنا حدث التداخل في التعبيرين "الكنيسة البيزنطية" و"الكنيسة اليونانية" حتى أن أي كنيسة تتبع بطريركية القسطنطينية كان يمكن تسميتها كنيسة يونانية، نظراً لوحدة اللغة الأصلية لشعوب هذه الكنائس.

وفي أثناء حرب الأيقونات التي نشبت في العالم البيزنطي في القرن الثامن الميلادي، وقفت كنيسة اليونان تؤيد بشدة استخدام الأيقونات في الكنيسة. وفي خلال الفترة ما بين القرنين الثامن والعاشر للميلاد استطاعت كنيسة اليونان وبجهد إكليروسها ونضالهم في التصدي للغزو السلافوني الذي اجتاح البلاد قادماً من الشمال بغية القضاء على الهيلينية.

وفي أثناء الاحتلال الفرنسي لليونان إبان الحروب الصليبية سنة ١٢٠٤م ظلت كنيسة اليونان محافظة على سميتها الشرقية، وتماسكها بالرغم مما عصف بها من ألوان القمع والاضطهاد بسبب تعاطف الشعب مع رعاته الوطنيين من الإكليروس والكهنة. وعندما أصبح الأتراك سادة اليونان سنة ١٥٠٣م بعد سقوط القسطنطينية بنصف قرن، لم يستطع الغزاة نحو الوعي الوطني لليونانيين، ولا لغتهم الأصلية، بالرغم من كل المحاولات التي بذلت في ذلك الوقت، فظل الإكليروس اليوناني يتمتع بامتيازاته، وعُومل رجال الدين كممثلين لمصالحهم الوطنية في تعاملهم مع الأتراك.

في نهاية القرن الثامن عشر سقطت الإمبراطورية العثمانية بسبب الحروب الداخلية، وكان هذا السقوط إيذاناً ببدء جهاد اليونانيين للحصول على استقلالهم. وحوالي سنة ١٨٢١م كانت ثورة التحرير قد اجتاحت كل المنطقة المحتلة من مولدافيا إلى كريت. وفي أول يناير سنة

١٨٢٢م وبعد إعلان قيام دولة اليونان كدولة فيدرالية مستقلة، اجتمع

أول مجلس وطني يوناني، وأعلن أن الإيمان الأرثوذكسي هو "العقيدة السائدة في مملكة اليونان"، ومن هنا بدأ تكوين أول شكل مستقل للكنيسة اليونانية. وفي فبراير سنة ١٨٣٠م أعلنت اليونان دولة مستقلة تماماً، وهنا كان لا بد للكنيسة أن تعلن أيضاً استقلالها وحريتها الكاملة في إدارة شؤونها الذاتية، دون أن تنفك من التبعية القانونية لبطيركية القسطنطينية. وفي سنة ١٨٣٣م أعلنت الكنيسة اليونانية أنها كنيسة مستقلة إدارياً عن تبعية بطيركية القسطنطينية، ولم تعترف كنيسة القسطنطينية باستقلال كنيسة اليونان إلا في يونيو سنة ١٨٥٠م عندما قررت بطيركية القسطنطينية أن "الكنيسة الأرثوذكسية في مملكة اليونان تصير منذ الآن فصاعداً مستقلة قانونياً"، وأعطيت السلطة الكاملة والعليا للمجمع المقدس للكنيسة اليونانية الذي يرأسه متروبوليت أثينا، إذ أن رئيس أساقفة أثينا هو رئيس الكنيسة اليونانية.

حول اللاهوت الأرثوذكسي اليوناني

تدريس العقيدة الأرثوذكسية حتمي لكل الطلبة في المدارس الحكومية. وتضم الجامعات اليونانيتين في أثينا وتسالونيكى معهداً مرموقاً

بالإضافة لذلك هناك ٧ معاهد لاهوتية، و ٨ مدارس إكليريكية، ومدارس لدراسة الكتاب المقدس.

واللاهوت اليوناني الذي أنتجه أساتذة اللاهوت في اليونان في الخمسين سنة الأولى من القرن العشرين يشوبه بعض الجفاف، وتطغى عليه الروح الأكاديمية بعض الشيء. فلقد ظل لاهوتاً مدرسياً يُلقى في قاعات المحاضرات، لكنه معزول في ذات الوقت عن الحياة الروحية المعاشة في صوامع الأديرة. فاللاهوت اليوناني ليس باللاهوت الصوفي كما في الحقبة البيزنطية، حين كان يُعثر على اللاهوتيين في صوامع الأديرة تماًماً كما في الجامعات.

ومما يؤسف له أن معظم اللاهوتيين اليونانيين الذين تلقوا دروسهم في جامعة أجنبية (في ألمانيا معظم الأحيان) قد خضعوا لتأثير الفكر الديني للبلدان الأخرى على حساب تقليدهم الديني الأرثوذكسي الخاص. لذلك فإن الكنيسة اليونانية قد بدأت الآن من جديد تستعيد بصورة حياتية فكر آباء الكنيسة. وإن النهضة الحاصلة حالياً في جبل آتوس تشير إلى تغير ملموس في هذا المجال.

الحياة الرهبانية في كنيسة اليونان

يوجد باليونان حوالي ٤٠٠ دير للرجال وأكثر من ١٥٠ دير للنساء. ويضم الدير الواحد عادة ما بين ٥ - ١٠ رهبان (أو راهبات) يعيشون كأسرة واحدة، يقتاتون من عمل أيديهم في الأشغال اليدوية، أو الطباعة، أو رسم الأيقونات، أو الزراعة. وأديرة النساء - على عكس أديرة الرجال - تلقى نمواً متزايداً في عدد الراهبات. ويعد الأب أمفيلوخيسوس (+ ١٩٧٠م)

أعظم أب روحى شهدته اليونان في عصرها الحديث.

وقد شهدت الرهبنة في كنيسة اليونان إقبالاً ضعيفاً من الشباب على الحياة الرهبانية في الخمسين سنة الأولى من القرن العشرين، وبات كثير من الأديرة التاريخية مهدداً بالخراب. والرهبان المثقفون قلائل جداً في الأديرة القائمة، إلا أنه في الآونة الأخيرة لاحت مجهودات ملحوظة لإحياء الحياة الرهبانية. وفي سبتمبر سنة ١٩٩٠م احتفل بمرور ٦٠٠ سنة على تأسيس المركز الرهباني الكبير المسمى "ميتورا - Meteora" وهو مجموعة من الأديرة المشيدة على قمم جبال صخرية في أقاصي تساليا^(٨).

الفن الديني اليوناني

يجتاز الفن الديني اليوناني مرحلة تطوُّر بالغة الأهمية على حساب الطراز الغربي الذي كان شاملاً في بداية القرن العشرين، من أجل العودة إلى التقليد البيزنطي القديم. فقد تم تزيين عدد كبير من كنائس أثينا وغيرها منذ مدة وجيزة بالأيقونات والجدرانيات المنفذة بدقة حسب القواعد التقليدية. وكان على رأس النهضة الفنية الرسام اليوناني المعاصر "فوتوس كوتوغلو" (١٨٩٦ - ١٩٦٥م) المعروف بأنه المحامي العنيد عن الفن البزنطي، وتعلقه على النهضة الايطالية أمر ممن له جهة نظر ه

إنحطاط^(٩)“.

وفي جزيرة ”تينوس“ باليونان تم اكتشاف أيقونة عجائبيّة للعدراء القديسة مريم سنة ١٨٢٣م وهي تحمل السيد المسيح له المجد على ذراعيها. وكانت هذه الأيقونة مدفونة في أساس كنيسة مهدّمة. ويقوم في هذا المكان اليوم مزار كبير يقصده الزوار، ويرتاده المرضى بنوع خاص، وقد حصل فيه العديد من حالات الشفاء العجائبيّة. وفي عيد انتقال السيدة العذراء في ١٥ أغسطس (آب) من كل سنة، تغص الجزيرة بجمهور غفير من الزائرين.

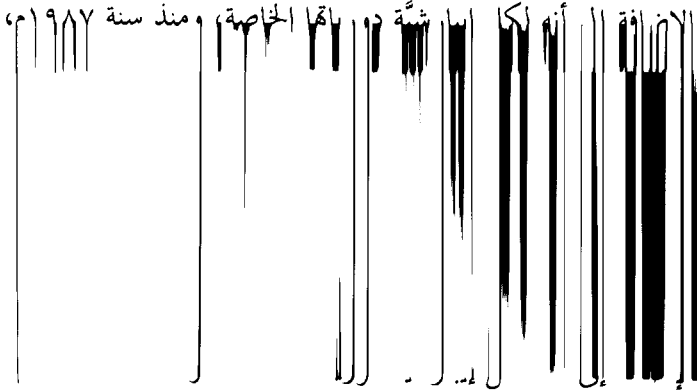
المؤسّسات الدينيّة في اليونان

– المجمع المقدس: وهو يشمل كل أساقفة الإيبارشيات الـ ٧٧ في دولة اليونان^(١٠). وبلغ عدد الأساقفة اليونان سنة ١٩٩٣م ٨٠ أسقفًا. وكل الأساقفة حاصلين على مؤهلات عليا لاهوتيّة (ماجستير أو دكتوراه).

وينشر المجمع المقدس مجلات دوريّة تشرح الإيمان المسيحي، ومن بينها جريدة ”إكليسيا“ أي ”الكنيسة“، وهي اللسان الناطق باسم الكنيسة. ومجلة ”الحق الكنسي“، وجرائد ”نيولوجيا“، و”اليوميّة“، وهذه الأخيرة هي جريدة يوميّة.

٩- ش. كافار نوس: الفن الديني البيزنطي، مختارات من كتابات الرسام اليوناني المعاصر فوثيوس كوتوغلو، نيويورك، ١٩٥٧، ص ٢١، مقتبس عن كتاب: تيموثي وير، الكنيسة الأرثوذكسية في الماضي والحاضر، مرجع سابق، ص ١٨٢.

١٠- إيبارشيات اليونان هي إيبارشيات صغيرة، لأنك إذا قارنت بين ٧٧ إيبارشيّة في اليونان تحدم ١٠ مليون نسمة، مع ٦٧ إيبارشية في روسيا تحدم ١٠٠ مليون نسمة تدرك الفرق.



أصبح للمجمع المقدس دار للنشر والطباعة الخاصة بالكنيسة، ومحطة للإذاعة بموجاتها الخاصة بالكنيسة.

- المجمع الدائم: وهو يتكوّن من ١٢ أسقفًا فقط، وهو المجمع الذي يستعين به رئيس الأساقفة ليقوم بتدبير شؤون الكنيسة، وتسيير أمورها. ويُنتخب هذا المجمع المصغر كل خمس سنوات من بين الثمانين أسقفًا. وهذا هو النظام المتبع في كل الكنائس الأرثوذكسية البيزنطية.

- مجمع الكنيسة العام: وهو يتكوّن من الأساقفة وممثلي الشعب وممثلي مؤسسات الكنيسة. ويمثلون كافة إبارشيات الكنيسة.

ويتبع الكنيسة مؤسسات ترعى وتوفّر الخدمة الروحية والاجتماعية للشعب اليوناني، وأهمها:

- حركة "زوثي" أي "الحياة": وتأسست سنة ١٩٠٧م، وهي أقدم هذه المؤسسات وأوسعها انتشاراً، وتعرف باسم "أخوية اللاهوتيين" وأعضاؤها بين متبشرين مكرّسين للخدمة، وكهنة وأعضاء من الشعب، وينشغل معظم أعضاء هذه الهيئة في أداء خدمات مدارس الأحد للكنائس اليونانية، وتصدر هذه الهيئة نشرة "زوثي" التي يبلغ توزيعها

وباتراس. أما أجمل صورة لنشاط ”زوثي“ فهي الحلقات التي تعقدها لدراسة الكتاب المقدس، والتي ينتظم فيها آلاف من طلاب الجامعات، يجتمعون كل أسبوع ليدرّسوا كلمة الله.

- حركة ”سوتير“ أي ”مخلص“: وهي تتكوّن من بعض العلماء اللاهوتيين سواء من الإكليروس أو من الشعب، ويقومون أيضاً بعمل كرازي مثل حركة ”زوثي“ وينشرون مجلّتهم الأسبوعيّة ”سوتير“.

- أخويّة ”الخدمة الرسوليّة“: وهي تهدف إلى رفع المستوى الروحي للشعب اليوناني، وتعضيد العمل الكرازي، وتعد الكارزين والوعاظ وآباء الاعتراف وتدرّهم وتنشر كتباً وتنظم مؤتمرات اجتماعيّة دينيّة، وتجهز البرامج الدينيّة لوسائل الإعلام المختلفة.

- معهد الإرساليّات التبشيريّة: أنشأ المجمع المقدس لكنيسة اليونان سنة ١٩٧٠م معهداً للإرساليّات التبشيريّة الأرثوذكسيّة في أثينا، ويرتبط هذا المعهد علمياً بجامعة أثينا، وتتكوّن هيئة التدريس فيه من ١٢ لاهوتياً، ويرأس هذا المعهد أحد الأساقفة. وقد التحق به فور إنشائه حوالي ٣٠ طالباً يدرسون فيه ويتدربون على العمل في الإرساليّات الأرثوذكسيّة في اليابان وكوريا وبعض الدول الأفريقيّة.

في مايو سنة ١٩٩٨م تم تنصيب المطران خريستوذولوس رئيس أساقفة أثينا رئيساً للكنيسة الأرثوذكسيّة باليونان (٥٩ عاماً) وهو رجل ذو ثقافة عالية، وعلم غزير، إلى جانب أنه إداري مميّز، وصاحب خبرة طويلة في مجال الخدمة الرعويّة الروحيّة. وهو يجيد التحدّث باللغات الإنجليزيّة والألمانيّة والفرنسيّة والإيطاليّة بطلاقة تامة إلى جانب لغته اليونانيّة. ويحمل درجة الدكتوراه في القانون الكنسي، وله عدة مؤلّفات

ومقالات مختلفة. وقد بدأ مرحلة جديدة في العلاقات مع الكنائس

الأرثوذكسية، وكذلك استئناف الحوار مع كنيسة روما والذي توفى تماماً في حبريّة سلفه.

ثالثاً: كنيسة تشيكوسلوفاكيا

تشيكوسلوفاكيا هي الدولة التي تحوي المناطق التاريخية الآتية: بوهيميا، ومورافيا، وسلوفاكيا. وهي جمهورية بأوروبا الوسطى، تحدها بولندا شمالاً، وألمانيا في الشمال والغرب، والنمسا والمجر جنوباً، وروسيا شرقاً.

إحصائية عامة

يسكن تشيكوسلوفاكيا - السابقة - مجموعات عرقية من التشيك تمثل ٦٣% من مجموع السكان، والسلوفاك ويمثلون ٣٢% منهم. وهنغاريون يمثلون ٤%، أما الـ ١% الباقية فهي مجموعات عرقية أخرى. أي أن الجمهورية التشيكوسلوفاكية التي تضم حوالي ١٦ مليون نسمة، وبغالبية سكانها سلافيون أي من أصل سلافي، يمثل التشيك فيها حوالي ١٠ مليون، والسلوفاكيين يمثلون حوالي ٥ مليون نسمة، أما الباقي فهم من البولنديين، وأقليات من ألمانيا والمجر. ويتضاعف عدد السكان كل ٢٣١ سنة، حيث يبلغ معدل زيادة السكان سنوياً حوالي ٣%. يسكن ٧٥% منهم في المدن، و٩٩% من الشعب متعلمون، وتصرف البلاد ٥,٢% من دخلها القومي على التعليم.

واللغتان الرئيسيتان في البلاد هما التشيكية ويتكلمها ٦٣% من مجموع السكان، والسلوفاكية ويتكلمها ٣١%، عدا لغات أخرى هي الهنغارية ويتكلمها ٤% والرومانية ويتكلمها ١%، أما الـ ١% الباقية فهي لغات أخرى.

مساحة البلاد ١٢٧,٨٧٠ كيلومتر مربع. يدين ٦٦% من السكان



بالكاثوليكية، و ٢٠% ملحدون (أثناء فترة الحكم الشيوعي)، و ٤% بروتستنت، و ١٠% ديانات أخرى.

في التاريخ

تأسست جمهورية تشيكوسلوفاكيا باسمها هذا في سنة ١٩١٨م نتيجة تفكك الإمبراطورية النمساوية المجرية.

وبعد انهيار الشيوعية أو بالحري ذوبانها كما يذوب الجليد أمام حرارة النيران، عادت جمهورية تشيكوسلوفاكيا إلى وضعها الأصلي، وانقسمت إلى جمهوريتين مستقلتين هما جمهورية التشيك، وعاصمتها "براغ"، وكان أول رئيس لها في عصرها الحديث هو "فاتسلاف هافيل" سنة ١٩٩٤م. وجمهورية سلوفاكيا وعاصمتها "إتسلاف"، وأول رئيس لها هو "ميخائيل كوفيتش". وتعيش الجمهوريتان جنباً إلى جنب في تعايش سلمي، وهوض إقتصادي وثقافي. وبرغم انقسام تشيكوسلوفاكيا إلى جمهوريتين فلا زالت كنيسة تشيكوسلوفاكيا كنيسة واحدة.

كان ظهور هتلر في ألمانيا وضمه النمسا قد عرض تشيكوسلوفاكيا

واستطاع هتلر أن يضع دولة "التشيك والسلوفاك" سنة ١٩٣٩م تحت إشراف ألمانيا، وجعل بوهيميا ومورافيا حماية ألمانية، ومنح سلوفاكيا استقلالاً إسمياً، وأعطى روثينيا للمجر.

وفي إبريل سنة ١٩٤٤م خلال الحرب العالمية الثانية دخلت القوات الروسية تشيكوسلوفاكيا. وحررت القوات الأمريكية ومعها الروسية البلاد في مايو سنة ١٩٤٥م. واستطاع الحزب الشيوعي سنة ١٩٤٦م أن يصبح أقوى الأحزاب، حتى استطاع الشيوعيون سنة ١٩٤٨م القيام بانقلاب استولوا بموجبه على الحكم، وأصبحت تشيكوسلوفاكيا منذ ذلك التاريخ دولة شيوعية. وبدأت فترة القمع الاستالينية.

في سنة ١٩٤٩م قُسمت تشيكوسلوفاكيا إلى أربع ولايات: الثلاثة الأولى وهي بوهيميا^(١)، ومورافيا^(٢)، وسيليزيا^(٣)، وتمثل الأراضي

١- بوهيميا مقاطعة قديمة تقع غرب تشيكوسلوفاكيا، وعاصمتها "براغ"، وسكانها حوالي ٥,٥ مليون نسمة. وهو إقليم خصيب مرتفع، به كثير من الصناعات الثقيلة، غالبية سكانه من التشيك بعد طرد معظم الأقلية المتكلمة بالألمانية، وكانت خاضعة لمورافيا.

٢- كانت مورافيا أول المقاطعات السلافية التي اتجهت إليها الإرساليات التبشيرية البيزنطية.

٣- سيليزيا هي منطقة تنقسم سياسياً إلى ثلاثة أقسام، أصغرها سيليزيا التشيكية، وقد كانت جزءاً من مورافيا إبان تبشير مورافيا بالمسيحية، وظلت كذلك حتى سنة ١٩٤٩م، حيث أُدمجت في بوهيميا، وتكونت بذلك بلاد التشيك. وهي تسمى بالتشيكية "سلزكو". أما القسم الثاني من سيليزيا فهو سيليزيا البولندية، وتُسمى بالبولندية "شلوسك" وكانت قبلاً تابعة لروسيا، ونزلت عنها لبولندا سنة ١٩٢١م. أما أكبر الأقسام الثلاثة فهو سيليزيا الألمانية، وتُسمى بالألمانية "شلازين" وقُدِّ وُضعت تحت الإدارة البولندية سنة ١٩٤٥م، فقد كانت في القرن الحادي عشر جزءاً من بولندا. وبعد سنة ١٢٠٠م، انقسمت إلى إمارات صغيرة عديدة، وقبلت سيادة بوهيميا عليها سنة ١٣٣٥م، ولكن العنصر الألماني كان قد تغلغل في معظم سيليزيا. ثم آلت إلى النمسا سنة ١٦٥٧م، وفي سنة ١٧٤٥م، انتقلت سيليزيا الألمانية إلى الإدارة

التشيكية، أما الولاية الرابعة فهي سلوفاكيا^(٤). وكانت تشيكوسلوفاكيا

قد تنازلت عن مقاطعة روثينيا^(٥) لأوكرانيا السوفيتية. وكانت كل هذه الولايات تخضع لمورافيا عندما دخلتها المسيحية في القرن التاسع الميلادي، حتى أنه يمكننا القول ببساطة أن مورافيا هي نفس المكان الذي تشغله جمهورية تشيكوسلوفاكيا اليوم. فتقسيم الجمهورية التشيكوسلوفاكية إلى

البولندية، وطُرد السكان الألمان من كل سيليزيا إلى حين عُقد صلح عام مع ألمانيا. وضم جزء صغير من سيليزيا إلى سكسونيا.

٤- وهي تقع شمال تشيكوسلوفاكيا وتتأخم مورافيا وسيليزيا غرباً، والنمسا من الجنوب الغربي، والمجر جنوباً، وروثينيا شرقاً، وبولندا غرباً. وهي بمقتضى دستور تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٤٨م، تعتبر ولاية لها تشريعها وحكومتها الخاصة التي تعينها الحكومة المركزية في براج. ويجري في أراضيها الحضبة هـر الدانوب، وبها غابات كثيفة، وهي غنية بالمناجم (الحديد، النحاس، الذهب، الفضة، الرصاص، والزنك) وبالنباتات المعدنية، والمنتجات الكثيرة. ورغم صلتها الوثيقة بالتشيك، فإنها انفصلتا سياسياً ولمدة ١٠٠٠ سنة. واستعمرتها القبائل السلافونية في القرنين الخامس والسادس، وغزتها إمبراطورية مورافيا في القرن التاسع، ودخلتها المسيحية إبان حكمها. وينبغي أن نفرّق بين سلوفاكيا هذه في جمهورية تشيكوسلوفاكيا، وبين سلوفاكيا أو سلوفينيا التي تقع شمال غرب يوغوسلافيا. وسكانها أيضاً معظمهم من السلافين، ويدينون بالكاثوليكية.

٥- "روثينيا" اسم مشتق من الاسم اللاتيني "روسيا" وهو الاسم الذي كان مستعملاً في العصور الوسطى. وفيما بعد استعمل اصطلاح "الروثينيين" في الإمبراطورية النمساوية المجرية للدلالة على السكان الأوكرانيين في بولندا والمجر. ولم

ولايات هو تقسيم لم يبدأ إلا في القرن العشرين (١٩١٨م).

في سنة ١٩٦٨م تزعم ألكسندر دوسك الحزب الليبرالي، ولكن القوَّات السوفيتية غزت البلاد لإعادتها مرة ثانية إلى سياسة الشيوعية المتشددة، واستمرت سياسة الحكومة على هذا النحو حتى سنة ١٩٨٨م اقتداء بنفس أسلوب الإصلاحات السياسية والاقتصادية التي ينتهجها الاتحاد السوفيتي (سابقاً).

وفي سنة ١٩٩٠م وبعد إهيار الشيوعية انتُخب الأديب فاكلان هافيل Vaclan Havel وهو سجين سياسي قديم، انتخب على رأس أول حكومة غير شيوعية منذ ٤٠ سنة من هذا التاريخ. وفي خطاب له أمام شعبه قال: ”إن أسوأ شيء تركته الشيوعية هو أننا نعيش في بيئة فاسدة أخلاقياً. لقد صرنا مرضى أخلاقياً، لأننا اعتدنا على قول شيء بينما نحن نفكر في شيء آخر. لقد تعلمنا ألا نؤمن بشيء، ألا نحترم أحدنا الآخر، وأن نبحث عن أنفسنا فقط... عندما أتحدث عن بيئة فاسدة أخلاقياً، فأنا أعني كل واحد منا... فكل منا مسؤول بدرجات متفاوتة عن استمرارية دوران ماكينة الشمولية. لا يوجد بيننا من هو ضحية لها فقط، لأن كلاً منا ساعد على خلقها“. ثم استطرد قائلاً: ”كتب أول رئيس لنا قبل الشيوعية، يسوع وليس قيصر، هذه الفكرة بدأت تحيا من جديد مرة أخرى في داخلنا“.

نشأة المسيحية في تشيكوسلوفاكيا

كانت مورافيا هي أول مقاطعة سلافية تتجه إليها الإرساليات التبشيرية البيزنطية، حيث قصد كيرلس وأخوه ميثوديوس إلى مورافيا سنة

٨٦٣ م تلبيةً لنداء الأمير روستسلاف الذي طلب مبشرين من نوري

الكفاءة لإلقاء العظات، وإحياء الطقوس بلغة البلاد. وكان مثل هذا العمل يتطلب إيجاد ترجمة سلافية للكتاب المقدس، وكتب الكنيسة الطقسيّة. وكان الشقيقان قد شرعا قبل سفرهما إلى مورافيا في هذه الترجمة المطلوبة، ووضعاً لهذه الغاية أجمديّة خاصة مرتكزة على الأجمديّة اليونانيّة، وأجزأ الترجمة باللغة السلافونيّة التي عرفها منذ طفولتهما، وهي اللهجة المقدونيّة الخاصة بسلافي منطقة تسالونيكيا، وأصبحت حتى اليوم هي اللغة السلافونيّة المعتمدة في الليتورجيّة لدى الروس، وبعض الكنائس الأرثوذكسيّة الأخرى.

أي أنه في القرن التاسع تمت معموديّة بعض القبائل في تلك المنطقة، ومع نهاية القرن كان يحكمها حاكم مسيحي ولكن التأثير المسيحي على الشعب كان ضعيفاً جداً، وكان أغلب الشعب وثنيّاً. في الربع الأول من القرن العاشر حكم البلاد حاكم مسيحي تقي اسمه فاكلاف، ولكن شقيقه قتله وهو في طريقه إلى الكنيسة، وتولى الحكم مكانه وعمل على إزالة آثار المسيحيّة في البلاد. أما ابنه الذي كان يحمل نفس اسم أبيه بوليسلاف فقد تولى الحكم باسم بوليسلاف الثاني، وكان مسيحياً وفي فترة حكمه التي امتدت من سنة ٩٦٧م إلى سنة ٩٩٩م انتشرت المسيحيّة في منطقة بوهميا. في عهده تم تأسيس كرسي أسقف في براغ سنة

عواندهم وأخلاقياهم مع دخولهم إلى الإيمان المسيحي. وكان متشدداً في تحقيق ذلك فاصطدم بأمر البلاد بوليسلاف، وترك الكرسي مرتين، وفي كل مرة كان يعود إلى كرسيه. أما في المرة الثالثة فقد ترك كرسيه وذهب إلى منطقة بروسيا ليكرز بين الشعوب الوثنية في تلك المنطقة، وانتهى أمره بقتله في سنة ٩٧٧م.

كان للسلافيين المسيحيين منذ البداية ذاك الامتياز الكبير الذي لم يكن متوفراً وقتئذ في سائر بلدان أوروبا الغربية في سماع الإنجيل والخدم الكنسية بلغة يفهمونها، وعلى عكس كنيسة روما التي فرضت اللاتينية، لم تكن الكنيسة الأرثوذكسية متعنتة في موضوع اللغة، واتبعت في معظم الأحيان مبدأ إقامة الخدم الدينية بلغة الشعب.

ولكن سرعان ما اصطدمت البعثة اليونانية في مورافيا - كما في بلغاريا - بالمبشرين الجرمان. فكان كيرلس وميثوديوس يستخدمان السلافونية في الخدمات الكنسية، بينما الجرمان يلجأون إلى اللاتينية. وكل من الفريقين يعمل في ظل بطريركية مختلفة عن الأخرى، واحدة في القسطنطينية، والأخرى في روما. وإذ تفاقم الأمر قصد الشقيقان إلى روما لمقابلة بابا روما الذي لم يكن متعاطفاً مع الجرمان، فأبدى مساندته الكاملة للبعثة اليونانية، وكرّس استعمال اللغة السلافونية لغة ليتورجية في مورافيا، وكذلك وافق على ترجماتها وأودع نسخة من الكتب الطقسية السلافونية على مذابح الكنائس الرئيسية في المدينة.

توفي كيرلس سنة ٨٦٩م، ولكن ميثوديوس عاد إلى مورافيا. ولم يكثر الجرمان لقرارات بابا روما، وأعاقوا نشاطات ميثوديوس حتى أهم سجنوه مدة تزيد على السنة. وبوفاته سنة ٨٨٥م طرد الجرمان تلاميذه وباعوا بعضهم في سوق الرقيق. وظلت آثار البعثة السلافونية

مستمرة نحو قرنين من الزمان، في مورافيا، ولكنها ما لبثت أن أمحت

ورجّحت كفة المسيحيّة الكاثوليكيّة الغربيّة. بما في ذلك الثقافة اللاتينيّة واللغة اللاتينيّة.

وحتى اليوم لازالت الديانة الكاثوليكيّة هي الغالبة في جمهوريّة تشيكوسلوفاكيا، لاسيّما في ولايتي بوهيميا ومورافيا، ولكن توجد أيضاً جماعات بروتستنتيّة كبيرة فيهما.

وعلى مرّ الزمن وفي مناسبات عديدة انضم كثير من هؤلاء المسيحيين الكاثوليك إلى الأرثوذكسيّة. ففي سنة ١٩٣٠م اعتنق الأرثوذكسيّة ٢٥٠٠٠ في تشيكوسلوفاكيا، سبقتها مجموعات أخرى سنة ١٨٣٩م وسنة ١٨٧٥م. وفي سنة ١٩٤٥م عاد إلى الأرثوذكسيّة من أوكرانيا وتشيكوسلوفاكيا حوالي ٣,٥ مليون نسمة على الأقل. وتقول المصادر الكاثوليكيّة أن حركة الاتحاد مع الأرثوذكس كانت نتيجة للضغط الشيوعي. وفي حالات كثيرة نتيجة الإكراه والإرهاب. وأنهم بطريركيّة موسكو في ذلك لاسيّما في فترة خضوعها للحكم الشيوعي. ولقد عاد البعض إلى الكاثوليكيّة في سنة ١٩٦٨م عندما سنحت لهم الفرصة لتحقيق ذلك.

وفي سنة ١٩٥١م أصبحت الكنيسة الأرثوذكسيّة في

رابعاً: كنيسة بولندا

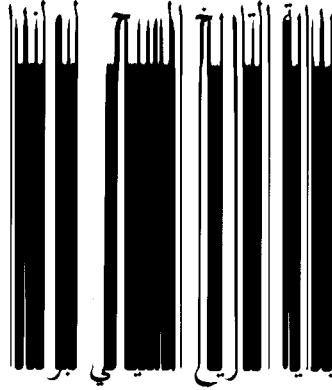
تقع بولندا في وسط أوروبا بين البحر البلطي شمالاً، وحرزام الكُربات^(١) جنوباً. وعاصمتها وارسو.

إحصائية عامة

يسكن البلاد جنس واحد وهم البولنديون ويمثلون ٩٩% من مجموع السكان. أما نسبة الـ ١% المتبقية فهي جنس أوكراني، بالإضافة إلى أجناس عرقية أخرى قليلة. يدين ٩٥% من البولنديين بالكاثوليكية، و٥% بديانات أخرى منها الأرثوذكسية. واللغة الرئيسية في البلاد هي البولندية ويتكلمها ٩٨% منهم، و١% يتكلمون الأوكرانية، و١% لغات أخرى.

مساحة البلاد ٣١٢,٦٨٠ كيلومتر مربع، وعدد السكان سنة ٢٠٠٠م بلغ حوالي ٣٨ مليون نسمة، ويتضاعف عدد السكان كل ٦٩٣ سنة، حيث يبلغ معدل زيادة السكان السنوي ١,٠%. يسكن ٦٢% منهم في المدن، ونسبة المتعلمين تبلغ ٩٨%.

١- جبال الكُربات هي سلسلة جبال بأوروبا الوسطى، تقع في تشيكوسلوفاكيا وغرب أوكرانيا وشمال رومانيا، تكوّن قوساً طوله نحو ١٤٤٨ كيلومتر، وهي جبال غنية بالأخشاب والمعادن والعيون المعدنية.



بدأ تاريخ بولندا في أوائل القرن التاسع الميلادي حينما تمت للبولنديين (ومعناها سكان الحقول) السيادة على القبائل السلافية الأخرى التي حطت رحالها بهذه البلاد.

ويبدأ التاريخ المسيحي لبولندا بالدوق ميسزكا الذي كان متزوجاً من زوجة مسيحية اسمها دوبراوا شقيقة الأمير بوليسلاف الثاني أمير بوهيميا. وتحت تأثير زوجته تعمّد الدوق ميسزكا في سنة ٩٦٧م، وأعقب ذلك إنشاء كرسي أسقفي لبولندا في سنة ٩٦٨م تحت رئاسة كرسي ماجدلبورج.

شهدت بولندا نهضة سياسية وكنسية في عهد ابن الدوق ميسزكا. فقد تولى الأمير بوليسلاف حكم بولندا من سنة ٩٩٢م إلى سنة ١٠٢٥م، وتوحّد البولنديون السلافيون في هذه الفترة، واتخذ زعيم البلاد لقب ملك سنة ١٠٢٥م. وفي عهده نمت البلاد إلى مملكة كبيرة كانت أكبر مملكة في أوروبا الشرقية في ذلك الوقت. وقد منحه بابا روما لقب ملك سنة ١٠٢٥م. وفي عهده تأسست الكنائس وانتشرت في ربوع بولندا، كما تم إنشاء عدة إبيارشيات جديدة، ولكن بعد وفاته شهدت الكنيسة عدة

تمتد من البحر البلطي إلى البحر الأسود تحت حكم الملك "لادسلوس"^(٣) الثاني (١٣٥٠ - ١٤٣٤م) الذي تعمد وصار مسيحياً سنة ١٣٨٦م مع كل أفراد أسرته التي عُرفت باسم أسرة "ياجيلو". وانضمت بولندا المسيحية إلى الكاثوليكية وتبعت كنيسة روما، وكان غالبية السكان يعتنقون المذهب الكاثوليكي. فازدهرت العلوم والفنون في عهد هذه الأسرة.

اضمحلال بولندا

يمكننا القول إجمالاً إنه في الفترة ما بين القرن الرابع عشر والسابع عشر كانت بولندا قوة عظمى. ولكن مع سنة ١٥٧٢م بدأ انهيار بولندا بسبب الحروب الأهلية التي نشبت بها، ودخولها في حرب مع روسيا والسويد، حتى فقدت بولندا استقلالها الفعلي تحت حكم ملوك سكسونيا في القرن السابع عشر. وقُسمت بولندا التقسيم الأول لها سنة ١٧٧٢م، بين روسيا وبروسيا والنمسا. ثم أُعيد تقسيمها سنة ١٧٩١م للمرة الثانية بين روسيا وبروسيا فقط، ثم قُسمت مرة ثالثة سنة ١٧٩٣م بين روسيا وبروسيا والنمسا. وهكذا مُحيت بولندا من خريطة أوروبا.

في سنة ١٨٣٠م ثارت بولندا التي كانت خاضعة حينئذ لقيصر روسيا، وأعلنت استقلالها. ولكن الروس سحقوا البولنديين واستعادوا

الكاثوليك. وكانت من أكبر دول أوروبا في العصر الوسيط. بلغت ذروة قوتها تحت حكم الملك "توت" (١٣٩٢ - ١٤٣٠م). ولكنها أخذت تتدهور تحت ضغط موسكو. ٣- لقب "لادسلوس" وهو في البولندية "لادسلو" هو لقب لسلسلة ملوك بولنديين، أما ملوك المجر فكانوا يُلقبون بلقب "لازلو".

والملك لادسلوس الثاني هو دوق لتوانيا الكبير، وقد ارتقى عرش بولندا سنة ١٣٨٦م، بزواجه من الملكة "يدويجا" وقد تعمد وحول لتوانيا إلى المسيحية، وكان زواجه أساساً لاتحاد الأمتين البولندية والتوانية.

وارسو سنة ١٨٣٢م، وجاءت عملية القمع رهيبية، فغادر الكثيرون من

البولنديين بلادهم ووجدوا تعاطفا نحوهم من الأوساط الليبرالية والكاثوليكية في الغرب، ولما التمس البولنديون تدخل بابا روما، دعا البابا البولنديين إلى الخضوع، فعم السخط في بولندا وكل أوروبا من مطلب البابا.

إعلان قيام الجمهورية البولندية

مع اندلاع الحرب العالمية الأولى وقرب نهايتها سنة ١٩١٨م حاول البولنديون إعادة مجد بلادهم، فأعلن في تلك السنة قيام الجمهورية البولندية، وبإصرار الدولة الجديدة على استعادة تخومها إلى ما كانت عليه سنة ١٧٧٢م نشبت حرب مع روسيا سنة ١٩٢٠م، وبعدها أصبحت بولندا خاضعة لألمانيا الغربية. وفيما بعد - وطبقاً لمعاهدة سرية تمت بين هتلر وستالين - وُضع القسم الأوسط منها تحت الاحتلال الألماني، أما شرقها فضم إلى روسيا. ولكن في سنة ١٩٤١م استولى الألمان مرة أخرى على البلاد بعد مهاجمتهم روسيا، وحُكمت البلاد بوحشية حيث قُتل ٦ مليون بولندي في أعقاب دخول الألمان إلى البلاد، بينما قُتل ٣ مليون يهودي في معسكرات الإبادة. ونزلت بالبولنديين محن شديدة، وتكونت حكومة بولندية في المنفى.

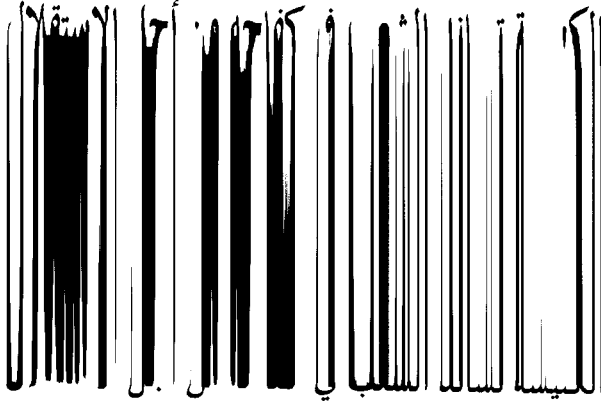
تحت تأثير الضغط الشيوعي في كنيسة روسيا تحول بعض المسيحيين الكاثوليك في بولندا إلى الأرثوذكسية التي تدين بها كنيسة روسيا. فتكونت كنيسة أرثوذكسية مستقلة في بولندا، ولكنها تعتمد كثيراً على بطريركية القسطنطينية.

الإرهابات الأولى ضد الشيوعية

في سنة ١٩٥٦م حدثت اضطرابات في البلاد بسبب المطالبة بالحرية. ومع حلول سنة ١٩٦٨م بدأت بولندا تدخل في مسلسل من الأزمات الداخلية والخارجية مع جيرانها السوفيت. وفي ربيع نفس هذه السنة قام الطلبة بمظاهرات تهتف بشعارات ضد الإتحاد السوفيتي بسبب تمثيلية كانت تُعرض في وارسو العاصمة تنتقد الروس، فضُرب الطلبة واعتُقلوا وأُغلقت الجامعات.

في شهر ديسمبر الدامي سنة ١٩٧٠م أخذت الأحداث دورة ثانية في بولندا عندما رفعت الحكومة الأسعار خلال موسم أعياد الميلاد، فظاهر العمال البولنديون مطالبين بظروف عمل أفضل، وزيادة في المرتبات مع إلغاء الزيادات في الأسعار، فأطلقت النيران على العمال من الدبابات وقتل المئات.

ثم في يونيو سنة ١٩٧٦م حدث انفجار جديد من الغضب والكرهية ضد الحزب الشيوعي البولندي، وحدثت صدامات دموية بين العمال والبوليس بعد رفع الحكومة لأسعار المواد الغذائية، وعندما أُعلن الإضراب العام تطورت المواجهة إلى مستو جديد بين الكنيسة والدولة.



في الفترة التي أعقبت شهر يونيو سنة ١٩٧٦م أثارت العظات التي ألقاها فوجتيل كاردينال كراكوف خلال الفترة من سنة ١٩٧٦م إلى سنة ١٩٧٨م حركة المقاومة الروحية، وزادت انتقاداته المباشرة بسبب سوء معاملة الحكومة للعمال والمتقنين والمتعلمين والطلاب والمؤمنين، كما هاجم الرقابة على الصحف، وشدد على أهمية تطبيق قوانين حقوق الإنسان البولندي التي لا تُعطى في هيئة تصريح، فقد وُلد الإنسان بها، وهو يسعى لتحقيقها خلال سني حياته، فالبوليس والسجون لا تقدّم الحل، إنما فقط ترفع الثمن الذي سيدفع في النهاية... الخ. وكانت النتيجة الحتمية أن توترت العلاقات بين كاردينال كراكوف والسلطات الشيوعية.

بانتقال البابا يوحنا بولس الأول فجأة، تم انتخاب الكاردينال فوجتيل بابا لكنيسة روما باسم البابا يوحنا بولس الثاني في ١٧ أكتوبر سنة ١٩٧٨م، وكان أول حبر أعظم غير إيطالي يتم انتخابه منذ ٤٥٠ سنة، وكان يبلغ من العمر وقتها ٥٨ سنة. فمن بلد يخضع للاتحاد السوفيتي، بلد ماركسي، وحكومة ملحدة، صار البابا يوحنا بولس الثاني راعياً لـ ٨٠٠ مليون مسيحي كاثوليكي في العالم. وحضر حفل التتويج في ٢٢ أكتوبر من نفس السنة، رئيس دولة بولندا هنري

يقصد بالكنيسة الصامتة، تلك التي تعاني القهر والقمع خلف الستار الحديدي.

في ٢٣ أكتوبر كتب رسالة إلى مواطنيه في بولندا وأبدى رغبته في زيارة بلده في ٨ مايو سنة ١٩٧٩م بمناسبة ذكرى مرور ٩٠٠ سنة على استشهاد القديس ستانسلاف شفيع بولندا، دون أن يتفاوض مع السلطات البولندية بشأن الزيارة. وبدأ الشعور ينتشر في الفاتيكان أن البابا يستعد لخوض معركة أيديولوجية مع الدول الشيوعية، وليس للفاتيكان سوى المضي فيها. وأعطى يوحنا بولس الثاني تعليماته إلى مندوبية أن يسלטوا الضوء في تفاوضهم مع الدول الشيوعية على ميلان الماركسيّة عن جادة الصدق، لأن الشيوعيين يكذبون وليس لديهم احترام لفضيلة الصدق. وهذه كانت بالفعل عين الحقيقة.

ارتجت السلطات الشيوعية في وارسو وموسكو يوم زيارة البابا يوحنا بولس الثاني لوطنه بولندا. ففي ٢ يونيو سنة ١٩٧٩م احتشد أكثر من مليون بولندي في طريق المطار وفي ميدان النصر وفي المدينة القديمة خلال الساعات الأولى من النهار، وقد اتخذ الطلاب الصليب رمزاً للمقاومة ضد النظام الشيوعي القائم. ونزل البابا إلى أرض المطار، ورفع ذراعيه في الهواء، وصرخ بصوت عال وبغمة مبهجة: "أيها الروح القدس، انزل على هذه الأرض، أيها الروح القدس، انزل على هذه الأرض، أيها الروح القدس، انزل على هذه الأرض". نظر الناس أحدهم للآخر باندهاش وتساءلوا أين الشيوعيون؟ وهزّ البابا مشاعر مستمعيه وهو يقول لهم: "زملائي المواطنون الأعزاء، ها البابا دم من دمكم، وعظم من عظامكم ... سيغني معكم، ومعكم سوف يُنشِد ليديم مجد الرب إلى الأبد ... لن نعود إلى الماضي ... سوف نمضي قُدماً إلى المستقبل".

كان أعضاء الحزب الشيوعي البولندي مترعجين للغاية، بل وخائفين

من غضب الكرملين، فتصرفات الجماهير أذهلتهم لأنها فاقت كل تصورهم، مما دفع القيادة البولندية لإبلاغ البابا أن القيادة ترغب في ألا تكون زيارته عاملاً معوقاً وسبب توتر مع موسكو.

وفي اليوم قبل الأخير لزيارته لبولندا، عقد البابا اجتماعاً مع العمال وجه فيه ضربة حاسمة للفكر الشيوعي إذ قال: "المسيحية والكنيسة لا تخشى عالم العمل، كما لا تخشى أي نظام مبني على العمل، والبابا يتعاطف مع العمال ... ويجب ألا يكون الإنسان محتقراً ... ويُنظر إليه كأنه مجرد وسيلة إنتاج ... السيد المسيح لا يوافق على ذلك ... ويتعين على العمال وأصحاب العمل أن يتذكروا ذلك ... وعلى الدولة والأمة والكنيسة أن يتذكروا ذلك أيضاً". فكان تصفيق وهتاف الجماهير يصم الأذان، لأن كلمات البابا بالنسبة للعمال كانت بمثابة من يسكب الزيت على اللهب ...

وفي سنة ١٩٨٠م طالب العاملون في حوض لينين لبناء السفن في "جدانسك" بقيادة "ليش فاليسا - Lech Walesa" - الذي تزعم حركة إضراب العمال - برفع المرتبات وإقامة نقابة حرّة لهم، مع إجراء إصلاحات سياسية واقتصادية. وساند البابا حركة العمال، إلى حد أن

في يناير سنة ١٩٨١م قام فاليسا مع زوجته وأربعة عشر عضواً من وفد التضامن بزيارة روما، وقد أسرت شخصيته جماهير روما وكثيراً من المجتمعات الإيطاليّة، وجذبت إليه وسائل الإعلام. فأقام البابا قدّاساً خاصاً من أجل الوفد، وفي وقت الاحتفال الرسمي لتحتيتهم أدلى البابا بحديث طويل قال فيه: ”أعتقد أن حجر الزاوية في المخاطرة التي قمتم بها، والتي بدأت في شهر أغسطس سنة ١٩٨٠م في المراكز الكبرى للصناعة البولنديّة، كان نبضاً مشتركاً للإرتقاء بالروح المعنويّة للمجتمع ... والمجهدات العظيمة التي تمت خلال الخريف والتي يجب أن تستمر لم تكن موجّهة ضد أحد ... كانت موجّهة نحو - وليس ضد - الصالح العام. وكل بلد له الحق في أن يبذل مجهودات مشابهة فيما يخصه ... وهو حق معترف به ويؤيّد قانون الأمم المتّحدة“.

فلم يعد هناك من شك أن البابا أصبح بطل قضية التضامن، بل وفيلسوفها أيضاً. ولقد قال فاليسا نفسه لأحد الصحفيين: ”لولا مجهودات الكنيسة لما حدث تطوّر في حركة المقاومة البولنديّة“، ووصف جهود الكنيسة بأنه عمل مستمر وعنيد وذكي.

وعلى إثر ذلك سرعان ما تقرّبت واشنطن إلى الفاتيكان، ورويداً رويداً صارت المقابلات السريّة تتكثّف بين البابا ومدير إدارة المخابرات المركزيّة الأمريكيّة، حتى كان لقاء البابا مع الرئيس الأمريكي رونالد ريجان^(٤)، وكانا قد اتفقا على مناهضة الشيوعيّة، وتغيير العالم. وكان كلاهما قد تعرّضا لمحاولة اغتيال بفارق لم يتعد ستة أسابيع بين المحاولتين^(٥).

٤ - كان الاجتماع بينهما في ٧ يونيو سنة ١٩٨٢م.

٥ - كانت محاولة اغتيال البابا في ١٣ مايو سنة ١٩٨١م. وهي واحدة من أكبر الأسرار الغامضة في هذا العصر. كان أصغر بابا سنّاً منذ ١٣٢ عاماً، وأول بابا غير

وحدث في ربيع سنة ١٩٨١م أن اندلعت المظاهرات في بولندا،

ونادى حزب التضامن بإضراب عام، فبدأت القوات السوفيتية بعمل مناورات على حدود بولندا. وأندر الغرب الاتحاد السوفيتي بالعواقب الوخيمة في حالة التدخل. وتعهد السفير السوفيتي للبابا بعدم التدخل إذا تمكن الفاتيكان من السيطرة على الأحداث في بولندا. وفي ديسمبر من نفس هذه السنة فرضت البلاد قانون الطوارئ لوضع حد للاضطرابات التي تفاقمت بالأكثر، واعتُقل عشرات الآلاف، ومالأت الدبابات الشوارع، واتخذ الجنود مواقعهم داخل المدن، وزُج بليش فاليسا في السجن مع آخرين.

وانتقل التضامن تحت الأرض، بعد أن أصبح محظوراً، ولكنه ظل يكتسب قوته وكفاحه من البابا وأقواله.

في يونيو سنة ١٩٨٣م زار البابا يوحنا بولس الثاني بولندا للمرة الثانية، ولم تكن هناك لحظة أكثر حساسية ولا مشكلة تثير الحنق أكثر مما كان عليه الموقف الذي واجهه البابا في هذه الزيارة. فالبلاد تعيش في جو من الكآبة، وأعمال القمع تفاقمت، واستسلم كثير من المواطنين لليأس. ورجال التضامن الذين يكافحون تحت الأرض اتبهم الشك بعد أن فشل نداءهم للإضراب في شهر نوفمبر من السنة السابقة.

وتقرّر أن تقتصر زيارة البابا على الأمور الدينية فقط، وبعد تردد تم التصريح للبابا بمقابلة فاليسا بشرط أن تكون بصفة شخصيّة وتظل سرّية. وفي اجتماع البابا مع رئيس الحكومة أثار موضوع الأحكام العرفيّة، وقال إن الدولة يجب أن تحفظ حقوق الشعب، وأن جميع اتحادات التجارة لها الحق في الوجود، وأن حل تلك الاتحادات يؤلمه أكثر من فرض الأحكام العرفيّة التي فرضت في ديسمبر سنة ١٩٨١م، إلاّ أنه كان حريصاً على ألاّ يسئ إلى النظام. ولقد طلبت الحكومة من البابا المساعدة في رفع الحظر الاقتصادي الذي فرضه الغرب على بولندا لاسيما الولايات المتحدة الأمريكيّة. وقال البابا إنه يتطلع إلى الوصول للحالة الطبيعيّة بأسرع ما يمكن.

وفي عظته لجمهور من السامعين بلغ مليون نسمة في مدينة كاتوفيس أعاد التأكيد على الحقوق الجوهرية للعمال، وحق جميع العمال في تكوين اتحادات، والكفاح من أجل العدالة الاجتماعيّة، وقال: ”الدولة لا تعطينا هذه الحقوق، وإنما تلتزم بحمايتها والحفاظ عليها. هذه الحقوق أعطيت لنا من الخالق الذي خلق الإنسان كائناً اجتماعياً“.

وخلال المقابلات التاريخيّة للبابا مع ملايين البولنديين وكذلك مع أفراد التضامن الذين يعملون تحت الأرض أثراً طيباً إذ استعادوا ثقتهم بأنفسهم. وتقابل البابا على انفراد مع فاليسا في آخر يوم لزيارته، وكان فاليسا قد أطلق سراحه من الحجز لكن لم يُسمح له بالعودة إلى العمل. ولم يُعرف شيء عن فحوى هذه المقابلة.

وذهل رئيس حكومة بولندا من قول البابا له في نهاية الزيارة: ”أننا أفهم أن الاشتراكيّة كنظام سياسي هو حقيقة، لكن المهم أن يكون لها وجه إنساني“.

بعد زيارة البابا لبلندا بوقت قصير وفي نفس سنة ١٩٨٣ م رفعت

البلاد قانون الطواري. ثم بعد أربعة أشهر - في أكتوبر سنة ١٩٨٣ م -
 منح ليش فاليسا جائزة نوبل للسلام، وعاد ليرأس التضامن ويصير فيما
 بعد رئيساً لبلندا، وكان ذلك في ٩ ديسمبر سنة ١٩٩٠ م.

وعندما جاء ميخائيل جورباتشوف إلى حكم روسيا، تغيرت الأمور
 تغيراً أسرع من ملاحقة الفكر لها. وأحدث مجيء جورباتشوف تغيرات
 سريعة في علاقات الدولة مع الكنيسة في بلندا.

في يناير سنة ١٩٨٧ م تقابل رئيس حكومة بلندا مع البابا في
 الفاتيكان، وفي فبراير من نفس السنة ونتيجة لاستعجال الفاتيكان، وافق
 ريجان على رفع العقوبات الاقتصادية التي فرضت على بلندا. وفي يونيو
 من نفس السنة كانت الزيارة الثالثة للبابا إلى بلندا، فاستعاد حزب
 التضامن كامل قوته ونفوذه وعلايته. وفي هذه الزيارة نادى البابا
 بضرورة إعادة التفكير في النظام الشيوعي المفروض في بلندا، وقال آنئذ:
 ”باسم مستقبل البشرية والإنسانية يجب أن يُنطق بكلمة (تضامن)
 عالياً“. وكان رد فعل النظام على هذه الزيارة هو فرض الرقابة على
 التليفزيون. وانتشر عشرات الألوف من رجال مكافحة الشغب، كما
 تم اعتقال المئات، وودّع رئيس الحكومة البابا في المطار وكانت تعتمل في
 بلندا اشتباكات فكانوا ينادون بفظاً، وقال البابا بصوت عالٍ: ”با

وجاءت نقطة التحول في سنة إبريل ١٩٨٨م في شكل سلسلة من الإضرابات المتتالية. اتجهت الحكومة إلى فاليسا تستنجد به لحد المضربين للعودة إلى العمل، لكنهم رفضوا. وتطورت الأحداث بسرعة وفي يناير سنة ١٩٨٩م، أعلن جاروزلسكي الاعتراف القانوني بحزب التضامن كإتحاد للعمال، كما استقال من رئاسة الحكومة ليصير رئيساً لبولندا مع سلطات تنفيذية كاملة. وفي ٦ فبراير عمت المظاهرات البلاد احتجاجاً على زيادة الأسعار، وفي ٢٤ أغسطس أصبح "مازوفيسكي" رئيساً للوزارة وهو أحد المثقفين الكاثوليك في حزب التضامن، وبذلك أصبح حزب التضامن له وضع رسمي في السلطة.

نزلت أصداء سقوط بولندا الشيوعية كوقع الصاعقة على بلدان الكتلة الشرقية، وتداعت الأحداث بسرعة. إذ سرعان ما انهارت الشيوعية في بولندا ليعقبها تشيكوسلوفاكيا فالبحر فألمانيا الشرقية، وكان يوم ٩ نوفمبر سنة ١٩٨٩م هو يوم هدم حائط برلين ففتحت ألمانيا الشرقية حدودها مع ألمانيا الغربية، وانتقلت العدوى إلى دول أوروبا الشرقية الواحدة تلو الأخرى، حتى وصلت إلى الإتحاد السوفيتي نفسه!

وعندما بدأ البعض يبحث عن دور البابا الفريد في سقوط الشيوعية قال قداسته فيما بعد: "لم أتسبب في حدوث ذلك، لأن الشجرة كانت أصلاً فاسدة... أنا فقط أعطيتها هزة قوية فتساقط التفاح الفاسد منها".

خامساً: كنيسة ألبانيا

تقع جمهورية ألبانيا في جنوب شرق أوروبا على ساحل شبه جزيرة البلقان، الواقع على البحر الأدرياتيكي، بين يوغوسلافيا شمالاً، واليونان جنوباً. وعاصمتها "تيرانا". وألبانيا بلاد جبلية وعرة فيما عدا الشريط الساحلي الخصب.

وألبانيا هي المذكورة في الكتاب المقدس وفي رسالة رومية (١٩:١٥) باسم "الليريكون". ومنطقة الليريكون كانت ولاية رومانية تقع إلى الشرق والشمال الشرقي للبحر الأدرياتيكي وشمال ألبانيا الحالية. زارها القديس بولس الرسول وبشّر فيها بالمسيحية. وقدمت ألبانيا شهداء للمسيح له المجد منذ بداية القرن الثاني الميلادي مثل القديس الشهيد آستوس الذي استشهد سنة ١١٠م، وآخرون غيره.

إحصائية عامة

تقريباً، وهو يفصل بين المتكلمين باللهجة الشماليّة (الفتح) واللهجة الجنوبيّة (التوسك)، وفي الجنوب يتكلم بعضهم اليونانيّة.

في التاريخ

تكوّنت مملكة مستقلّة في ألبانيا بلغت ذورتها في القرن الثالث قبل الميلاد. وقد حاربتها مقدونيا وروما. ووقعت تحت سيادة روما الاسميّة حوالي القرن الأول الميلادي على الأقل. احتلها القوط الشرقيون في القرن الخامس الميلادي، واستردتها الإمبراطوريّة البيزنطيّة سنة ٥٣٥م، في عهد جوستينيان الأول (٥٢٧ - ٥٦٥م). وكان إشراف بيزنطة على المدن الساحليّة إشرافاً فعلياً، ولكن حل محله في الداخل إشراف العرب والبلغار بصفة دائمة.

منذ القرن الحادي عشر أصبحت ألبانيا مسرحاً للمنافسات الدوليّة، وفي القرن الرابع عشر فتح الصربيون بقيادة ستيفان دوشان معظم ألبانيا. وفي سنة ١٣٨٩م وقعت ألبانيا تحت حكم الأتراك، ولكن على مدى تسعين سنة ظلت مقاومة الألبان شديدة لسطوة الأتراك، وخصوصاً تحت حكم زعيم وطني ألباني هو "إسكندر بك - Iskander Bey" (١٤٠٣ - ١٤٦٧م) والذي أسّس مملكة مستقلّة في شمال ألبانيا سنة ١٤٤٣م، وظلت قائمة حتى يوم مماته، وهو الذي شجع أتباعه على ترك الأرثوذكسيّة والانضمام لروما. ومن هذه الفترة ظهر وجود الكاثوليك في ألبانيا، ولكن السواد الأعظم من المسيحيين ظل يدين بالأرثوذكسيّة.

في سنة ١٤٧٨م أحكم العثمانيون قبضتهم على ألبانيا، ثم خضعت ألبانيا نهائياً لهم سنة ١٥٢١م. وكان الحكم العثماني قد استمر في البلاد زمناً أطول من أي حكم أجنبي آخر، حيث استمر الحكم التركي لها حتى

سنة ١٩١٢م، فأثر فيها تأثيراً عميقاً، ومن ثم أصبح الإسلام دين الغالبية

العظمى من السكان.

أعلنت ألبانيا استقلالها سنة ١٩١٢م عن الإمبراطورية العثمانية، ولكن في الحرب العالمية الأولى تمكن الصرب والجبل الأسود واليونان وإيطاليا من احتلال ألبانيا. وصارت من نصيب الألمان سنة ١٩١٤م، وفي سنة ١٩١٦م، دخلها البلغاريون والنمساويون، واستقلت مرة أخرى في سنة ١٩١٧م. وفي سنة ١٩٢٠م، أصبحت ألبانيا مملكة مستقلة تحت حكم الملك أحمد زوجو. وفي سنة ١٩٣٩م احتلتها إيطاليا عندما غزتها الجيوش الإيطالية بقيادة موسيليني، وأقصى الملك "زوجو" عن عرشه.

في غضون الحرب العالمية الثانية أصبح جنوب ألبانيا مسرحاً لقتال شديد، وفي سنة ١٩٣٩م احتلتها إيطاليا، وهرب ملكها إلى مصر. وأعلنت ألبانيا الحرب على الحلفاء سنة ١٩٤٠م، وبعد استسلام إيطاليا للحلفاء احتل الألمان ألبانيا مرة أخرى في سنة ١٩٤٣م. وفي السنة التالية مباشرة خرج منها الألمان، وتولى الحكم فيها الجنرال أنور خوجة الذي حوّلها إلى جمهورية في سنة ١٩٤٦م، واستولى أنصاره (وكانوا من عصابات يسارية متطرفة) على معظم ألبانيا، وأسسوا بها جمهورية ظلت حتى سنة ١٩٩٠م. وكانت حكومة أنور خوجة وأنصاره حكومة

ولكن الصين قطعت مساعدتها وعلاقتها مع ألبانيا حينما اعترضت ألبانيا على سياستها بعد موت ماو تسي تونج.

ويُعتبر حكم أنور خوجة الشيوعي هو أسوأ حكم شيوعي عرفه التاريخ، إذ منع الدين منعاً باتاً، وأعلن رسمياً إلحاد البلاد، وعدم اعترافها بالأديان، فعمَّ التخلف واهمار الاقتصاد، وتردَّت أحوال البلاد.

وأعلن الرئيس الألباني الجديد عادل كاراكاني في مايو سنة ١٩٩٠م، رغبته في الانضمام إلى مجلس التعاون الأمني الأوروبي، والذي كانت ألبانيا منعزلة عنه تماماً مع أنها معتبرة الدولة الـ ٢٣ من دول أوروبا.

الكنيسة الأرثوذكسية في ألبانيا

يعود البعض بتاريخ المسيحية في هذه البلاد إلى القديس بولس الرسول اعتماداً على ما ذكره في رسالته إلى أهل رومية: «حتى إن من اورشليم وما حوّلها إلى الليريكون قد أكملت التبشير بإنجيل المسيح» (رومية ١٥: ١٩). ولكن من المؤكّد أنه قد دخلت المسيحية ألبانيا سنة ٨٤٠م بواسطة إرساليّات تبشيرية وافدة إليها من بطريركية القسطنطينية.

عانت المسيحية في ألبانيا من الحكم التركي الذي استمر ما يقرب من خمسة قرون، صار المسيحيون خلاله أقلية في ألبانيا. ثم جاء الحكم الشيوعي بقيادة أنور خوجة لتواجه الكنيسة أسوأ أنواع الاضطهاد، حيث استولى الشيوعيون على الكنائس والأديرة التي كان يبلغ عددها ١٦٠٨ كنيسة، ودمّر العديد منها، وحوّل الباقي لأغراض أخرى. وعند سقوط الحكم الشيوعي في سنة ١٩٩٠م لم توجد ولا كنيسة واحدة في كل ألبانيا.

ومنع الحكم الشيوعي وجود الإكليروس، فقتل العديد منهم، وأحجر

الباقيين على العمل في وظائف أخرى، وعند سقوط الحكم الشيوعي سنة ١٩٩٠م، لم يوجد على قيد الحياة إلا ٢٣ من رجال الإكليروس من كهنة ورهبان، تجاوز أغلبهم السبعين من العمر.

وتحت الحكم الجديد الذي أعلن حرية العبادة استعادت الكنيسة بعض المباني وقامت بترميمها وإعادة استخدامها ككنائس. وتم إنشاء أربع كنائس، وفي سنة ١٩٩٤م أنشئت عشرة كنائس أخرى. كما أنشأت الكنيسة معهداً مؤقتاً لتخريج الإكليروس في فندق استأجرته لهذا الغرض، حيث تم تخريج ٣٠ كاهناً و ٢٠ شماساً بصفة عاجلة. ومع حلول سنة ١٩٩٤م تمت رسامة ثلاثة أساقفة لمعاونة رئيس الأساقفة أنستاسيوس الذي كان يخدم في أفريقيا، وانتدبه البطريرك المسكوني ليذهب إلى ألبانيا ويعيد إنشاء الكنيسة الأرثوذكسية.

وصارت الكنيسة الألبانية كنيسة مستقلة ضمن عائلة الكنائس الأرثوذكسية الشرقية Eastern Orthodox Churches وانضمت في يناير سنة ١٩٩٤م لعضوية مجلس الكنائس العالمي^(١).

في هذه الفترة كان من مشاهير الكنيسة الأرثوذكسية واحد يُدعى "فان، نول"، الذي، أُسِم كاهناً سنة ١٩٠٨م في أميركا، وترجم

من سنة ١٩٢٤م هي الفترة الوحيدة التي تمتعت فيها البلاد بديمقراطية برلمانية عالية المستوى، ولكنه أقصي عن الحكم ونفي عن البلاد^(٢).

وأعلن أنور خوجة سنة ١٩٦٧م أن ألبانيا هي أول دولة إلحادية بطريقة رسمية، وأنها أهت على كل مظاهر الدين في البلاد. ومنذ ذلك التاريخ عزلت ألبانيا نفسها، وانقطعت أخبار الكنيسة هناك عن العالم الخارجي. وذكرت المصادر الشيوعية أن الكنائس المسيحية كلها قد أُغلقت في ألبانيا سنة ١٩٦٧م.

وجدير بالذكر أنه قبل سنة ١٩٤٠م كان للكنيسة الأرثوذكسية في ألبانيا ٤٠٠ إبيارشية رعية، و ٥٠٠ كاهن يخدمون حوالي ربع مليون مؤمن. وكانت كنيسة ألبانيا قد أصبحت كنيسة مستقلة منذ سنة ١٩٣٧م. وبعد ٤٦ سنة من سنة ١٩٤٥م (أي في أوائل التسعينيات من القرن العشرين) من الاضطهاد والقمع لم يبق في ألبانيا كلها سوى ٢٣ كاهناً وراهباً يزيد عمر أكثرهم عن السبعين عاماً. وعلى الرغم من ذلك فقد قاموا بمجهود عظيم من أجل إعادة بناء الكنائس التي هُدمت أيام الحكم الشيوعي السابق.

باهتار الشيوعية في الاتحاد السوفيتي سابقاً بدأت الإصلاحات السياسية التي تغلغت في دول المعسكر الشرقي تسري في ألبانيا سنة ١٩٨٩م. ففي مايو سنة ١٩٩٠م صدر مرسوم عن "نشر الدين" باعتباره ليس عملاً إجرامياً كما كان يُنعت في القانون القديم، وكان يستوجب العقاب. وقد تضمن هذا المرسوم حرية العبادة الجمهورية العامة، وعودة مباني الكنيسة التي أُغلقت لأكثر من عشرين عاماً، وبعضها يرجع إلى

٢- توفي بأمريكا سنة ١٩٦٥م، وكان هو مطران الألبان المهاجرين إلى أمريكا.

القرن الرابع الميلادي.

ومن الغريب حقاً أن الذي قدّم مشروع استعادة الحرية الدينية في ألبانيا هو الرفيق المعاصر لأنور خوجة، والسياسي المتشدّد سابقاً "مانوش مفي" فجحد ما كان يؤمن به سابقاً.

ومن مؤشّرات التصالح مع الدين في ألبانيا أن الفرقة الموسيقية الوطنية في غضون سنة ١٩٩٠م قد عزفت أعمالاً موسيقية للقديس يوحنا من دوريس، وهو مسيحي أرثوذكسي يعتبره الألبان ثاني أشهر مؤلف للألحان الكنسية الألبانية. ونفس الأمر مع الأعمال الموسيقية لرئيس الأساقفة "فان نولي".

بدأت الكنيسة الأرثوذكسية في أمريكا في سنة ١٩٩٢م تقلّم المعونة لكنيسة ألبانيا تتمثل في إرسال مطبوعات وكتب دينية وأدوية قُدرت بمبلغ خمسة ملايين دولار، وحوالي ٦٠ ألف نسخة من العهد الجديد، بالإضافة إلى كتب الصلوات والقداسات لتوزيعها على إبيارشيات كنيسة ألبانيا، لسد الفراغ الروحي الكبير بين الشباب على وجه الخصوص. كما تم إعادة نشر ثمانية آلاف كتيّب عن التعليم المسيحي باللغة الألبانية عن طبعة قديمة سبق أن نُشرت قبل الحرب. كما تم ترجمة كتاب في التاريخ الكنسي للأطفال إلى الألبانية، مع أعداد صغار عديداً للأيقونات

في جامعة تيرانا، اتضح أن ٢٣% من الذين أجابوا على الاستفتاء يجاهرون بديانتهم الإسلامية، و١٣% بديانتهم المسيحية الأرثوذكسية، و٩% بالمسيحية الكاثوليكية، و٥١% بدون انتماء ديني. ويقدر المسؤولون الأرثوذكس في كنائس أمريكا أن عدد الأرثوذكسيين في ألبانيا الآن ثلاثة أرباع مليون أرثوذكسي.

وفي فبراير سنة ١٩٩٢م انتظمت مسيرة شعبية في شوارع مدينة "كوسوفا" تطالب بإعادة إطلاق اسم الرئيس "فان نولي" مرة أخرى على مدينتهم حيث أعلن ٧٥,٧% من سكان المدينة في استفتاء أجري عليهم موافقتهم على ذلك^(٣).

ويعتبر المطران فان نولي رمزاً وطنياً في ألبانيا، وهو صاحب مؤلفات أدبية نقدية وموسيقية، وترجم العديد من النصوص الليتورجية إلى اللغة الألبانية، وألف كتباً في التعليم المسيحي.

٣- خلال نظام الرئيس الشيوعي "أنور خوجة" ألغي اسم المدينة وأطلق عليها اسم "استالين".

سادساً: كنيسة جبل سيناء

جبل سيناء أو جبل حوريب، حيث أُعطي الناموس لموسى، هو جبل يهوه المقدّس^(١). وقد صارت شبه جزيرة سيناء مركزاً مبكراً للرهبنة المسيحيّة، ولا زالت آثار المنطقة الرهبانيّة وبقايا المغارات والصوامع الرهبانيّة مع كنائس صغيرة متناثرة موجودة هناك. ويوجد حالياً ١٨ ديراً للروم الأرثوذكس، نصفها مهجور، والنصف الآخر يسكنه ٤٢ راهباً وراهبة. وبعض الكنائس مازالت تُقام فيها الصلوات حتى اليوم.

انحسار الرهبنة القبطيّة في سيناء

أول إشارة عن وجود المسيحيّة في سيناء تأتي من تاريخ البابا ديونيسيوس الكبير (٢٤٨ - ٢٦٥م) بابا الإسكندريّة الرابع عشر. فيذكر أن بعض المسيحيين اضطروا تحت ضغط الاضطهاد للهرب إلى سيناء. ومنذ أوائل القرن الرابع بدأ يتوافد عليها طالبو الوحدة والنسك الذين وجدوا في مغاراتها الطبعيّة وعيون مياهاها ما شجعهم على الإقامة هناك، فانتشر في الرّيّة رهبان من المصريين والمديانيين^(٢) والنباطيين^(٣) المتنصرين،

أي الذين أصبحوا مسيحيين.

وكان الحجاج المسيحيون منذ عصر قسطنطين الكبير يقصدون هذه البرية ليتباركوا من الموضع المقدس الذي ظهر فيه الله لأول مرة للجنس البشري. وقد زارت الملكة هيلانة منطقة الجبل المقدس حوالي سنة ٣٣٧م حيث أوصت ببناء أول كنيسة حول مكان العليقة المقدسة مما ساعد على ازدهار الحياة الرهبانية هناك.

وتركت لنا الراهبة الأسبانية إيجيريا تسجيلاً شيقاً^(٤) عن ذكرياتها في زيارتها لسيناء سنة ٣٨٥م - بالإضافة إلى صعيد مصر والأماكن المقدسة في فلسطين - ومن هذه المذكرات نعرف وجود متوحدين يعيشون في مغارات في قمة الجبل المقدس، وذكرت وجود كنيسة ومذبح فوق جبل الشريعة، وكنيسة ثانية حول العليقة المقدسة، وثالثة في المغارة التي عاش فيها إيليا النبي، ورابعة على التلة التي وقعت بجوارها حرب إسرائيل وعماليق في وادي فيران^(٥). ولقد روت إيجيريا عن رهبان شيوخ كانوا يعيشون هناك بلغ بهم العمر مبلغاً فتقول مثلاً: "... وفي هذا اليوم ذهبنا أيضاً لزيارة رهبان آخرين قديسين جداً، لم يستطيعوا بسبب تقدمهم في السن أو ضعف صحتهم أن يأتوا إلى جبل الله لرفع القرابين. وعند وصولنا إلى صوامعهم تكرموا باستقبالنا بإكرام زائد". ولسنا نعرف شيئاً عن هؤلاء الرهبان، إذ لم يعرف العالم قط رهباناً في ذلك الوقت إلا في مصر. وهكذا انتشرت في هذا الوادي الصوامع والمغارات والكنائس، وتبع

٤- بقي هذا المخطوط مدشوتاً حتى اكتشف سنة ١٨٨٩م، في دير مونت كاسينو بإيطاليا، فنشر وطبع، وله طبعة باللاتينية والفرنسية في مجموعة "المصادر المسيحية - Sources Chrétiennes, 21"

٥- يقع وادي فيران (فاران أو رافيلم) على أول الدرب المؤدي من الساحل الشرقي لخليج السويس صعوداً إلى جبل سيناء، وهو أحصب أودية شبه جزيرة سيناء، وأكثرها اتساعاً وصلاحية للسكنى الدائمة فيه. وهناك حالياً دير وادي فاران للراهبات.

ذلك قيام أسقفية خاصة في هذه المنطقة، وتخضع لها كل برية سيناء.

وأول إشارة تأتينا عن أسقف فيران كانت في القرن الخامس لأحد تلاميذ سلوانس الإسقيطي العظيم الذي جاء إلى برية سيناء سنة ٤٠٧م، فاجتمع حوله الرهبان وأسس ديراً هناك رأسه تلميذه زكريا.

ولما جاءت البعثة التي أرسلها الإمبراطور جوستينيان (٤٨٣ - ٥٢٥م) من القسطنطينية حوالي سنة ٥٣٠م لبناء قلعة حصينة في جبل سيناء وكنيسة داخلها تحتوي على العليقة المقدسة حيث كلم الرب موسى^(٦)، لقد كان هدف الإمبراطور من ذلك مزدوجاً؛

أولاً: تأمين حدود البلاد في هذا الجزء ضد هجمات قبائل البليمس^(٧) Blymnes الذين دأبوا على الإغارة وقتل الرهبان والإخلال بالأمن.

ثانياً: توفير الطمأنينة والسلام للرهبان والمتوحدين. فالذين احتموا بالقلعة نالوا الأمان وحفظوا حياتهم، وهؤلاء أغلبهم كانوا يونانيين، يتبعون مجمع خلقيدونية، وكانت الحكومة اليونانية قد اتفقت مع الكنيسة اليونانية على قصر الرهينة في دير سانت كاترين على اليونان فقط.

أما باقي الرهبان الذين فضّلوا الحياة خارج الأسوار متمسكين بأمانة آبائهم فقد تضافرت ضدهم عوامل الطبيعة القاسية، وهجمات البدو

٦- حدث هذا بناء على التماس تقدم به رهبان جبل سيناء الخلقيدونيون مع رهبان

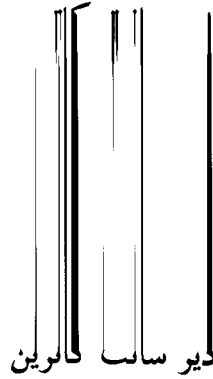
العنيفة. وبرغم ذلك ظلوا صامدين حتى القرن السابع عندما دخل العرب مصر. وتفق جميع المصادر التاريخية أن أسقفية وادي فيران ورهبنتها كانت قد انتهت في هذا التاريخ.

ويذكر التاريخ أن ثيودوروس (أو ثيودور) أسقف فاران في القرن السابع وهو راهب قبطي، كان قد ذهب إلى أورشليم ليحل محل أسقفها جوفينال الذي هجر إيارشيتته بعد أن ثار عليه شعبه لاعتناقه المذهب الملكي الخلقيدوني. واستمر ثيودوروس الأسقف المصري في أورشليم لمدة عشرين شهراً إلى أن عاد إليها أسقفها الأصلي ثانية بعد أن رفض مقررات مجمع خلقيدونية. فعاد ثيودوروس ثانية إلى سيناء ليعيش بين رهبانه محافظاً على عقيدة الطبيعة الواحدة في شخص السيد المسيح. وكان مجمع اللاتيران قد قرّر سنة ٦٤٩م حرمة بسبب رفضه المذهب الخلقيدوني، كما أرسل الإمبراطور ماركيان إلى مكاريوس أسقف فاران يحذره من قبول الأسقف ثيودوروس.

ولقد أصاب برية سيناء ما أصاب برية شيهات من تخريب وتشتيت وقتل بسبب هجمات البدو والقبائل البربرية.

وهكذا رويداً رويداً بدأ الطابع اليوناني يتغلب على رهبنة سيناء، وبالتالي انحسار الوجود القبطي هناك حتى تمت في العصر الحديث رسامة أسقف قبطي لسيناء^(٨)، فشيئاً وجمداً كنائس في العريش، ورفع، والمساعيد، وشرم الشيخ، وطور سيناء، وأقام قداسات على مذابح متنقلة في طابا، ونويبع، ورأس سدر.

٨- هو الأسقف نيافة الأنبا مكاري، وكان قد التحق بدير القديس أنبا مقار في إبريل سنة ١٩٧٣م، وخدم في العريش في نوفمبر سنة ١٩٨٨م، وسم أسقفاً بيد قداسة البابا شنودة الثالث في نوفمبر سنة ١٩٩٦م، وانتقل إلى الأبحاد في يوليو سنة ٢٠٠٠م.



دير سانت كاترين

دير سانت كاترين هو أكبر الأديرة هناك، يرتفع سوره ١١ متراً، وكان الإمبراطور جوستينيان (٥٢٧ - ٥٦٥م) قد بناه عند سفح جبل موسى^(٩). ويسكنه حالياً ٢٣ راهباً. والكنيسة الكبيرة التي بُنيت مع بناء السور نفسه تُعتبر متحفاً للأيقونات المعلقة على جدرانها والتي تبلغ ١٣٠٠ أيقونة. وكنيسة العليقة حيث كلم الله موسى. وإلى جانب الكنائس والهياكل الجانيّة الموجودة في الدير نفسه، تقع خارجه مجموعتان من الكنائس الصغيرة (هياكل)؛ الأولى تسع كنائس في الطريق صعوداً إلى جبل موسى، والثانية ست كنائس في طريق جبل كاترين. وبالدير جامع صغير يعود تاريخه إلى القرن الثاني عشر الميلادي.

ويحتفظ دير سانت كاترين بالمغارة التي عاش فيها القديس يوحنا الدرجمي. وتحتوي مكتبة الدير باهتمام عالمي نظراً لما تحويه من مخطوطات قديمة نادرة، بلغ عددها خمسة آلاف مخطوطة بلغات متنوعة؛ اليونانيّة والعربيّة والسريانيّة والجورجيّة والأرمنيّة والصقلية (لغة أهل البلقان) والأثيوبيّة والبولنديّة واللاتينيّة والفارسيّة والتركيّة. وتجدر الإشارة إلى أن بعثة مكتبة الكونجرس لم تعثر على مخطوطات قبطيّة، ولكن عثر أحد العلماء على عدة وثائق ومخطوطات باللغة القبطيّة في الدير سنة ١٨٦٥م^(١٠).

إلى القرن الرابع الميلادي، واشتهرت باسم المخطوطة السينائية، واكتشفها العالم الألماني قسطنطين تشندورف، فحققها ونشرها.

وفي سنة ١٨٩٢م اكتشفت سيده إنجليزية هي مسز أحسن لويس وشقيقتها أقدم مخطوطة سريانية بالدير تعود إلى القرن الخامس.

وقامت بعثة من مكتبة الكونجرس الأمريكي بواشنطن والمؤسسة الأمريكية للدراسات الإنسانية بالتعاون مع جامعة الإسكندرية التي مثلها الدكتور عزيز سوريال عطية بفهرسة جميع المخطوطات وتصوير النادر منها على الميكروفيلم، وذلك في أوائل سنة ١٩٥٠م، وخلال هذا العمل اكتشف الأستاذ الدكتور عزيز سوريال عطية أقدم مخطوط عربي للكتاب المقدس يرجع تاريخه إلى القرن الثامن أو التاسع للميلاد.

والمخطوطات العربية في الدير والتي تبلغ ٦٠٢ مخطوط تلي المخطوطات اليونانية من جهة العدد. وهي تعتبر أقدم مجموعة مسيحية في العالم كتبت باللغة العربية. وقد نُشر الجزء الأول منها في الإسكندرية سنة ١٩٧٠م تحت اسم "الفهارس التحليلية لمخطوطات سيناء العربية".

وتعتبر كنيسة سيناء كنيسة أرثوذكسية مستقلة يرأسها رئيس أساقفة جبل سيناء، وهو رئيس دير سانت كاترين في هذا الجبل، وله سلطته الشرعية على بعض بيوت العذارى هناك، وبعض القلاي، وعدد قليل من العرب الذين يعيشون بالقرب من الدير. وقد أعلن استقلال كنيسة سيناء في سنة ١٥٧٥م، وتثبت بموافقة القسطنطينية سنة ١٨٧٢م. ورئيس أساقفة كنيسة سيناء تكرر بواسطة بطريرك أورشليم، والذي حاول تبعا لذلك أن تكون له بعض السيادة على كنيسة سيناء، ولكن نجح في ذلك ظل قليلا.

الباب الخامس

الكنائس البيزنطية
التي لها الحق الذاتي
في إدارة شؤونها

Autonomos Churches

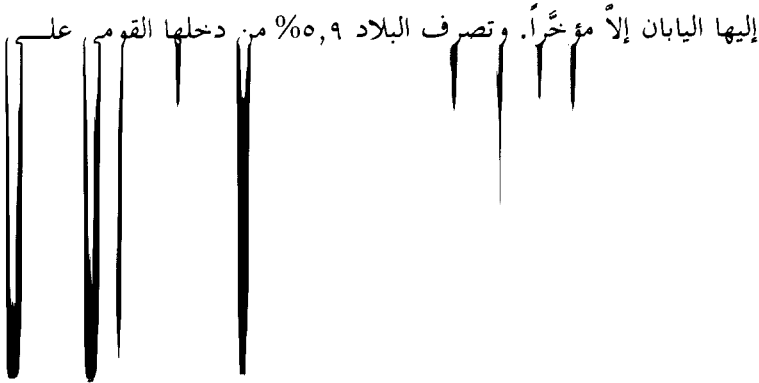
أولاً: كنيسة فنلندا

تقع جمهورية فنلندا في شمال أوروبا، وعاصمتها هلسنكي. يحدها غرباً السويد، وشمالاً النرويج، والجنوب الشرقي روسيا. وجنوباً خليج فنلندا. وتتكون أجزاءها الوسطى والجنوبية من بحيرات متعددة تتجمع في قنوات مائية متشعبة، وتتصل بأنهار قصيرة، وأغوار تتحول إلى بحاري سريعة. فنسبة الأراضي المزروعة لا تزيد عن ٧%، وتكسو الغابات أكثر من ثلثي الأراضي، ولذلك كانت الأخشاب من أهم الصادرات.

إحصائية عامة

يمثل الفنلنديون من أصل فنلندي ٩٣% من مجموع السكان، و٦% منهم من أصل سويدي Suédois، و١% جنسيات عرقية أخرى. واللغتين الفنلندية والسويدية هما اللغتان الرئيسيتان في البلاد. تتكلم الأولى ٩٤% من السكان، والثانية ٦% منهم، عدا لغة قديمة تسمى Lapon يتكلمها أقل من ١% منهم.

مساحة البلاد أكثر قليلاً من ٣٣٧ كيلومتر مربع، وعدد السكان بلغ سنة ٢٠٠٠ حوالي ٥ مليون نسمة، ويتضاعف العدد كل ٢٣١ سنة، حيث أن معدل الزيادة السنوية للسكان يصل إلى ٣%. ويعيش ٦٢% من السكان في المدن، وجميع سكان البلاد متعلمون، فليس لديهم أمي واحد، حيث تبلغ نسبة المتعلمين ١٠٠%، وهي أعلى نسبة، لم تصل



التعليم.

يدين ٨٩% من السكان بالبروتستنتية اللوثرية، وحوالي ١,٢% من السكان يدينون بالأرثوذكسية، و٩,٨% ديانات أخرى.

تاريخ دير فالامو هو تاريخ الأرثوذكسية في فنلندا

فالامو هي جزيرة جميلة من بين جزر بحيرة لادوجا في فنلندا، وعلى الحدود الشمالية لروسيا. وعلى ضفاف هذه الجزيرة عاشت قبائل الفايكنج^(١) منذ أزمنة سحيقة. ومنذ ألفي عام اتخذها الصيادون ملجأ لهم حتى كانت سنة ٨٦٠م حينما سكنها السلافيون نازحين من الجنوب إلى الشمال، وهي الفترة التي بدأ فيها البطريك الروسي فوتيوس في إرسال بعثات تبشيرية إلى خارج حدود روسيا في المدن والمناطق المجاورة.

ويعد دير فالامو Valamo منارة الأرثوذكسية في فنلندا، ويبدو أن تأسيسه كان في أوائل سنة ٩٩٢م.

كان الأب سرجيوس قد وصل إلى جزيرة فالامو في أواخر القرن العاشر الميلادي ليبشر بالإنجيل للوثنيين، وهناك عاش كناسك في الغابات

المحيطة ببحيرة لادوجا^(٢). وخلفه راهب آخر اسمه هيرمان. وهذان أصبحا المبشرين لفالامو بالمسيحية. ولا يسجل تاريخ الرهبنة في هذه المنطقة شيئاً عن بدء دير فالامو. إلا أن إحدى الكتابات التاريخية القديمة تثبت أنه في يوم ١١ سبتمبر سنة ١٥٥١م تم نقل رفات الأبوين القديسين سرجيوس وهيرمان مؤسسي دير فالامو من دير نوفجورود المسمى على اسم "الثالوث الأقدس" إلى منطقة كاريليا على جزيرة فالامو، كما تم رسم أيقونتهما بواسطة الأب القديس يوحنا رئيس أساقفة نوفجورود صانع العجائب الجديد (كما تسميه الوثيقة التاريخية القديمة).

يتضح على كل حال أن فنلندا قد قبلت المسيحية مع حلول القرن الثاني عشر الميلادي بعد أن فتحها السويديون ونشروا المسيحية بها. وكان هنري أسقف أوبسالا Uppsala وهو إنجليزي الجنسية (+ ١١٦٠م) له اليد الأولى في تحول الفنلنديين إلى المسيحية، ولكنه قُتل في آخر أيامه. وفي سنة ١٢٢٠م تنظمت كنيسة مستقلة وتأسست تحت رئاسة توماس Thomas أسقف رانتيماكيا Rantemakia وهو أيضاً إنجليزي الجنسية.

وفي غضون القرون الرابع عشر إلى السادس عشر أنشئت عدة أديرة أرثوذكسية في فنلندا، مثل أديرة باليواستروف، سولوفيتسكي، سفير، وغيرها.

احتل أساقفة فنلندا مكانة رفيعة في المعاهد الدينية، وأشهر مثال لذلك هو الأب أولاؤس ماجني Olaus Magni أسقف أبو Abo (١٤٥٠).

٢- بحيرة لادوجا هي أكبر بحيرة في أوروبا مساحتها ١٨١٣٠ كيلومتر مربع، وأقصى عمق لها ٢٢٣ متر. كان ساحلها الشمالي تابعا لفنلندا حتى نزلت عنه للاتحاد السوفيتي سنة ١٩٤٠م، أما جزيرة فالامو التي تقع شمال هذه البحيرة فيها دير فالامو الشهير الذي يرجع إلى القرن الثاني عشر.

- (١٤٦٠م) وكان رئيساً لجامعة السوربون مرتين.

دخلت اللوثرية فنلندا سنة ١٥٢٣م، وترجم العهد الجديد إلى اللغة الفنلندية سنة ١٥٤٨م حيث كانت هذه الترجمة هي فاتحة عهد استخدام اللغة الفنلندية في الكتابة. أما السويد فقد جعلت من فنلندا دوقية كبرى في القرن السادس عشر، وأصبحت السويدية هي اللغة الرسمية ولغة الأدب.

في الحرب التي دارت بين السويد وروسيا لمدة ٢٥ عاماً (١٥٧٠ - ١٥٩٥م) دُمِر جزء كبير من الانجازات التي عملها الرهبان في دير فالامو، حيث قُتل في سنة ١٥٨١م ٣٧ راهباً، و٤٧ علمانياً في الدير. أما بقية الرهبان فقد هربوا إلى داخل روسيا حيث سكنوا ديراً قديماً مهجوراً هناك. ثم عادوا ثانية بعد أن عاد السلام. ولكن في سنة ١٦١١م أُحرق الدير وسُوي بالأرض. وبالكاد استطاع الرهبان أن يخلو المكان وظلوا غائبين عن ديرهم لأكثر من قرن من الزمان، وعادوا مرة أخرى إلى ديرهم القلم في غضون سنة ١٧١٦م حينما أمر القيصر بطرس الأكبر بإعادة بناء دير فالامو بسور من جزوع الشجر.

وفي سنة ١٦٩٦م اجتاح البلاد قحط شديد أهلك ثلث السكان تقريباً. وكانت الكرازة بالأرثوذكسية من منطقة كارليا Karelia شرق فنلندا بواسطة رهبان دير فالامو حيث كرزوا بين الأهالي بالإنجيل بلغة

ومنذ القرن الثامن عشر أصبحت فنلندا جزءاً من المملكة السويديّة، باستثناء الجزء الجنوبي الشرقي منها الذي خضع للاحتلال الروسي. وفي سنة ١٨٠٩م كانت كل فنلندا قد أصبحت تحت حكم الروس، ومُنحت البلاد دستوراً تمتعت بموجبه زهاء قرن بما يشبه الاستقلال، كدوقية روسية كبرى. وفي سنة ١٨١٢م دخل دير فالامو ضمن دولة فنلندا بعد أن كان ضمن إحدى مقاطعات روسيا، وبعد أن أصبحت منطقة كارليا داخل حدود فنلندا.

ومع بداية القرن التاسع عشر أصبحت القومية الفنلندية حركة قوية، وتميزت باشتداد الصراع اللغوي بين السويديين والفنلنديين. وكان الدستور السويدي الساري في البلاد يمنع الهيئات غير البروتستنتية من امتداد نشاطها، ويمنع بناء الأديرة الجديدة، فحُرّم دير فالامو من كثير من التسهيلات. ولكن في سنة ١٨٨٠م زار شقيق قيصر روسيا الدير وقضى به عدة أيام، واقترح أن تلحق جزيرة فالامو بمقاطعة بطرسبرج بروسيا. فلم يرض هذا الاقتراح فنلندا، ولكنها بادرت بإصلاح أمرها مع الدير. فمن المعروف أن الحياة الرهبانية في روسيا ازدهرت خلال القرن التاسع عشر.

وبالرغم من عدم زيادة عدد الأديرة في فنلندا في هذه الفترة، إلا أن الانضمام إلى الأديرة القائمة تضاعف خمس مرات في هذه الفترة. وكان دير فالامو واحداً من هذه الأديرة المزدهرة. ففي سنة ١٩٠٠م كان الدير يضم ١٩١ راهباً، و٥٧٢ مبتدئاً، وتزايد العدد حتى وصل سنة ١٩١٤م إلى ٤٥٩ راهباً، و٥٦٢ مبتدئاً.

ولما اشتدّت قبضة الروس على البلاد بعد سنة ١٨٩٠م، قام إضراب عام سنة ١٩٠٥م وأُعلن سنة ١٩١٧م استقلال فنلندا، وأعقب ذلك نشوب حرب أهلية سنة ١٩١٨م قامت بين مناصري الروس (الحمسر)،

القسم من الفنلنديين (البض). وبمعاونة الجيوش الألمانية انتصر البيض، وتم

انتخاب أول رئيس للبلاد سنة ١٩١٩م. وفي سنة ١٩٢٠م اعترفت روسيا باستقلال فنلندا.

وتعد فنلندا هي الدولة الأوروبية الوحيدة التي وفت ديونها للولايات المتحدة الأمريكية في السنوات التي تخللت الحربين العالميتين، فاكسبت عطفاً كبيراً من أمريكا. وفي سنة ١٩٣١م أوقف نشاط الحزب الشيوعي. وفي هذه الفترة خدم الدير (دير فالامو) الكنيسة الفنلندية بمنشوراته التي كان يقوم بطبعها باللغة الروسية في بادئ الأمر، ولكن ابتداءً من سنة ١٩٣٠م بدأ النشر باللغة الفنلندية أيضاً، وأصدر الدير مؤلفات قيمة في غضون السنوات ١٩٣٤، ١٩٣٨، ١٩٤٣م فانفتح الدير على العالم الخارجي ليقدم الأرثوذكسية في أعماقها الروحية.

عادت فنلندا فدخلت في حرب مع روسيا، فاضطر الدير لترك موقعه على الحدود بين روسيا وفنلندا، وأُخلي الرهبان عن ديرهم إلى أواسط فنلندا حيث سكنوا مزرعة كبيرة اشتراها الدير في مدينة هاينا فيسي، وبدأوا ينتظمون في حياتهم الجديدة، وأسماوا ديرهم منذ ذلك الوقت "دير فالامو الجديد".

في هذه الأثناء غزت فنلندا شمال غرب روسيا سنة ١٩٤١م أملاً في

وبدأ دير فالامو منذ السبعينيات من القرن العشرين يستعيد حياته ونشاطه الرهبانيين، وانضم إليه عدد جديد من الشباب ذوي الأصل الفنلندي، وأدخلت بعض الإصلاحات على الحياة الليتورجية حيث صارت اللغة الفنلندية تستخدم في أداء الصلوات الطقسية داخل الكنيسة بعد أن كانت اللغة الروسية هي السائدة حتى بعد استقلال فنلندا عن روسيا.

وفي الثمانينيات تزايد عدد الزوار والسياح الذين زاروا الدير، وكم تأثروا بالطقس الكنسي الأرثوذكسي، وبطريقة العبادة، والحياة الرهبانية. وكثير منهم كان من الوسط الفنلندي اللوثري. وفي سنة ١٩٨٣ عُقدت معاهدة الصداقة (الرابعة) مع روسيا.

في سنة ١٩٨٤ افتتح الدير مكتبة وقاعة للمحاضرات، وبدأت الحياة تدب في أرجاء الدير بعد التزايد الملحوظ في عدد الشباب الذين يقدون للدير لقضاء أوقات كثيرة للاختلاء والتأمل.

في سنة ١٩٨٧ منحت فنلندا دير فالامو جائزة ”حركة السلام المسيحي“ بسبب دوره في نشر السلام، وتقديمه نمجاً بديلاً عن هج الحياة السائدة مبتكراً طرقاً جديدة للخدمة المدنية كبديل للخدمة العسكرية حسب القانون الفنلندي، بالإضافة إلى أنشطته العالمية من أجل السلام والمصالحة.

وهكذا نجد أن قصة دير فالامو في فنلندا هي قصة الكنيسة الأرثوذكسية هناك.

ثانياً: كنيسة اليابان

مقدمة

تُعد كنائس اليابان والصين وأمريكا الأرثوذكسيَّة البيزنطيَّة كنائس تحكم نفسها بنفسها Autonomos ولكنها لم تحصل بعد على استقلالها التام حيث لم تعترف بها بطريركيَّة القسطنطينيَّة رسمياً، إلاَّ أنَّها في ذات الوقت، وفي الآونة الأخيرة، كنائس ناشطة ذات نمو مضطرد.

جُزُر اليابان

تتألف اليابان من مجموعة كبيرة من الجزر بالقرب من الساحل الشرقي لآسيا. أما أكبر أربع جزر فيها فهي هونشو وشيكوكو وهوكايدو

مذهب "شتو" الياباني الأصل. وخلال القرون من الثاني عشر إلى التاسع عشر توالى على حكم اليابان أسرة "الشوجن - Shoguns" حيث كان يورتيومو ميناموتو سيد اليابان هو أول من حمل لقب "الشوجن" وكان البرتغاليون هم أول شعب أوروبي يتصل باليابانيين في سنة ١٥٤٢م.

إحصائية عامة

يسكن البلاد ٩٩% من السكان من أصل ياباني، و١% جنسيات عرقية أخرى. ويتكلم ٩٩% من السكان اللغة اليابانية. وهناك ١% منهم يتكلمون لغات أخرى. أما لغة الـ "أينو - Ainu" فأصبحت لغة قديمة يتكلمها قلة منهم. يدين ٨٧% من اليابانيين بالبوذية (الشتو)، و١٢% ديانات أخرى، و١% بالمسيحية أي حوالي ١,٥ مليون نسمة.

يبلغ تعداد السكان ١,٢٨ بليون (ألف مليون) نسمة، ومساحة البلاد ٣٧٧,٨٣٥ كيلومتر، ويتضاعف عدد السكان كل ١٧٤ سنة. ويبلغ معدل زيادة السكان السنوي ٠,٤%. يسكن ٧٧% من السكان في المدن، وليست هناك أمة في اليابان، وعدم الأمية عندهم ليست تعني فقط معرفة القراءة والكتابة، بل التعامل مع أجهزة الكمبيوتر. وتصرف البلاد ٥% من دخلها القومي على التعليم.

دخول المسيحية إلى اليابان

دخلت المسيحية إلى اليابان في المرة الأولى سنة ١٥٤٩م بواسطة القديس فرنسيس زافير، وأخذت المسيحية الناشئة في النمو قرابة قرن ونصف حتى سنة ١٥٦٩م، ولكن في سنتي ١٥٩٦م و١٥٩٨م ثار اضطهاد

على المسيحية حيث نال ٢٦ يابانياً الشهادة بصلبهم في ناجازاكي



Nagazaki ، وتقيم لهم الكنيسة عيداً سنوياً في يوم ٦ فبراير من كل سنة، وذلك منذ سنة ١٨٦٢م.

في سنة ١٦١٣م نشب اضطهاد من جديد دام عدة سنوات، وفي سنة ١٦٤٠م تحمل آلاف اليابانيين الاضطهاد، وكذا كثير من المبشرين الأجانب الذين طردوا من اليابان تحت تهديد الموت. وحُرمت المسيحية تحريماً كلياً في اليابان، واستمر هذا الوضع حتى سنة ١٨٥٩م عندما عُدت معاهدة بين حكومة اليابان وفرنسا أزالته إلى حد ما القيود المفروضة على الكنيسة، وسمحت جزئياً بحرية العبادة للأجانب الوافدين على اليابان.

ففي سنة ١٨٥٤م زار القبطان بيري الأمريكي - على رأس أسطول صغير - اليابان التي اضطرت أن تفتح أبوابها للأجانب بعد أن أوصدتها في وجوههم منذ القرن السابع عشر، وكان هذا الحادث عاملاً كبيراً في انتزاع السلطة من "الشوجن" واستعادة الإمبراطور "مي إيجي - Me Iji" مقامه وسلطانه. وفي سنة ١٨٩٠م أُعطيت الحرية الدينية كاملة في ممارسة العبادة للجميع.

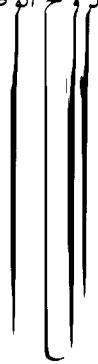
ولقد اكتشفت الآساليب التشبهية التي دخلت اليابان قادمة من:

سنة ١٨٦١م أرسلت الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا إرسالية تبشيرية بقيادة الأب نيقولا كاساتكين Nicolai Kassatkin والذي صار فيما بعد رئيساً للأساقفة. وفي سنة ١٩٧٧م اعتُبر هذا الأب هو رسول الكنيسة الأرثوذكسية في اليابان. حيث أسس جماعة مسيحية أخذت في النمو والازدياد. ولم تمض بضعة سنوات حتى تعرض كثير من المسيحيين لموجة جديدة من الاضطهاد في الفترة ما بين سنة ١٨٦٧م وسنة ١٨٧٣م حيث نُفي كثير من المسيحيين إلى خارج البلاد، واستمرت هذه السياسة القمعية حتى السنة الأخيرة من القرن التاسع عشر أي سنة ١٨٩٩م حين منح الإمبراطور في السنة عينها دستوراً لبلاده.

لقد كانت سنة ١٨٧١م هي بداية نبذ الإقطاع وبداية التحول السريع لانتهاج سياسة الغرب، وبداية التطور الذي استمر باضطراد حتى اليوم، وكان لانتصار اليابان في حربها مع الصين سنة ١٨٩٤م وكذا لفوزها على روسيا في الحرب التي نشبت بينهما في سنتي ١٩٠٤م و١٩٠٥م أحداثاً تاريخية كبرى. وبرغم الهزيمة التي تعرضت لها اليابان من أمريكا بعد أن حسم الحرب بينهما إلقاء القنبلة الذرية في ناجازاكي، أصبحت اليابان دولة صناعية ذات اقتصاد ضخم وضعها في الصف الأول بين دول العالم المتقدمة، بل فاقت عليها جميعها.

في سنة ١٨٨٧م اتحدت كنائس من أمريكا وإنجلترا وكندا في إرسال بعثات تبشيرية مشتركة كونت في اليابان ما عُرف باسم الكنيسة المقدسة الكاثوليكية اليابانية، حيث سيم بعض من اليابانيين أساقفة للإيبارشيات. وقد كان إقبال اليابانيين على الدين الجديد هو بسبب التعطش لمعرفة حضارة الغرب وعلومه. وظهر في سنة ١٨٩٠م حركة التمسك بالقومية والوطنية اليابانية، وتأصل هذا الشعور بعد هزيمة روسيا سنة ١٩٠٥م. أما الأحداث التي ظهرت سنة ١٩٣١م فصاعداً فقد ساعدت على تأصل هذه

الروح الوطنيّة بين أبناء البلاد.



إذ في سنة ١٩٣١م احتلت اليابان منشوريا، وأنشأت بها مملكة منشوكو التي خضعت لسيطرتها. وفي سنة ١٩٣٧م غزت اليابان الصين، واستولت على بكين وشنغهاي، وأقامت بها حكومة صينيّة صوريّة سنة ١٩٤٠م. وقامت باليابان حكومة معادية للشيوعيّة وحلت الأحزاب السياسيّة في نفس هذه السنة، وسجنت خصومها، وأمضت معاهدة حربيّة مع ألمانيا وإيطاليا، وأعلنت عزمها على خلق "منطقة آسيا الشرقيّة العظمى".

في ديسمبر سنة ١٩٤١م ضربت الطائرات اليابانيّة الأسطول الأمريكي الراسي في ميناء "بيرل هاربر"، فدخلت اليابان الحرب العالميّة الثانية^(١)، ونشبت الحرب مع أمريكا وبريطانيا، وتوالت انتصارات اليابان الحربيّة والبحريّة. ولكن في سنة ١٩٤٥م سلمت حكومة اليابان بعد أن ضربت أمريكا مدينتي هيروشيما وناجازاكي بقنبلتين ذريّتين، واحتل جنود الحلفاء اليابان. وفي سنة ١٩٤٧م وُضع للبلاد دستور ديمقراطي جديد جعل الوزارة مسؤولة أمام مجلس النواب في سان فرانسيسكو، وأجبر الإمبراطور هيروهيتو - وكان من علماء البحار القلائل - على إعلان عدم ألوهيته.

سنة ١٩٨٧م كانت الصناعات الإلكترونية اليابانية قد غزت أمريكا، وظهرت اليابان قوة إقتصادية هائلة يُحسب حسابها، فكانت اليابان أول من غير ميزان القوى في العالم فتقهقر ميزان القوة العسكرية ليحل محله ميزان القوة الإقتصادية.

في سنة ١٩٨٩م مات هيروهيتو بعد أن رأى بلاده قد أخذت مكان الصدارة بين دول العالم المتقدم، فخلفه ابنه "أكيهيتو".

الكنيسة الأرثوذكسية في اليابان

كانت كنيسة اليابان الأرثوذكسية فيما مضى إحدى الإيبارشيات التابعة للكنيسة الأرثوذكسية الروسية، وذلك قبل أن تحصل على استقلالها من بطريركية موسكو سنة ١٩٧٠م. ورغم أن هذا الوضع الجديد قد منحها استقلالاً إدارياً كاملاً على المستويين الداخلي والخارجي، إلا أنها لم تحظ باعتراف مجموعة الكنائس الأرثوذكسية البيزنطية.

ويعود الفضل في دخول المسيحية الأرثوذكسية لليابان في سنة ١٨٦١م، إلى الأب الراهب الروسي الشاب نيقولا كاساتكين Nicolai Kassatkin الذي تبيح سنة ١٩١٢م، وأشهرت الكنيسة قداسته سنة ١٩٧٠م. وقد استطاع هذا الأب أن ينشئ مركزاً تبشيراً حيويًا وفعالاً، تعمّد فيه نحو ٢٠,٠٠٠ شخص، وتحولوا إلى المسيحية، وذلك في غضون سنوات قليلة من افتتاحه. كذلك قام هذا الراهب بترجمة العهد الجديد من الكتاب المقدس، وكتب الصلوات والليتورجيا إلى اللغة اليابانية، كما اعتنى بتشييد كاتدرائية ضخمة في قلب العاصمة طوكيو تُدعى "كاتدرائية القيامة"، ولا زالت تُعرف حتى اليوم باسم "بيت نيقولاس".

وحدث عند نياحة المطران ثيودوسيوس^(٢) رئيس الكنيسة

الأرثوذكسية في اليابان الذي رقد في الرب في مايو سنة ١٩٩٩م أن أعلن بطريك موسكو أليكسي الثاني وضع مسؤولية الكنيسة اليابانية تحت سلطته المباشرة وإشرافه الخاص، حتى يتسنى لها انتخاب مطران جديد.

وتضم الكنيسة اليابانية بعد منتصف القرن العشرين قرابة ٣٠,٠٠٠ مؤمن بالرغم من أن حالات التحول والدخول إلى المسيحية أصبحت قليلة اليوم إذا ما قورنت بما كانت عليه في بداية القرن العشرين. وهناك في اليابان كلية اللاهوت الأرثوذكسية بطوكيو، وكانت كنيسة اليابان الأرثوذكسية قد انضمت إلى عضوية مجلس الكنائس العالمي منذ سنة ١٩٧٣م.

وفي أمريكا أعلن مؤخراً عن تأسيس "الكنيسة الأرثوذكسية المستقلة" ويتبعها حالياً أكثر من مليون أرثوذكسي، ويتبع هذه الكنيسة الأخيرة إيارشيات في أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية وأمريكا اللاتينية وأستراليا.

وجدير بالذكر أنه قد تأسست الكنيسة الأرثوذكسية بأمريكا، نتيجة العمل الكرازي الروسي، وحصلت على حق الاستقلال الذاتي من بطريركية موسكو، برغم عدم موافقة بطريك القسطنطينية. إلا أنها في شركة مع باقي كنائس العائلة الخلقيدونية، ولكن لا يشارك رئيسها في الاجتماعات التي تضم رؤساء الكنائس الأرثوذكسية لهذه العائلة!

ثالثاً: كنيسة الصّين

حازت الصّين ثقافة وحضارة راقيتين منذ أكثر من ألف سنة قبل الميلاد، وهي جمهوريّة تقع شرق آسيا. ويقول التراث الصيني أن ”هشياً“ هي أول أسرة مالكة حكمت الصّين. ولكن التاريخ المدوّن يقول إن أسرة ”شايح“ (١٥٢٣ - ١٠٢٧ ق.م) كانت الأسرة المالكة الأولى.

إحصائية عامة

يعيش في الصّين حوالي ست مجموعات عرقية. ويبلغ تعداد الصينيين من أصل صيني حوالي ٩٤% من مجموع السكّان. والباقي جنسيّات عرقية أخرى. واللغة الصينية وهي اللغة الرئيسيّة في البلاد لها سبع لهجات مختلفة. يتكلّم ٦٧% من السكّان لهجة Mandarin ، و٨% لهجة Wu ، و٥% لهجة Yue ، و٤% لهجة Xiang ، و٤% لهجة Min ، و٣% لهجة Hakka ، و٢% لهجة Gan . وهناك ١% من السكان يتكلّمون لغة Zhang و٦% يتكلمون لغات أخرى. وطبقاً لإحصائية التسعينيات من القرن العشرين فإن ٧١% من مجموع السكان بلا دين، و٢٠% يدينون بالصينيّة الفلكلورية، و٦% بالبوذيّة، و٢% بالإسلام، و١% ديانات أخرى.

والصّين بلاد شاسعة تقرب مساحتها من ١٠ مليون كيلومتر مربع، وبالتحديد ٩٨٨٦٠٠٠ كيلومتر مربع. ووصل عدد السكان في سنة ٢٠٠٠م إلى حوالي ١,٣ بليون نسمة، أي ١٣٣٠ مليون نسمة، ويتضاعف عدد السكان كل ٤٤ سنة، حيث يبلغ معدل زيادة السكان السنوي

١,٦% . ويسكن ٢٦% من السكان في المدن، ونسبة المتعلّمين ٧٣%.

دخول المسيحيّة إلى الصّين

يُظن أن القديس توما الرسول قد كرز بالمسيحيّة في الصّين كما في الهند، ولكن ليس لدينا أيّ شهادات أو وثائق تاريخيّة حتى الآن تؤكد ذلك. ولقد وُجد في "سيحافو - Siga Fu" لوحة يعود تاريخها إلى سنة ٧٨١م تعرف من الكتابة التي عليها أن إرساليات تبشيريّة من الكنيسة النسطوريّة (الأشوريّة) قد وصلت الصّين في القرن السابع الميلادي. وظلت الكنيسة الأشوريّة ناهضة في الصّين لأكثر من قرنين من الزمان، ثم تعرضوا لاضطهاد شديد خفت على إثره صوتهم تماماً.

التبشير بالكاثوليكيّة والبروتستنتيّة

أما أول إرساليّة تبشيريّة غربيّة للبلاد فكانت سنة ١٢٩٤م عندما أرسل بابا روما شخصاً يدعى يوحنا (من مونت كورفينو) إلى الإمبراطور، وإذ وجد حظوة لدى البلاط الإمبراطوري، تبني ١٥٠ طفلاً فقيراً من أبناء الصّين الوثنيين ليعلمهم اللاتينيّة واليونانيّة. وبعد ١٠ سنوات استطاع أن يعمد ٦٠٠٠ شخص كانوا قد آمنوا بالمسيحيّة. وفي سنة ١٣٠٧م صار يوحنا هذا أسقفاً لمدينة بكين العاصمة، ومات سنة ١٣٢٨م فأبى البابا أن يعترفه أسقفاً. ولكن كان هناك نكوص متكرر بين

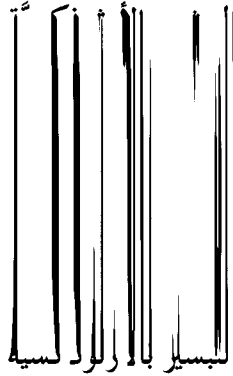
وكان "فاسكو دي جاما" ملاحاً برتغالياً، وهو أول أوروبي يصل الهند بالبحر (١٤٩٧ - ١٤٩٩م)، واستوطن البرتغاليون مدينة "ماكاو" سنة ١٥٥٧م، ولكن التجارة الأجنبية لم يعظم شأنها إلا في سنة ١٨٤٢م عندما هزم البريطانيون الصين في حرب الأفيون.

بدأ الرهبان الجزويت (اليسوعيون) إرسالهم التبشيرية في الصين سنة ١٥٨٢م، أما الفرنسيون والدمينيكان وباقي الإرساليات الرومانية الكاثوليكية فقد توالى وصولها في القرن السابع عشر. وكان لتدخل باباوات روما بسلطتهم في الصين ما هيج الإمبراطور ودفعه إلى معاداة هذه الإرساليات مما أنشأ موجات اضطهاد متلاحقة ضد المسيحية الناشئة في الصين، فذبلت وضعفت وإن لم يُقض عليها.

أما حركات التبشير الحديثة التي ظهرت في القرن التاسع عشر من البروتستنت، فقد واجهت صعوبة القوانين الصينية التي تغلق البلاد تماماً أمام أي دخول للأجانب. ولكن استطاع روبرت موريسون Robert Morrison وهو مُرسل بروتستنتي من دخول البلاد سنة ١٨٠٧م، كمبرمج لشركة في شرق الهند تعمل في الصين، فاستطاع ترجمة الإنجيل إلى اللغة الصينية ونشره.

ولكن التطور الحقيقي للإرساليات الحديثة في الصين كان قد بدأ بعد سنة ١٨٦٥م، وهي الفترة التي أعقبت تمكن الغرب من استخدام القوة العسكرية لكي يحقق لنفسه وجوداً شرعياً في الصين. وهذا بالطبع قد فتح البلاد أمام الإرساليات التبشيرية المسيحية، فانتشرت هذه الإرساليات القادمة من أوروبا وأمريكا في كل مكان في الصين، يؤسسون الكنائس وبنون المدارس والمستشفيات.

ولكن ضعفت الصين كثيراً عندما هزمتها اليابان في حربها الأولى معها (١٨٩٤ - ١٨٩٥م).



ولقد دخلت الأرثوذكسية الشرقية إلى الصّين بواسطة روسيا المسيحية المتاخمة لها في سنة ١٦٨٥م. فحينما انتصر الصّينيون على منطقة “ألبازين” الروسية التي تقع على حدود الصّين الشماليّة، أسروا عدداً كبيراً من الأرثوذكس، فالتحق خمسة وأربعون من هؤلاء الأسرى في خدمة إمبراطور الصّين، وأخذوا إلى بكين مع كاهنهم الأب مكسيم ليونتيف. فاستقبلهم الإمبراطور كأنجهسي بإكرام ومنح الأب مكسيم معبداً بوذياً قديماً فحوّله إلى كنيسة مسيحية لخدمة احتياجات الشعب الروحية، وكرّست هذه الكنيسة سنة ١٦٩٨م باسم “آجيا صوفيا” أي “الحكمة المقدّسة”. وظل الأب مكسيم يخدم حتى وفاته سنة ١٧٠٠م.

وبعد انتقال الأب مكسيم وافق الإمبراطور على أن يأتي كاهن آخر من روسيا إلى بكين ليحل محله. ولقد تكونت بعثة كرازية في بكين تتبع الكنيسة الأرثوذكسية سنة ١٧١٥م تحت رعاية الأرشمندريت^(١) “هيلاريون ليزايسكي” ولكنها اقتصرت في السنة الأولى من تواجدها في الصّين على الأبحاث دون الكرازة.

وبمرور الزمن تزوج الألبازيون بالصّينيين، وصار نسل الألبازين لا يفترق عن الشعب الصيني، كما أنهم ظلوا ثابتين على إيمانهم الأرثوذكسي.

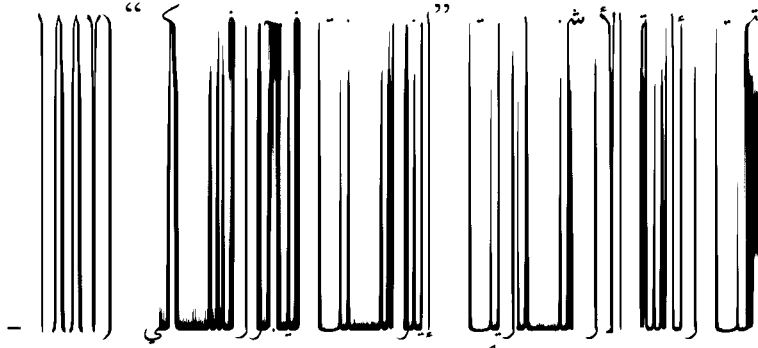
وفي الربع الثالث من القرن التاسع عشر تمت ترجمة أسفار العهد الجديد والكتب الطقسية للكنيسة الأرثوذكسية إلى اللغة الصينية. وفي الربع الأخير من نفس القرن بدأت الصلوات الكنسية تتلى باللغة الصينية.

أما العمل الكرازي فلم يبدأ على أي مستوى حتى أواخر القرن التاسع عشر. ففي سنة ١٨٦٠م وفدت إلى الصين بعثة روسية متفرعة إلى قسمين: قسم دبلوماسي، وقسم كنسي. ونشطت حركة الكرازة، وكان من ثمارها رسامة أول كاهن أرثوذكسي ذي جنسية صينية، وهو الأب "ميتروفان تزي"، وقد سيم سنة ١٨٨٣م. وقد امتد العمل الديني في بكين وانتشر في شنغهاي ودونج دينجانج وأورجا وهانشو وكالاجان.

وفي سنة ١٨٩٧م، حصلت الكنيسة الصينية الأرثوذكسية على بركة كبيرة بوصول الأرشمندريت "إينوسنت فيجورفسكي" إلى بكين، فأسس ديراً يضمن إقامة خدمات يومية باللغة الصينية، كما أرسل مبشرين خارج بكين لينشروا الإيمان المسيحي. وأسس مشروعات لخدمات المحبة الأخوية، فتمت الكنيسة الصينية وتقوت.

وفي سنة ١٩٠٠م كانت ثورة البوكسر Boxer، وقد قام بها جماعة سرية من الفنين العسكريين والسحرة أو المنجمين، وتعهدوا أن يخلصوا الصين من الأجانب والمسيحيين. فكانت هي المحاولة الأخيرة لطرد الأجانب من الأراضي الصينية والقضاء على نفوذهم بها، وترعم "سن يات سن" فريق المتعلمين الذين بثوا روح الثورة ضد الحكم المطلق. وفي سنة ١٩١٢م، أعلن قيام الجمهورية، وأصبح سن يات سن رئيساً للجمهورية.

وفي هذه السنة قامت حركة اضطهاد عنيفة ضد المسيحيين الجدد في الصين، وقتل ١٦٠٠٠ مسيحي صيني، وأكثر من ٢٠٠ ألف مبشر، كان من بينهم من الأرثوذكس كاهن واحد، و ٢٠٠ من شعب الكنيسة، وأتلفت ممتلكات الكنيسة، ولكن استؤنف التقدم بعد ذلك مرة أخرى



١٩٣١م)، وقد سيم أسقفاً على بكين سنة ١٩٠٢م، ثم رئيس أساقفة سنة ١٩٢٢م، ثم رُقي مطراناً سنة ١٩٢٩م. وانضمت كنيسة الصّين إلى بطريركية الكنيسة الأرثوذكسية الروسية وصارت تحت رئاستها سنة ١٩٤٥م. وفي ذلك الوقت كان هناك ٣٠٠ ألف أرثوذكسي في الصّين ومنشوريا معظمهم من الروس اللاجئيين.

خلال الفترة من انتهاء الحكم الإمبراطوري القديم في الصّين سنة ١٩١١م إلى ظهور الشيوعية سنة ١٩٤٩م يمكن حصر أهم الأحداث في تلك الفترة كما يلي:

- في سنة ١٩١٤م كان هناك حوالي خمسة آلاف صيني يتبعون الكنيسة الأرثوذكسية، وكان لهم كهنة صينيون ومعهد لاهوتي لتثقيف وتأهيل المتقدمين للخدمة الكهنوتية.

- تم رسامة ستة أساقفة صينيين بواسطة كنيسة روما الكاثوليكية سنة ١٩٢٦م.

- غزت اليابان الصّين، واحتلت جانباً كبيراً من البلاد من سنة ١٩٣٧م إلى سنة ١٩٤٥م، واقترفت أعمالاً وحشية ضد السكان المدنيين. وانسحبت اليابان من الصّين سنة ١٩٤٥م.

- بدأت الحرب الأهلية في الصّين بين الوطنيين بقيادة شيانج كاي شيانج وبين الشيوعيين بقيادة الزعيم ماو تسي تونغ وانتصر الشيوعيون

توقف في هذه الظروف المعاكسة.

ومنذ قيام الثورة الصينيَّة سنة ١٩٤٩م تغير الوضع تماماً، فقد أمرت الحكومة كل المبشرين غير الصينيين بمغادرة البلاد. بما فيهم الروس الأرثوذكس الذين كانوا يشكلون قسماً كبيراً من الكنيسة الأرثوذكسيَّة في الصين. ولكن الكنيسة الأرثوذكسيَّة كانت قد أقامت كهنة من الصينيين أنفسهم.

والكنيسة الأرثوذكسيَّة في الصين الآن هي صينيَّة تماماً. وقد كان في الصين في سنة ١٩٥٧م أسقفان صينيان، وحوالي خمسة وعشرين ألف مؤمن أرثوذكسي.

لقد صارت الإدارة في كنيسة الصين ذاتيَّة يقوم بها الصينيون أنفسهم، حيث استقلت كنيسة الصين الأرثوذكسيَّة عن بطريركيَّة موسكو سنة ١٩٥٧م، بعد الانشقاق السياسي بين البلدين، وأصبح اسمها "الكنيسة الأرثوذكسيَّة الصينيَّة المستقلَّة"، ويرأسها روحياً رئيس الأساقفة "فاسيلي تشو آن".

وفجرت الصين قنبلتها الذريَّة الأولى في أواخر سنة ١٩٦٤م، ولكن ظلت فرموزا وليس الصين تحتل كرسيها الدائم في مجلس الأمن، حيث حرمت هيئة الأمم المتحدة حكومة الصين كرسيها الدائم في مجلس الأمن استجابة لمعارضة حكومة الولايات المتحدة الأمريكيَّة.

في سنة ١٩٦٥م كانت بداية الثورة الثقافيَّة الكبرى، وفي أثناء هذه الثورة وبالتحديد في سنة ١٩٦٦م حُرِّم الدين من حماية القانون له، بل جعلت منه الحكومة مثار سخرية واستهزاء، فأغلقت الكنائس أو هُدمت هائياً، وأُهين الكهنة، بينما قُتل آخر رئيس للكنيسة الصينيَّة الأرثوذكسيَّة، وهو الأسقف "سيمون دو". فترلت كل الأديان إلى تحت الأرض، ومارست عبادتها في السرايب لتمارس عبادتها بعيداً عن مراقبة

السلطات. وهاجر ٣٠٠ ألف روس أرثوذكس إلى خارج البلاد بعد

تولي ماو تسي تونج.

وفي خلال السنوات التي أعقبت هذه الثورة الثقافية تعرض عدة ملايين من البشر لأعمال التطهير وقُتلوا تحت اسم "حركة التطهير".

في سنة ١٩٧٠م أُعيد فتح الكنائس من جديد، ونال قادة الكنيسة شيئاً من حريتهم، وسمح لهم بعقد لقاءات فيما بينهم.

في سنة ١٩٧١م احتلت الصين كرسياها الدائم في مجلس الأمن بدلاً من تاوان. وفي سنة ١٩٧٦م مات "ماو تسي تونج" وخلفه "شوين لاي - Zhou Enlai".

وبحلول سنة ١٩٨٧م حدث تغير جذري في سياسة الصين، فبعد موت ماو تسي تونج وعزل جماعة الأربعة الذين كانوا يحكمون الصين، صدر دستور جديد سنة ١٩٨٢م، كان هو بداية التحول الاقتصادي الحقيقي للصين، وإعلان الحكم اللامركزي للصين، وإقامة مجتمع حر. وينص هذا الدستور على كفالة الحرية الدينية للصينيين. وسمح القانون أيضاً بنشر الكتب والمجلات اللازمة لتعليم الدين، وإقامة المؤسسات والجماعات الدينية في الأديرة، وكليات اللاهوت، وأنظمة الرهبانات. وشدد القانون على أن أي اتصال بالهيئات الدينية خارج البلاد يجب أن

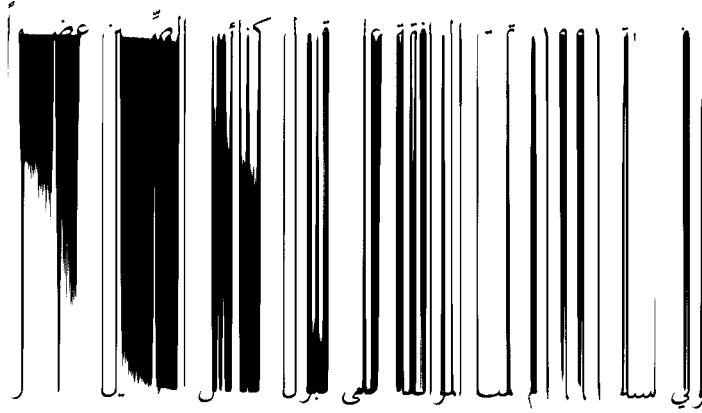
وفي أكتوبر سنة ١٩٨٤م أعادت الحكومة الصينية - ولأول مرة منذ سنوات عديدة - كنيسة "الحماية المقدسة" في هارين (وهي إحدى أربع كنائس أرثوذكسية كانت مازالت قائمة حتى ذلك التاريخ) إلى الكنيسة، لتقام بها الصلوات الطقسية حسب طقس الكنيسة الأرثوذكسية.

في سنة ١٩٨٥م وبمساعدة ألمانيا تم تأسيس أول دار لنشر الكتاب المقدس في الصين منذ سنة ١٩٤٩م، حيث تم الانتهاء من تشييد مبنى مطبعة هيئة الصداقة الصينية لطبع الكتب المقدسة بالقرب من مدينة نان جنج في منتصف سنة ١٩٨٧م.

وتلقت الكنيسة الأرثوذكسية في منطقة "تشن كيانج" شمال شرق الصين قرب الحدود المشتركة مع الاتحاد السوفيتي تصريحا باستئناف أنشطتها الدينية والرعوية. وهذه الجماعة الأرثوذكسية في هذه المنطقة تبلغ الألفين. وقدمت الحكومة الصينية تبرعاً مالياً لإنشاء مبنى للكنيسة الأرثوذكسية في هذه المنطقة.

في سنة ١٩٨٩م تظاهر أكثر من مليون شخص صيني في منطقة تيانا نم في بكين مطالبين بالديموقراطية أكثرهم من الطلبة، كرد فعل لما جرى في روسيا وغيرها من دول شرق أوروبا، فقمع الجيش هذه المظاهرات بكثير من القسوة، فجرح وقتل في أثنائها عدة آلاف من المتظاهرين، وكان ذلك الحدث الحزين في يومي ٤ و٣ يونيو من هذه السنة. وقد استنكر العالم كله هذه الأحداث المؤلمة. لقد كانت مذبحة تيانانمن في بكين عملاً وحشياً ضد الطلبة المتظاهرين. ولكن من رماد تلك الكارثة أتى آلاف الطلبة العقلانيين إلى المسيح، ليس في بكين وحدها، بل وفي جميع أنحاء العالم.

في أكتوبر سنة ١٩٩٠م افتتحت الكنيسة الكاثوليكية أول دار للطباعة في الصين منذ ٤٠ سنة خلت.



بمجلس الكنائس العالمي، وكانت هذه الكنائس ممنوعة من حضور اجتماعات المجلس منذ الثورة الشيوعية في الصين سنة ١٩٤٩م.

وتمثل كنائس الصين ٥,٥ مليون مسيحي، ثلثهم من الشباب الأقل من ٣٠ سنة، في حوالي ٦٠٠٠ كنيسة مشيئة في أنحاء الصين.

وفي يونيو سنة ١٩٩٧م تسلمت الصين من بريطانيا جزيرة هونج كونج، وهي مركز عالمي للملاحة والتجارة والمال، وذلك بعد أكثر من ١٥٠ عاماً تحت الحكم البريطاني.

وفي سنة ١٩٩٨م، ذكرت الكنيسة في الصين أن الحكومة الصينية أصبحت أكثر حساسية لمطالبها، وأن أوضاع الكنيسة قد تحسنت في النصف الثاني في التسعينيات من القرن العشرين، فالكنيسة الصينية اليوم في ازدهار مستمر، ولكن مما لا شك فيه أن الطريق لازال طويلاً أمام الكنيسة الصينية لتمتع بحريتها كاملة.

وإذا قارنا وضع الكنيسة في الصين اليوم بما كانت عليه في الخمسينيات مثلاً، لوجدنا تحسناً كبيراً قد طرأ على الكنيسة هناك. فقد كان رجال الكنيسة يُعاملون بكثير جداً من الخشونة والجفاء، لا لشيء إلا

المراجع

- إبراهيم أمين غالي، سناء المصرية عبر التاريخ، القاهرة، ١٩٧٦م.
- اسحق مسعد (المطران)، نشأة الطوائف المسيحية، منشورات الكنيسة الأسقفية، ١٩٧٧م.
- أسد رستم (الدكتور)، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، الجزء الأول والثاني، منشورات المكتبة البولسية، لبنان، ١٩٨٨م.
- إغناطيوس ديك (الأب)، الشرق المسيحي، لبنان، ١٩٧٥م.
- إلياس معوض (الأرشمندريت)، العبادة المسيحية، طرابلس، ١٩٦٥م.
- إيرينا جورانيوف، القديس صاروفيم ساروفسكي، ترجمه إلى العربية المتبجح الراهب بطرس المقاري، لم يُنشر بعد.
- تيموثي وير (الأب)، الكنيسة الأرثوذكسية في الماضي والحاضر، منشورات النور، ١٩٨٢م.
- ثاوذوروس أبي قره (المتوفي سنة ٨٢٥م)، ميمر في إكرام الأيقونات، تحقيق الأب إغناطيوس ديك، سلسلة التراث العربي المسيحي رقم (١٠)، سنة ١٩٨٦م.
- ثاوذوروس أبي قره، ميمر في وجود الخالق والدين القويم، تحقيق الأب إغناطيوس ديك، التراث العربي المسيحي، رقم (٣)، سنة ١٩٨٢م.
- جورج حدّاد (الدكتور)، المدخل إلى تاريخ الحضارة، سوريا، ١٩٥٨م.
- جورج شحاته فنواي (الأب الدكتور)، المسيحية والحضارة العربية، القاهرة، ١٩٨٢م.
- حنايا كساب (الأرشمندريت)، مجموعة الشرع الكنسي، منشورات النور، لبنان، ١٩٧٥م.
- خريسوستمس بابا دبولوس، تاريخ كنيسة أنطاكية، تعريب الأسقف إستفانوس حدّاد، منشورات النور، ١٩٨٤م.
- دائرة المعارف الكتابية، الجزء السادس، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩٧م.
- رمزي تادرس، دائرة المعارف القبطية، الجزء الأول، بدون تاريخ.
- ريتشارد وميراند، معاناة فانتصار، القاهرة، ١٩٩٣م.
- ستيفن رنسيان، الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق حدّاد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.

- سيّدة إسماعيل كاشف (الدكتورة)، مصر في فجر الإسلام، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤.
- شارلز كولسن، من وراء سقوط الأسوار؟، دار النشر الأسقفية، ١٩٩٥ م.
- عبد القادر أحمد يوسف (الدكتور)، الإمبراطورية البيزنطية، بيروت، ١٩٨٤ م.
- عبد المنعم عبد الحلّيم (الدكتور)، حضارة مصر الفرعونية، الجزء الأول، دار المعارف، ١٩٧٨ م.
- غريغوريوس يوحنا إبراهيم، السريان وحرب الأيقونات، حلب، ١٩٨٠ م.
- كارل برنشتاين، وماركو بوليتي، صاحب القداسة، ترجمة أنطوان رياض دويدة، الطبعة الثانية، ١٩٩٩ م.
- مجالات متنوّعة لسنوات مختلفة: مرقس، الوحدة في الإيمان، الكرازة ... الخ.
- محمد شفيق غربال (الدكتور)، الموسوعة العربية الميسرة، القاهرة، ١٩٦٥ م.
- ميشيل يتيّم (المطران)، وإغناطيوس ديك (الأرشمندريت)، تاريخ الكنيسة الشرقية، منشورات المكتبة البولسية، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٩٩٩ م.
- يوحنا ثابت (الأب) وآخرون، الفرض الإلهي، دراسات قسم الليتورجيا في جامعة الروح القدس، الكسليك، لبنان، ١٩٨٧ م.
- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، ترجمة القمص مرقس داود، الطبعة الثانية، ١٩٧٩ م.
- يوسف أندراوس (الأب)، كاتدرائية القيامة للروم الملكيين الكاثوليك بالقاهرة، اليوبيل المئوي (١٩٠٣-٢٠٠٣ م)، طبعة أولى، ٢٠٠٣ م.

الدَّرَّة الطقسيَّة للكنيسة القبطيَّة

بين الكنائس الشرقيَّة

• السِّلْسِلَة الأولى: مصادر طقوس الكنيسة

الرقم	اسم الكتاب
١/١	الديداخي أي تعليم الرسل
١/٢	التقليد الرسولي
١/٣	المراسيم الرسوليَّة،
	دارسة موجزة - نص الكتاب الثامن
١/٦	فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندريَّة، الكتابات اليونانيَّة.
١/١٠	قوانين البابا أناسيوس بطريرك الإسكندريَّة
١/١١	قوانين هيبوليتس القبطيَّة

• السِّلْسِلَة الثانية: مقدِّمات في طقوس الكنيسة

الرقم	اسم الكتاب
٢/١	الكنائس الشرقيَّة وأوطانها، الجزء الأول: رؤية عامة - كنيسة المشرق الأشروريَّة
٢/٢	الكنائس الشرقيَّة وأوطانها، الجزء الثاني: كنيسة مصر
٢/٣	الكنائس الشرقيَّة وأوطانها، الجزء الثالث: الكنائس الشرقيَّة القديمة
٢/٤	الكنائس الشرقيَّة وأوطانها، الجزء الرابع: الكنائس البيزنطيَّة
٢/٥	الكنيسة، ميناها ومعناها
٢/٦	مُعْجَم المصطلحات الكنسيَّة، الجزء الأوَّل (طبعة ثانية)
٢/٧	مُعْجَم المصطلحات الكنسيَّة، الجزء الثاني
٢/٨	مُعْجَم المصطلحات الكنسيَّة، الجزء الثالث

♦ السلسلة الثالثة: طقوس أسرار وصلوات الكنيسة

الرقم	اسم الكتاب
٣/١	معمودية الماء والروح
٣/٧	الدبلة والإكليل

يُطلب من

مكتبة مجلة مرقس

القاهرة: ٢٨ شارع شبرا - القاهرة ت/ ٧٠٦١٤

الإسكندرية: ٨ شارع جرين من محرم بك ت/ ٤٠

والمكتبات المسيحية والكنسيّة

كما يُطلب من

الأستاذ المحاسب مينا سمير أنطون ت/ ٨٩٥٤٩

هذا الكتاب

هو الجزء الرابع والأخير من مجموعة كتب
« الكنائس الشرقية وأوطانها » ، وهو عن
الكنائس البيزنطية. والتي أصبحت تُعرف

باسم « الكنائس الأرثوذكسية الشرقية » ، أو باسمها التقليدي القديم « الكنائس
الأرثوذكسية الخلقيدونية ». وهى تضم الآن ١٩ كنيسة أرثوذكسية.

أما تقسيم هذه الكنائس فهو :

- ١- الأربعة بطريركيّات القديمة : القسطنطينية - الإسكندرية -
أنطاكية - وأورشليم.
- ٢- الخمس بطريركيّات الحديثة : روسيا - صربيا - رومانيا -
بلغاريا - وجورجيا.
- ٣- الست كنائس المستقلة : قبرص - اليونان - تشيكوسلوفاكيا (سابقاً) -
بولندا - ألبانيا - وجبل سيناء.
- ٤- الأربعة كنائس التى لها الحق الذاتى فى إدارة شؤونها : فنلندا -
اليابان - أمريكا - والصين.

هذا ما يحويه الكتاب الذى بين يديك.

